دعوة الحق

تصدرها وزارة عموم الأوقاف
الرباط - المغرب

مجلة شهرية تعنى
بالدراسات الإسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر

الثمن 100 فرنك



العدد السادس • السنة الثانية
مارس 1959 • شعبان رمضان 1378

العدد السادس
السنة الثانية
مارس 1959
شعبان } 1378
رمضان

دعوة الحق

مدير المجلة
المكي بادو
رئيس التحرير
عبد القادر الصحراوي

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر
تصدرها وزارة عموم الأوقاف . الرباط - المغرب

صورة الغلاف



اقيمت بمشليفن وجبل هبري في الاطلس المتوسط مباريات دولية للتزحلق على الثلج : حضرها جلالة الملك، وذلك في يومي السبت والاحد رابع عشر وخامس عشر فبراير المنصرم .

والصورة تمثل منظرا من جبل هبري اثناء المباريات ، تكسوه الثلوج ، وتشرق عليه الشمس ، وتتخلله غابات الارز .

بيانات ادارية

تبعث المراسلات بالعنوان التالي :
مجلة «دعوة الحق» ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

الاشتراك عن سنة 1.000 فرنك ، وللطلبة 500 فرنك فقط .

السنة عشرة أعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :
« دعوة الحق » الحوالة البريدية رقم 55 ـ 485 ـ الرباط ـ
DAOUAT AL HAK compte chèque postal 485-55 à RABAT
او تبعث راسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة : «دعوة الحق» ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر .

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
قسم التوزيع ـ بادارة المجلة .
تليفون 308.10 ـ الرباط



كلمة العدد :

دور المثقفين

هل المعرفة غاية فى حد ذاتها ؟ هل ينبغي لطالب الثقافة ان يجعل كل همه منها صقل مواهبه وتوسعة مجال ادراكه ثم لا شيء بعد ذلك ؟ هل يكفي لكي يدعي الانسان عالما او مثقفا او اديبا أو مفكرا ان يحيط ببعض المعلومات ويقرأ بعض الكتب ، ثم يعتزل العالم فى « برج عاج » ليمضغ اضغاث احلامه ، ويجتر تفكيره المجرد ، ويتملى بنشوة النظر الى القصور السحرية الخيالية التي يبنيها لنفسه فى الهواء ؟ ؟ ؟

أم ان على المثقف أن ينزل بثقافته الى معترك الحياة العملية ، وان يخوض بها فى كل ما يخوض فيه الناس ، وان يشارك بها فى الخصومات السياسية ، والخلافات المذهبية أو النزاعات الشخصية او ما الى ذلك ؟ ؟

اسئلة لو طرحت فى شكل استفتاء لتنوعت الاجابات عنها وتعددت واختلفت ، تبعا لاختلاف الامزجة والمفاهيم والاغراض والمصالح والدوافع الشخصية او المثالية او غير ذلك .

ونحن لا نطمع هنا فى الاجابة عنها جوابا قاطعا ، او فى استعراض الاجوبة المحتملة عنها على اختلافها وتعددها وتنوعها ، وانما نريد فقط وبكل بساطة ان نقول: ان المثقف كغيره من المواطنين ، مواطن اولا قبل ان يكون مثقفا ، وهو كمواطن مسؤول عن أن يضع خبرته كلها وعلمه ومواهبه رهن اشارة وطنه ، هو مسؤول عن ان يساهم بكل ذلك فى تعميق الوعي الوطني ببلاده وتثقيفه وتقويمه ، وفى تقدم وطنه وازدهاره ورفاهيته ، فان لم يفعل ذلك فقد خان واجبه ومسؤولياته كمواطن اولا وقبل كل شيء .

وعندما تموت حماسة الوطنية فى المواطن ، يصبح عبئا ثقيلا على الارض التي تحمله ، والمجتمع الذي يعيش فيه . ومن ثم فانه لا خير اطلاقا فى المواطن السلبي ، سواء كان مثقفا او غير مثقف ، ولا فرق بين الاثنين الا فى كون السلبية من ثانيهما ـ المثقف ـ ابشع، واكثر اغراقا فى الاثم والاجرام منها فى غيره ـ غير المثقف ـ .

هذا كلام قد يكون بديهيا لا يحتاج الى نقاش ، ونحن نقرأ كل يوم كلاما من هذا القبيل فى بعض الصحف التي تخدم وجهة نظر معينة . ولكنا نلاحظ ان الدوافع التي تملي مثل هذا الكلام فى الصحيفة المذكورة قد تحتاج الى شيء من النقاش .

وتستطيع أن تلاحظ وانت تقرأ مثل هذا الكلام في هذه الصحيفة ، أن الغرض الذي تقصد اليه من ورائه ، هو دعوة جميع المثقفين الى التكتل حول وجهة نظرها هي ، أو فكرتها هي . فان لم يفعل المثقفون ، فهم سلبيون لا خير فيهم ، عاجزون ، متخلفون عن الركب ، الى غير ذلك من الاوصاف التي قد يكون من بينها احيانا الجبن ، والخيانة ، وسلسلة النعوت التي من هذا القبيل .

*

ولكنا لكي نفهم الحقيقة، ولكيلا تختلط علينا السبل، ولكيلا نترك انفسنا نهبا لما نقراه في هذه الصحيفة او في تلك ، ينبغي ان نعلم : ان من الواجب احيانا وفي بعض الظروف الخاصة ، ان يوضع خط احمر ، وعريض جدا، بين الوطنية والسياسية . ذلك لان الوطنية والسياسة قد تقتربان من بعضهما كثيرا او قليلا ، وقد تبتعدان عن بعضهما احيانا حتى لا يكون ما بينهما الا فراغ لا سبيل الى سده ، وقد تلتقيان احيانا اخرى حتى تكونا لحمة واحدة يصعب التمييز بين أجزائها . ولكن الوطنية دائما ، وبالرغم من كل ذلك ، شيء آخر غير السياسة . وأوضح فرق بينهما أن أهداف الوطنية ووسائلها واضحة دائما ، ثابتة دائما . وان اهداف السياسة ووسائلها غامضة ملتوية ، وقابلة دائما للتغيير .

ولنضرب لذلك مثلا ؛ فنحن جميعا في المغرب كمواطنين ووطنيين ، لا نختلف ، ولا نشك اطلاقا في وجوب تحرير بلادنا من الاحتلال العسكري الاجنبي سواء كان فرنسيا او اسبانيا او امريكيا ، ولا في وجوب العمل من اجل استرداد الصحراء المغربية، ولا في وجوب المساهمة باكبر حظ ممكن في تقريب استقلال الجزائر، وتحقيق وحدة المغرب العربي ، والعمل على تمتين الصلات مع بقية بلاد العروبة. كما لا نختلف في ان علينا ان نعمل بكل الوسائل من اجل ازدهار الاقتصاد الوطني ، ومقاومة البطالة ، والنهوض بالمجتمع المغربي ، وضمان التعليم والتربية الوطنية لكل الاطفال المغاربة الذين هم في سن الدراسة ....

ولكنا مع ذلك نختلف اشد الاختلاف واعنفه واقساه ، في أشياء أخرى غير واضحة تمام الوضوح ، في اذهان جميع المواطنين ، اما لانها لم تشرح بعد الشرح الكافي ، واما لانها بطبيعتها غامضة ملتوية عسيرة على الفهم ، ككل ما هو (سياسة) او من قبيل (السياسة)

*

ولنعد الآن الى الموضوع ، لنحاول تحديد الدور الذي يجب على المثقف المغربي ان يضطلع به في بلاده في مثل هذه الظروف بالذات .

لقد حاولنا من قبل ان نرسم خطا واضحا بين الوطنية والسياسة حتى لا تختلط علينا المفاهيم ، فاذا تم لنا رسم هذا الخط ، امكن لنا ان نعرف واجباتنا بالتحديد .

اما في ميدان السياسة فالمجال واسع للاختيار ، واما في ميدان الوطنية ، فلا مجال للاختيار على الاطلاق .

فيما يتعلق بالسياسة ، كل واحد حر في ان يشتغل بها او لا يشتغل ، وكل واحد حر في ان يشتغل بها على هذا النحو اوذاك . اما فيما يتعلق بالوطنية، او بخدمة الاهداف الوطنية فنحن جميعا جنود . ولن يفر من الجندية ، او يهرب من الواجهة ، او يتخلف عن الزحف — خصوصا اذا كان قادرا — الا من كان يحق جبانا خائنا متخلفا ، من الذين قال فيهم الله تبارك وتعالى : رضوا بان يكونوا مع الخوالف ، وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون .

دور المثقف كمواطن ، وكمواطن يملك من القدرة على العمل والتمييز اكثر مما يملكه غيره من المواطنين ، ان يكون دائما في طليعة الزحف ، وفي مصاف القيادة يعالج مشكلات وطنه ، ويتحمس لها ، ويذكر بها باستمرار ، ويعمل على تقريب المسافات اليها ، وينصر الحقيقة ويجردها من الزيف والبهتان والتضليل خدمة لمواطنيه ، بقلمه ان وجد السبيل الى ذلك ، وبلسانه في كل مجمع يضمه او مكان يلتقي فيه بغيره .

*

وبعد ، فان اخطر ما يخيف في الحالة التي نعيشها منذ مدة ، اننا انشغلنا عن قضايا الجلاء ، والصحراء ، والجزائر ، والتعريب ، وغير ذلك من الاهداف الوطنية الصحيحة . انشغلنا عن المعركة نفسها بالنزاع حول من يصلح لقيادة المعركة . واذا كان هناك من له كامل الحق في أن يسر من هذه الحالة ، ويغتبط لها ، ويجني ثمارها ، فانما هم خصومنا المستعمرون ، الذين ذاقوا الامرين من وطنيتنا بالامس والذين يصفقون اليوم ارتياحا لانشغالنا عنهم وعن هذه الوطنية .

*

ان بعض الساسة انفسهم قد يختلط عليهم الامر ، وقد يظنون وهم يشتغلون بالسياسة انهم يخدمون الاهداف الوطنية . والجماهير يصعب عليها التمييز احيانا ، فتظل نهبا موزعة مبلبلة ، تتصرف في غير دراية كاملة او وعي صحيح ، وهنا يأتي دور المثقفين ، ليساعدوا هذه الجماهير على التمييز بين ما هو من صميم الوطنية وما هو من صميم السياسة ، وليتحملوا مسؤولياتهم في تعبيد الطريق للاهداف الوطنية ، بتسليط الاضواء عليها ، ووضع العلامات والاشارات على جوانبها ، والاخذ بأيدي مواطنيهم للسير فيها بثقة وعلى بينة . وهم احرار فيما عدا ذلك في ان يعنوا بالسياسة او لا يعنوا بها ، بشرط ان يظل الخط الفاصل بين الوطنية والسياسة واضحا باستمرار بين اعينهم ، والا اختلطت الامور عليهم هم ايضا ، وعدموا الصلاحية للقيام بدورهم ، واصبح من السهل اصطيادهم ــ باسم الوطنية ــ لخدمة بعض الاهداف السياسية الخاصة .

*

ونحن في هذه المجلة لا نريد ان نظل بعيدين عن الواقع الذي نعيشه ، ونحن على استعداد للترحيب بكل انتاج يعالج قضايانا ومشاكلنا الوطنية والقومية بتجرد ونزاهة ، بل اننا نرى من الواجب ان نعطي الاولية لكل انتاج من هذا القبيل . ولكنا لا نقبل ابدا ان نضع المجلة في مهب الرياح ، وان نتركها عرضة للعواصف . وذلك ما يحدو بنا الى التاكيد على حضرات الكتاب ، في وجوب تبين الخط الفاصل بين الوطنية والسياسة .

دعوة الحق

ابتداء من العدد المقبل :

تخصص مجلة (دعوة الحق) بابا خاصا للشقيقة المكافحة :

الجزائر

تتحدث فيه عن تطورات القضية الجزائرية ، وتنشر انباءها وتعاليق الساسة ورجال الفكر عليها ، كما تنشر فيه الآثار الادبية التي تخدم قضية الحرية والانسانية في الجزائر ، باقلام كتاب وادباء من الجزائر نفسها ، ومن غيرها من الاقطار الاخرى للعروبة .

اقرا في العدد المقبل في صفحة الجزائر :

تحية الجزائر (قصيدة) **بقلم : صالح الخرفي .**

العروبة والالم بقلم : ميشيل عفلق .

فريضة الجمعة

بقلم: محمد الطنجي

يوم الجمعة يوم دعاء وذكر وصلاة كان من هدى الرسول ص فيه تعظيمه وتشريفه وتخصيصه بعبادات يختص بها عن غيره ، ففيه كما يقول ابن القيم : صلاة الجمعة التي هي من آكد فروض الاسلام ، ومن اعظم مجامع المسلمين ، وهي اعظم من كل مجمع يجتمعون فيه ، وافرضه سوى يوم عرفة ، ومن تركها تهاونا بها ، طبع الله على قلبه . ويقول نفس ابن القيم في موضع آخر : مستدلا على عظمة يوم الجمعة : وهو عيد متكرر في الاسبوع . وقد روي ان يوم الجمعة سيد الايام . وقد امر الشارع فيه بالاغتسال ، وهو مؤكد جدا وخصوصا على من به رائحة يحتاج الى ازالتها .

كما حض الشارع فيه على استعمال الطيب . فروى البخاري عن النبي ص: لا يغتسل رجل يوم الجمعة فيتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهن أو يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين (يعني في المسجد) ، ثم يصلي ما كتب له ، ثم ينصت اذا تكلم الامام ، الا غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى كما حض الرسول على لبس أحسن الثياب ففي سنن ابي داود عن عبد الله بن سلام انه سمع رسول الله ص يقول على المنبر يوم الجمعة : ما على احدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوب مهنته . وكذلك طلب الرسول من امته الاكثار من الصلاة عليه يوم الجمعة وليلة الجمعة ، لعظم هذا اليوم عند الله ، ولما نال هذه الامة على يد النبي الكريم او بواسطته من كرامة وعزة .

كيفية صلاة الجمعة في مسجده عليه السلام

اما كيفية اقامة الجمعة في عهد النبي ، فهي تفيدنا في معرفة هديه في هذه القربة العظيمة ، وبمقارنة ذلك بعاداتنا وفعلنا نعرف ما وافقنا فيه رسولنا عليه السلام، واقتدينا به فيه ، وما خالفناه فيه ، وفارقنا فيه هديه وسنته . فعن السائب بن يزيد رضي الله عنه : كان النداء يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله ص وابي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء ، ولم يكن للنبي ص غير مؤذن واحد رواه البخاري والنسائي وابو داود ولابن خزيمة ، كان الاذان على عهد رسول الله ص وابي بكر وعمر اذانين يوم الجمعة ، وفسر الاذانين بالاذان والاقامة تغليبا .

ثم ان اذان الجمعة هو خاص حيث كان بلال يؤذن على باب المسجد كما هو صريح في رواية الطبراني ذكره الحافظ بن حجر معقبا به على ما قاله المهلب من كون الحكمة في جعل الاذان بهذا المحل ليعرف الناس جلوس الامام على المنبر فينصتون له اذا خطب وعلى هذا فالاذان الاول على باب المسجد ، والاذان الثاني هو الاقامة اذا اتم الخطيب خطبتي الجمعة ، اما الاذان الذي زاده عثمان على الزوراء ، فهو بعيد عن المسجد . قال البخاري هي اي الزوراء موضع بسوق المدينة . قال الحافظ وهو المعتمد ، وقال ابن بطال هو حجر كبير عند باب المسجد ورد بما عند ابن خزيمة وابن ماجه عن الزهري انه دار بالسوق يقال لها الزوراء، وعند الطبراني، فامر بالنداء الاول على دار يقال لها الزوراء فكان يؤذن عليها ، فاذا جلس على المنبر اذن مؤذنه الاول فاذا نزل اقام الصلاة . قال في « الفتح » والذي يظهر ان الناس اخذوا بفعل عثمان لكونه كان خليفة مطاع الامر ، لكن ذكر الفاكهاني أن اول من احدث النداء الاول بمكة الحجاج وبالبصرة ، زياد (يعني في زمن بني امية بعد وفاة عثمان) . قال الحافظ وبلغني ان اهل المغرب الادنى الآن (يعني الحافظ بن حجر في زمنه في القرن الثامن) لا تاذين عندهم سوى مرة وروى ابن ابي شيبة من طريق ابن عمر قال الأذان الاول يوم الجمعة بدعة فيحتمل ان يقول ذلك على سبيل الانكار ويحتمل ان يريد انه لم يكن في زمن النبي ص وكل ما لم يكن في زمنه يسمى بدعة ، وتبين بما مضى ان عثمان احدثه لاعلام الناس بدخول وقت الصلاة قياسا على بقية الصلوات ، والحق الجمعة بها وابقى خصوصيتها بالاذان بين يدي الخطيب واما ما احدث الناس قبل الجمعة من الدعاء اليها بالذكر والصلاة على النبي ص ، فهو في بعض البلاد

دون بعض واتباع السلف اولى انتهى ما قاله الحافظ بن حجر ، وعلى ما تقرر هنا من احاديث وكلام الايمة الاثبات . فقد استفدنا ان الاذان لم يكن على الصومعة بعد جلوس الخطيب على المنبر بل لم يكن حتى اذان واحد فضلا عن ثلاثة مؤذنين متعاقبين ، وهذه غلطة ارتكبها الناس قديما ومرت عليها اجيال بل قرون .

الاذان للجمعة كغيره من الصلوات واحد

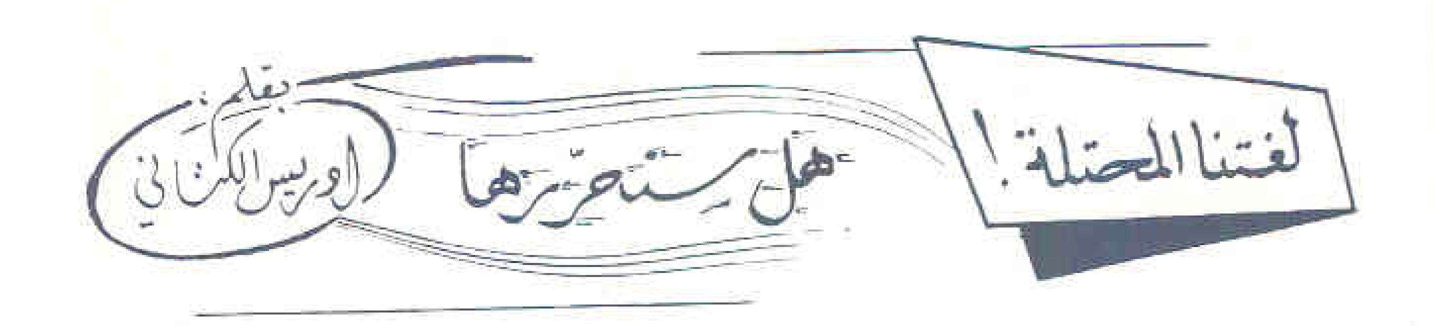
قال الحافظ ابو بكر بن العربي الذي عاش فى القرن السادس الهجري فى تفسير آية النداء للجمعة

قوله اذا نودي للصلاة النداء هو الاذان ، وقد بينا جملة منه فى سورة المائدة ، وقد كان الاذان فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم فى الجمعة كسائر الاذان فى الصلوات مؤذن واحد اذا جلس صلى الله عليه وسلم على المنبر (يعني بباب المسجد كما قدمنا) وكذلك كان يفعل عمر وعلي بالكوفة ثم زاد عثمان اذانا ثانيا على الزوراء حيث كثر الناس بالمدينة ، فاذا سمعوا اقبلوا حتى اذا جلس عثمان على المنبر اذن مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يخطب عثمان وفى الحديث الصحيح، ان الاذان كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم واحد، فلما كان زمن عثمان زاد النداء الثالث على الزوراء وسماه فى الحديث ثالثا لانه اضافه الى الاقامة فجعله ثالث الاقامة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : بين كل اذانين صلاة لمن شاء . يعني الاذان والاقامة ، فتوهم الناس انه اذان اصلي فجعلوا المؤذنين ثلاثة فكان وهما ، ثم جمعوهم فى وقت واحد ، فكان وهما على وهم ، ورايتهم بمدينة السلام يؤذنون بعد اذان المنار بين يدي الامام تحت المنبر فى جماعة كما كانوا يفعلون عندنا فى الدول الماضية وكل ذلك محدث . انتهى بالنص .

وكذلك لم يكن حديث الانصات يروى عند جلوس الامام على المنبر ، بل الرسول هو الذي كان يامر الناس بالانصات الى خطبة الجمعة .

يقول الحافظ بن القيم فى زاد المعاد : وكان (اي النبي عليه السلام) يامر الناس بالدنو منه ويامرهم بالانصات ويخبرهم ان الرجل اذا قال لصاحبه انصت فقد لغا ، ويقول من لغا فلا جمعة له ، وكان يقول من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل اسفارا ، والذي يقول له انصت ليست له جمعة ، رواه الامام احمد رحمه الله .

وعلى ما اسلفنا يكون عملنا على خلاف ما كان عليه الحال فى حياة الرسول وخلفائه الراشدين وفى عملنا تضييع لكثير من الاوقات مع مخالفتنا للسنة ، ومع تضييع الاموال فى هذه الاعمال، وقد يكون هناك اشياء اشد حاجة لصرف الاموال فيها من هذه الاعمال ، كاصلاح المساجد المتلاشية او المتهدمة وعلى فرض ان عملنا لم يكن مخالفا وان كابرنا وردنا النصوص الصريحة الا ان اتباع السلف اولى وتضييع اوقات المنتظرين للصلاة واموال الاحباس لا ينكره منصف ، فما راي علمائنا فيما نقوله وما يرونه من اجراءات للعودة الى سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ؟



يحتوي شارع « فيكتور هوجو » بالدار البيضاء على نحو مائة منزل ، يسكنها نحو 700 من المغاربة يضطرون كل يوم لذكر اسم « فيكتور هوجو » اكثر مما يذكرون اي اسم آخر ، يسجله الاطفال في مدارسهم ، والكبار في اوراقهم وملفات اعمالهم، ويحمل سعاة البريد كل يوم اكراسا من الرسائل الآتية من المغرب ومن العالم اجمع ، بعنوان « فيكتور هوجو » .

ومع ذلك ، فلسنا نحن سكان الشارع ، وحدنا الذين نذكر « فيكتور هوجو » ، فان اكثر من سبعة آلاف من جيراننا واصدقائنا واقاربنا ، يعرفون ايضا « فيكتور هوجو » ويضطرون لذكر اسمه وكتابته في مناسبات لا حصر لها . وفي شارعنا مدرستان ثانويتان بهما نحو 5000 طالب يرددون اسم« فيكتور هوجو » عدة مرات كل يوم . وفي الدار البيضاء عدة آلاف من رجال الشرطة ، ومئات من سائقي الطاكسي وسيارات المصالح العمومية ، يجب ان يعرفوا بحكم مهنتهم اين يبدأ شارع « فيكتور هوجو » واين ينتهي . ويجد تلاميذ حينا انفسهم مدفوعين للاهتمام بشخصية « فيكتور هوجو » عندما يذكر اسمه اثناء دراستهم ، باعتباره احد معارفهم القدماء في الحي ، ولابد ان يكون رجلا عظيما .

ان الشاعر الفرنسي « فيكتور هوجو » لم يمت في فرنسا ، ولم يمت في تونس ، ولم يمت في الجزائر، انه حي في اوربا وافريقيا ، حي في كل مكان توجد فيه فرنسا ، او كانت فيه فرنسا ، انه يعيش معنا في المغرب ، بل هو يقيم معنا في شارعنا ليل نهار ، ويذكره اطفالنا ونساؤنا صباح مساء . ! !

مسكين هو ابو العلاء المعري ، لا يعرفه احد من سكان حينا ، والمتنبي ، لم يسمع به جيراننا في حياتهم ، ومالك بن المرحل الشاعر المغربي الكبير ، وابن زيدون ، ومئات آخرون ، ليست هناك فرصة واحدة يتاح فيها لاصدقائنا واقاربنا ، وسعاة البريد بحينا ، ورجال الشرطة بمدينتنا ، ان يسمعوا باسمائهم ، او يذكروهم كما يذكرون « فيكتور هوجو » ! ، ومن يدري ، فلعل اطفالنا لا تتاح لهم مثل هذه الفرصة في مدارسهم ، بل في حياتهم . ! ؟

يجب ان يعيش « فيكتور هوجو » في بلادنا ، وان نتشرف باسمه شارعنا ، لانه ابن دولة حية اليوم ، جدير به ان يحيا معها ، وان يفرض وجوده علينا ، ! اما ابو العلاء فلا خطر في ان يموت ويناه قومه ، فقد دالت دولته من بعده ، ومات معها خالد بن الوليد ، وسعد بن ابي وقاص ، وقتيبة بن مسلم ، وعقبة بن نافع ، وطارق بن زياد ، وعبد الرحمن الغافقي ، وصلاح الدين ، وعشرات آخرون، خضعت لهم آسيا وافريقيا واوربا ، مساكين هم اجداد « المغرب العربي » وبناة « المغرب العربي » لا يعرفهم احد من ابناء « المغرب العربي » ويتجاهلهم دعاة وحدة « المغرب العربي » !!

ولكن « فيكتور هوجو » لا يعيش وحيدا في الدار البيضاء ، بل هو لا يشعر بالغربة بين شوارعها، فهناك اكثر من الف وثلاثمائة من مواطنيه الفرنسيين، تتحلى صدور شوارع المدينة باسمائهم ، بينهم الادباء والعسكريون ، ورواد الاستعمار الاولون ، حتى ان السائح الاجنبي لا يشك في انه بمدينة فرنسية او مستعمرة فرنسية ! .

وفرنسا عند ما تخلد ذكر اجدادها وعظمائها ، وتنصب لهم التماثيل في بلادها والبلاد التابعة لها ، وتسمي المدن والشوارع باسمائهم ، وتفرض تخليد هذه الاسماء في مستعمراتها فرضا ، لا يجرؤ احد من هؤلاء « المستعمرين فكريا » ان يتهمها بانها دولة

« رجعية وجامدة » لانها تفخر بآبائها واجدادها ، لكن عندما تتحرك غيرتك انت ابن المغرب العربي ، ويثور فيك دم اولئك الاجداد فتذكر واحدا منهم ، لتشعر بعض المواطنين بان لهم ماضيا غير ماضي الاستعمار ، واجدادا غير اجداد الاستعماريين ، ووجودا مستقلا غير تابع لهؤلاء ، حينئذ يتهمك بالرجعية والجمود اولئك الذين اقنعتهم تربية الاستعمار بانهم لا ماضي لهم ، ولا اجداد لهم ، ليعيشوا على ماضيه هو ، ويفتخروا بذكر اجداده هو ! (1) .

ان احتلال الف وثلاثمائة من الاعلام الفرنسية لشوارع مدينة مغربية يقضي بالموت على الف وثلاثمائة من اعلام المغرب العربي ، ويرغم 700.000 من السكان المغاربة على الخضوع للاحتلال اللغوي للمدينة بجانب الاحتلال العسكري والاقتصادي ! وقد لا يكون في ذلك ادنى غرابة اذا علمنا ان المرشال ليوطي لا يزال قائما على فرسه وسط هذه المدينة يحرس مخلفات احتلاله هذه بعين ساهرة . بل لا يزال تمثال « الهزيمة المغربية » منتصبا امام تمثال ليوطي يصفع كرامة كل مغربي يمر بجانبه ، وينال من شرف « الجندي المغربي » تحت سمع الجيش المغربي وبصره !

وليس هذا الاحتلال اللغوي للمدن والاحياء المغربية الا جانب من الحملة التي نظمها الاستعمار لفرنسة المغرب ظاهرا وباطنا ، وطمس معالم اللغة العربية ، وخنق انفاسها في وطنها ، فقد عانت هذه اللغة خلال الاربعين عاما من عهد الحماية ، الوانا من الذل والهوان والضيق ، فطردت من المدارس والمحاكم والادارات شر طرد ، وتنكرت لها الدولة المحتلة في كل مكان تريد القضاء عليها ، بل لم تترك لها وللدين الاسلامي في برامج المدارس الرسمية الا حصة لا تتجاوز عشرين دقيقة في اليوم! بينما اصبحت جميع العلوم تلقى باللغة الفرنسية .

وكما حارب الاستعمار العربية ، حارب اساتذتها وعلماءها وكتابها وصحفها ادبيا وماديا ، في الوقت الذي كان فيه حامل الشهادة الابتدائية الفرنسية يجد جميع التسهيلات ليدخل في خدمة سادة اللغة الرسمية الجديدة .

والقضاء على اللغة العربية لم يكن الا وسيلة للقضاء على جميع ما حملته هذه اللغة معها الى المغرب: من حضارة وثقافة وعقيدة ودين ، حتى اذا جف هذا النبع الفياض ، وتوقف عن افراد الشعب المغربي بحاجاته الفكرية والروحية ، قامت الفرنسية باحتلال مكانه لتعمل على فرنسة هذا الشعب ، فرنسة تفكيره ومنطقه وعواطفه ، ثم جنسيته ، وادماجه في الجامعة الفرنسية « تابع متأخر » عليه نفس الواجبات ، وليس له نفس الحقوق ! ! .

ولم يكن للاستعمار ما اراد ، فقد هب الشعب المغربي لطرده ، ومقاومة جميع مخلفاته ورواسبه ، ورفض ان يكون « تابعا » له رفضا قاطعا ، سواء كانت هذه « التبعية سياسية او اقتصادية او عسكرية او لغوية ، و « التبعية اللغوية » ليست اقل خطرا من التبعيات الاخرى ، فهي تستلزم تلقائيا « التبعية الفكرية » طالما ان الانسان يفكر بواسطة اللغة ، ولسنا بحاجة لهذه التبعية لان لغتنا العربية في طليعة اللغات العالمية، يتكلمها ثمانون مليونا من سكان القارتين الاسيوية والافريقية ، ويضطر لدراستها ثلاثمائة مليون من المسلمين غير العرب في جميع انحاء العالم وقد اختارها الله لتكون لغة القرآن الكريم ، فعبرت عن عبقريتها وسموها ودقة معانيها ، ثم كانت اللغة الاولى في العالم التي وسعت حكمة الفرس ، وفلسفة اليونان ، وحضارة العرب ، ولم تلبث ان اصبحت لغة حضارة انسانية عالمية ، تحمل دعوة الحق الى البشرية كلها .

---

(1) عندما علم احد هؤلاء انني سميت ولدي الثاني باسم «علي» كتب لصديق لنا يقول : « انني اعجب لاختياره لهذا الاسم الذي يدل على مسمى . . انا امرؤ تاريخ محمد علي وما قام به من ثورة واعمال في مصر . . واذا كان علي من الرجال العظماء بطلا وعالما واديبا وشاعرا فانه كان شيعيا وقد هزم ، والحق للغالب ! ، وقد كان من الاحسن ان يختار الاخ ادريس اسما سهلا مطابقا لروح العصر ، ويترك عنه « بقايا التاريخ » ويرى الى الامام لا الى الوراء ، والتقدميون ـ كما يزعمون ! ـ يجب عليهم ان يعيشوا حياة تقدمية في كل مظاهر حياتهم . ان الذي كتب هذا ليس طالبا يجهل التاريخ العربي ، ويخجل من ماضيه ، ويحتقر افراده فقط ، ولكنه محام قديم ، ووزير سابق ! ! !

الم تكن اللغة العربية هي لغة البيروني وابن الهيثم والبتاني والخوارزمي وعمر الخيام والخازني اعظم علماء الاسلام واساتذة اروبا في الطبيعيات والرياضيات والبصريات والفلك ؟ ، ولغة ابن البيطار والدميري في علوم النباتات والصيدلة والحيوان ؟ ، ولغة ابن سينا والرازي وجابر بن حيان والزهراوي اساتذة الطب والجراحة والكيمياء العالميين ؟ ، ولغة الشريف الادريسي والمقدسي وابن حوقل والمسعودي واضعي علوم الجغرافية ورسم الخرائط ؟ ، ولغة ابن خلدون واضع فلسفة التاريخ والاجتماع ؟ ، ولغة ابن رشد وابن طفيل والغزالي والفارابي أعظم الفلاسفة والمفكرين العالميين ؟ ولغة اسحاق الموصلي وزرياب والكندي وابن فرناس واضعي اصول الموسيقى الكلاسيكية ؟ ، ولغة الالاف من الادباء والشعراء وعلماء المنطق والبلاغة والتصوف والقانون ؟ . ان هذه اللغة المظلومة تتهم اليوم بانها عاجزة عن اداء اصطلاحات الالفباء وابجدية العلوم في المدرسة الابتدائية ، وانها لاتملأ الفراغ الفكري للشباب المغربي لتبرير سيطرة اللغة الفرنسية ، واستمرار احتلالها الفكري للمغرب ، رغم استقلاله السياسي .

ان السيطرة الفكرية على شعب ما عن طريق اللغة هي احدى الوسائل التي تنبه لها الاستعمار منذ فجر حياته ، وقرر اهميتها لاغراض السيطرة السياسية والاقتصادية ولذلك رأينا الدول الاستعمارية تخصص في ميزانياتها مبالغ طائلة لنشر لغاتها ، خصوصا في الاقطار التي تدور في فلكها ، او تقع في مناطق نفوذها .

واذا كان المغرب قد استطاع الخروج من فلك الاستعمار الفرنسي ، فيجب الاعتراف بانه لم يتخلص بعد من سرطان نفوذه ، ونحن نتحدث عن نفوذه الاقتصادي والعسكري ، ونكافح للتخلص منهما ، ولكننا لا نشير ابدا الى نفوذه اللغوي ، ولا نحاول التخلص منه ، بل على العكس ، نقويه ونمد في عمره ، ونعتبره احيانا في طليعة اعمالنا الوطنية ! .

ان التفكك الخطير الذي يجتازه التفكير الوطني في بلادنا اليوم ، هو بداية ثمار التعليم الفرنسي اللاديني المطعم بالسموم المدسوسة ، الذي حضر بعناية ، للقضاء على طاقاتنا الروحية والخلقية والفكرية ، التي هي عناصر استقلالنا وقوتنا ووحدتنا ، ونحن ما لم نقوم هذا التعليم ونعربه ونوحده ، فاننا نمد في عمر الاجيال المغربية التي سوف تتصارع فوق تراب وطنها لتمثل عليه ما اراده الاستعمار لها .

وليت شعري كيف يمكن لاية حكومة وطنية تريد ان تبعث شعبها بعثا جديدا ، وتستفز ما فيه من كوامن الغيرة والاعتزاز والثقة بالنفس ، وتنفخ فيه روح الثورة لينطلق في طريق التحرر الكامل ، ثم لا تضع لنفسها سياسة قومية محددة ، تستمد قوتها من لغتها الوطنية، وعقيدتها الدينية ، وحضارتها القومية ، لتصل حاضرها بماضيها ، ومستقبلها بحاضرها ؟! .

واذا كان الاستعمار هو المسؤول عن جهل جيلنا الحاضر بلغته ، فاننا سنكون مسئولين عن استمرار هذه المأساة بالنسبة لاجيالنا المقبلة . لقد مرت ثلاثة اعوام على استقلالنا لم يتغير فيها وضع اللغة العربية الذليل الا قليلا ، بينما تحصنت اللغة الفرنسية في مراكزها ، اشد من تحصن الجيوش الفرنسية في ثكناتها! فلم تتخل عن شبر واحد من امتيازاتها ونفوذها ، لا في المدارس الابتدائية والثانوية الاسلامية ولا في المدارس الاسرائيلية والمسيحية ، ولا في ادارات الدولة ومصالحها ، ولا في الشركات والمؤسسات العمومية ولا في اسماء الشوارع والاحياء المغربية .

اليس من واجبات الحكومة الوطنية اليوم ان تضع قضية « التعريب » في طليعة مهماتها الاساسية ، وان تعتبر كل وزير مسئولا عن تحقيق تقدم مستمر في تعريب المصالح والمكاتب التابعة لوزارته ؟ نعم يقع على وزارة التهذيب الوطني اكبر العبء في تعريب التعليم ، وخاصة في المرحلة الابتدائية التي يجب ان تكون عربية خالصة ، يصعد التعريب معها قدما للتعليم الثانوي والعالي ولعل من اهم واجبات هذه الوزارة ، ان تبذل مجهودا اكبر لنشر الثقافة العربية والتعليم الاسلامي في النواحي البربرية ، على طول جبال الاطلس وفي جبال الريف ، ولا شك ان هذا المجهود الضخم ــ الذي كان يجب القيام به منذ قرون عديدة ــ سيساعد على تكوين جيل مغربي اكثر انسجاما وتعاونا ، واشد حرصا وغيرة على خدمة المثل الوطنية العليا ، والنهوض برسالة العروبة والاسلام في هذه البلاد . ان كل مدرسة عربية نبنيها اليوم في جبال الريف وجبال الاطلس ، ستغنينا غدا عن اقامة ثكنات عسكرية مقامها ، وهذه الحقيقة يجب ان تعطيها الحكومة اعتبارها السياسي البعيد النظر ولعل الحوادث الاخيرة، وما رافقها من دعوة الى التفرقة العنصرية والاقليمية ، جديرة بان تدفع الحكومة للتفكير جديا في مستقبل الوحدة المغربية ، وليس هناك من سبيل لتدعيم هذه الوحدة الا بنشر اللغة العربية والتعاليم الاسلامية ، فقد كانا عنصري هذه الوحدة التي استقرت مدى ثلاثة عشر قرنا ، وكل تفريط من جانب

الدولة في احد هذين العنصرين : سيرمي بالبلاد في احضان الفتنة والخلاف والفوضى ، وسيفتح ثغورا تتسرب منها أصابع الاستعمار ومعاوله لتخريب البلاد من الداخل .

ان عمليات « الامن والاستقرار » الكبرى التي يجب ان تنهض بها حكومتنا لضمان السلام في ربوع المغرب ، لهي عمليات « التعريب والتعليم » في هذه المناطق التي احتفظت بلهجاتها البربرية ، وعاداتها البدائية ، دون ان تستعرب استعرابا كاملا . وان من حق كل بربري اليوم ان يتعلم العربية ويتكلم بها ، ليستوي مع مواطنيه في التفكير ، وفي تصور الاشياء وتقديرها ، والاستفادة من مظاهر الحضارة العربية ، واساليب التطور الحديث . ومن واجب الدولة ان تعطيه حق الاسبقية في هذا التعلم ، وان كل قرش توفره لوزارة التهذيب الوطني لهذا الغرض ، سندرك في آخر الحساب اننا اقتصدناه من وزارة الدفاع الوطني .

وفي المغرب 000 180 من اليهود المغاربة ، عمل الاستعمار على عزلهم عن الشعب المغربي ، وفرنستهم لغة وعاطفة ، واخضاع تعليمهم لاشراف مدارس « الاتحاد الاسرائيلي » المؤسسة الصهيونية العالمية ! . ما هي علاقة وزارة التهذيب الوطني بها بعد مرور ثلاث سنوات من الاستقلال ؟ ، هل استطاعت ان تضمها اليها وتشرف على برامجها ؟ هل حررتها من قبضة الادارة الاجنبية الصهيونية المستقرة في باريس ؟ هل عربتها ومغربتها لتصبح مدارس وطنية؟ . وفي المغرب عدا ذلك، مدارس اخرى تابعة للاتحاد العالمي لجمعيات ORT « لتعليم وترميم وعمل »الذي يوجد له فروع في 31 دولة ، ليس بينها اية دولة عربية او اسلامية باستثناء تونس والجزائر والمغرب ، بحكم خضوعها السابق لفرنسا ، والذي يوجد مكتبه الرئيسي بجنيف ، وكذلك « المعهد المركزي » الذي يقوم بتخريج اطارات هذه المدارس ، واعداد معلميها « فنيا! » تحت ادارة اليهودي الامريكي فولسكي . لقد تأسس فرعهذه الجمعية الصهيونية ORT بالدار البيضاء ، في عهد الحماية وتحت رعايتها . هل يجوز له ان يستمر في عهد الاستقلال ؟ هل انضمت مدارسه لوزارة التهذيب الوطني واشرافها « الوطني » ام لا تزال محتفظة باستقلالها ؟ !

وبعد ، كم هي المعارك التي يجب أن تخوضها اللغة العربية ، لتفرض احترامها وسيادتها في وطنها ، ولتخرج من السجن الضيق الذي حشرها الاستعمار الفرنسي في اعماقه ، وكبلها بسلاسله ؟ !

ان تحرير اللغة العربية من سيطرة اللغة الفرنسية، تحرير للشعب المغربي ، وتأكيد لوجوده ، واسترجاع لكرامته ، وضمان لوحدته ، وصيانة لعقيدته ، وتدعيم لقوميته ، وامتداد لحضارته .

تحرير اللغة العربية ، والدفاع عن حقها في الحياة والتطور والاستقلال ، هو واجب الدولة والشعب. وكل اهمال من طرف اية حكومة وطنية في هذا التحرير ، اهمال لواجب من واجبات الدولة ، وتفريط في حق من حقوق الشعب لن يغفره ابدا ، ولن ينساه .

انا قادم من المغرب

البلاد المباركة

بقلم الدكتور
صلاح الدين المنجد
مدير معهد المخطوطات
بجامعة الدول العربية

• حفظت التراث العربي في كل مسجد وزاوية ودار
• جمعت جمال الطبيعة وثروة الأرض ومجد التاريخ

قام الدكتور صلاح الدين المنجد مدير معهدالمخطوطات بجامعة الدول العربية ، برحلة الى المغرب ، للبحث عن المخطوطات . وقد تشرف الدكتور بمقابلة جلالة الملك سيدي محمد الخامس ، كما اتصل بالدوائر الرسمية خصوصا في وزارة الخارجية ووزارة التهذيب الوطني ووزارة عموم الاوقاف ؛ حيث وجد الترحيب الكامل ، والمساعدة اللازمة لنجاح مهمته ، ثم قام سيادته ـ برفقة الاستاذ ابراهيم الكتاني رئيس قسم المخطوطات بالمكتبة العامة بالرباط ـ بجولة في بعض المدن والقرى المغربية، حيث وقفا معا في مختلف المكتبات العامة والخاصة ومكتبات المساجد والزوايا على جملة من المخطوطات .

وعندما عاد الدكتور صلاح الدين المنجد من رحلته في المغرب ، كتب هذا المقال القيم في مجلة « العربي » الرائعة التي تصدر عن امارة الكويت ، والتي يراس تحريرها الدكتور احمد زكي مدير جامعة القاهرة سابقا ، ورئيس وفد مصر في مؤتمر اللجان الوطنية العربية لليونسكو ، الذي انعقد بفاس في السنة الفارطة .

وقد احببنا ان ننقل هذا المقال عن مجلة« العربي » القراء تعميما للفائدة ، ولما فيه من متعة وطرافة ، ولاطلاع القراء في المغرب على نموذج من الارتسامات والانطباعات التي تتركها زيارة المغرب في اذهان اخواننا من الاقطار الاخرى للعروبة .

ويجد القارىء تعليقا على بعض ما ورد في هذا المقال في النبأ الاول من « الانباء الثقافية » في آخر هذا العدد .

شكرا للدكتور صلاح المنجد ، ولمجلة « العربي »

دعوة الحق

بلاد عجيبة ، جميلة ، رائعة ! .. دخل اليها العرب .. يحملون دينا قويا ، وسياسة سمحة ، فأثروا في سكانها وامتزجوا بهم فاصبحوا شعبا عربيا متجانسا !

منها خرج صقر قريش ، بل صقر دمشق ـ عبد الرحمن الداخل ـ الى الاندلس فاسس مملكة « الفردوس المفقود » .

وفيها مشت مواكب المجد والحضارة على ايدي « الادارسة » و « المرابطين » و « الموحدين » و « بني مرين » ، و « السعديين » ..

بلاد مباركة اوى اليها العلماء ، واخرجت العلماء .

فيها انتشر مذهب مالك ، وفيها ظهر القاضي عياض ، وابن عذارى ، وعبد الواحد المراكشي .

فيهـا دفن لسـان الديـن بـن الخطيب اديب الاندلس ، والقاضي ابن العربي المعافري ، والملك المعتمد ابن عباد صاحب اشبيلية .

لقد حفظت التراث العربي في كل مسجد وزاوية ودار !

بـلاد جمعت جمال الطبيعـة ، وثروة الارض ، ومجـد التاريـخ .

كانت دائما درعا للعروبة والاسلام من هجمات الفرنج ، وكانت ارض النضال العنيف ، والكفاح المجيد، لطرد المستعمريـن .

ربوع عادت اليها نسمات العروبـة والحريـة لتستعيد مجدها الخالـد .

ان التاريخ ينظر اليها ليسجل ..

كانت امنية من احلى امانـي ان ازور المغرب .

وقد حاولت زيارته مرتين . فحال الفرنسيون دون ذلـك .

لان المغرب كان في صندوق حديدي لا يسمـح المستعمرون ان يدخله احد من ابناء العروبة .

ودار الزمان ، وذل المحتل الجبار ، وعادت الحرية ترفرف على ارض الابطال ، ودخلت الى المغرب .

كان همي ان اجمع ذخائـر التـراث العربي . وان ابحث عنها وان اصورها .

لكن ما رايته كان عجيبا وعظيما . وكان اوسـع واكبر مما ذهبت اليـه .

جمـال الطبيعـة في المغـرب

يقع المغرب الاقصى في الشمال الغربي لافريقية. في موقع نادر مهـم ، يحيط به بحران من اهم بحـار العالم : الابيض المتوسط في الشمال ، والاطلسي بحـر الظلمات .. من الغرب ، ويصل بينهما المضيق الـذي اعطاه بطل العروبة والاسلام اسمـه .. انه مضيـق جبـل طارق بن زياد .

ثم يمتد المغرب الى الجنوب حتى يبلغ الصحراء والى الشرق حتى يقف عند حدود سياسية مصطنعة وضعها الفرنسيون ، ليفصلوه عن الجزائر ، فاذا بمساحته تبلغ 520.380 الف كيلومتر مربع ــ اي مسـاحـة فرنسا نفسها .

ولقد حبته الطبيعة جمالا يقصر عنه الوصف . اعطته جوا رقيقا ناعمـا ، ذكرني باجواء الشام ولبنان. اعطته جبالا شمـا ، ــ هي جبال الاطلـس العليا ، والوسطى ، والشرقية ــ يبلغ ارتفـاع بعضها اربعـة الاف متر ، تراها مكللة بالثلج الناصع ، البراق تحت اشعة الشمس ، مكسوة بخضرة رقاقة .

واعطته اودية ناضرة ، وانهارا تنحدر ، وعيونا تجري ، وشلالات تنحدر ، فتروي النـاس وتـروي الارض ، وتشيع النمـاء والخصب .

ومنحته غابات كثيفة واسعة ، غابات من الارز ، والصنوبـر ، والسنديـان والسرو تمتد آلافا من الهكتارات .

وجعلت في ارضه انواعا من المعادن : حديـد ، ورصاص ، وفحم ، وبترول ..

جنـة .. على الارض !

واعطته بين تلك الجبال وتلك الاودية سهـولا خصبة ، تمتد امتداد البصـر ، تخرج مـن الخيرات ضروبا من الحبوب ، وتنبت الكرمة والزيتون ، ومـن الاشجار المثمرة الجوز واللوز والبرتقال والليمون .

لقد صعدت في تلك الجبال ، وهبطت الى تلـك الاودية ، واجتزت السهول الفيح ، فشعرت بعظمـة الطبيعة ، ودهشت بجمال المغرب . انه قطعة من العالم مجهولة . كانه سويسـرا ، وكانه لبنـان ، وكأنـه كاليفورنيا . بل كانه تلك البلاد مجموعة في رقعـة واحدة .

واذا كانت الطبيعة قـد منحت المغرب الجمـال والثروة والخصب ، فان موقعه الجغرافي اتاح لـه ان يلعب دورا كبيـرا في التاريـخ .

لقد استقرت به حضارة اهل المشرق ، حملها اليه جند الشام، وحضارة اهل الاندلس نقلها اليه الاندلسيون النازحون من الفردوس .

ففيه تحس بالحضارة العربية مجتمعة بلونيها . وفيه تجد ذخائر الفكر العربي مجموعة متناثرة .

ثم ان المغرب كان في تاريخه الطويل مكافحـا ومحافظا على الاسلام والعروبة . فلـولا المرابطـون والموحدون لاجتاحت جيوش الفرنجة افريقيا ، ولـو لا نور الدين وصلاح الدين لذهبت جيوش الفرنجة بالمشرق .

كان ابدا يسعى ان يحافظ على تراثه الروحي والقومي .

وكان ابدا يريد ان يكون حرا . قويا . سيدا

وما كفاحه في السنين الاخيرة ، لاخراج المحتلين، الا بقية من روح لضالة في الماضي ومن وحي تاريخه المجيد .

عواصم اربع !

وعاصمة المغرب الرباط . وكان العرب يسمونها رباط الفتح .

ولكن ليس للمغرب عاصمة واحدة .

الجميع يقولون ان لها ثلاث عواصم اخرى !

ان هناك « فاس » ، ذات الدروب الضيقة المتعرجة ، المنحدرة تارة والصاعدة تارة . التي اسسها ادريس الثاني ، ودعا الله ان يجعلها مثابة للعلم والعلماء، فقام فيها مسجد القرويين ، ومكتبة القرويين ، وسكنتها مئات من الاسر الاندلسية التي نزحت من اسبانية . .

انها عاصمة العلم .

وهناك مدينة مراكش الضاحكة ، ذات الجو الصافي ، التي اسسها « يوسف بن تاشفين » ، وجعلها عاصمة المغرب العربي كله ، من ليبيا الى الاندلس ـ والتي تزهو بمئذنة مسجدها الكبير المسماة بـ « الكتبية » ـ وهي اخت مئذنة «الخيرالدا» في اشبيلية ـ هذه المئذنة التي تقف على علو سبعين مترا ، فتستقبل القادمين الى مراكش من اين جاءوا .

فهذه عاصمة السياسة .

وهناك الدار البيضاء ، واسمها الاسباني « كازا بلانكا » ـ الملأى بالوان من الاوروبيين والسوريين ، واللبنانيين ، وبآلاف من اليهود . .

انها عاصمة التجارة .

اما الرباط فلم تكن لتضارع فاس ولا مكناس ولا مراكش . بل اتخذها الفرنسيون عاصمة منذ عام 1912 عندما بسطوا حمايتهم على المغرب . مبتعدين عن مراكز المجد والسياسة والثقافة والحضارة في البلاد .

القديم لنا . . والجديد لهم

والذي يدهشك في مدن المغرب وقراه الكبرى وجود مدينة قديمة مغربية ، والى جانبها مدينة حديثة اوروبية ، بناها الفرنسيون لسكناهم !

وحدثني الكثيرون ان هذه المدينة الحديثة كانت محرمة على ابناء البلاد ، على المغاربة . فلا يستطيع احد ان يسير في شوارعها بله ان يدخل دورها ! !

وهذا القديم المعرق في القدم : الشوارع الضيقة، والدور المتراصة ، والمآذن الاندلسية المربعة ، والروح المغربية الظاهرة في الملابس والازياء والمتاجر والاسواق. وهذا الحديث الصارخ بالحداثة : الشوارع العريضة، التي اصطفت على جانبيها النخلات او الاشجار ، والبنايات الضخمة التي تداعبها الشمس ويدغدغها الهواء ، والروح الاوروبية الظاهرة في كل شيء . هذا القديم والحديث معا يقدمان تضادا جميلا قد لا تراه في كل مكان .

لقد كان الفرنسيون يبنون هذه المدن ، ويشقون الطرق الواسعة العريضة بينها ، الطرق التي لا تجد مثلها في فرنسة ، ويقيمون السدود ، ويعدون الاقنية، ويستثمرون الارض . يحسبون ان البلاد بلادهم وانهم مخلدون فيها فاذا بهم يخرجون منها مدحورين مقهورين ، واذا بالشعب المغربي يرث ما بنوه وما صنعوه بل تعود اليه ارضه ومدنه وبلاده .

ولقد سمعت فرنسيا يقول : لو كنا نعلم اننا سنخرج من المغرب لما صنعنا فيه شيئا !

ولعمري اصنعوا ما صنعوا من مال باريس ؟ ! ام انهم صنعوا ما صنعوا بالجزء الضئيل من ثروة البلاد التي كانت تسرق وتهرب الى باريس ؟ !

الذوق الفني . . في كل شيء

وادهشتني الدور المغربية التي دخلت اليها . ان العين تسرح فيها وتمرح ، وانها لتنعم برؤية الوان من الجمال والفن .

دخلت دور العمال والباشوات ـ اي حكام المقاطعات ومحافظي المدن ـ ودخلت دور الفقهاء ـ اي العلماء ، ودور الموظفين ، ودور ابناء الشعب فرايت فيها جميعا اثرا من الذوق والفن .

وانما يزداد الاثر بحسب الفقر والغنى .

ففي ساحة الدار ، وفي غرفة الضيافة ، تجد الزليج — وهو القاشاني — يغطي الجدران من ادناها الى وسطها . فيبهج العين بزخارفه والوانه الفرحة .

وفي بعض الدور تجد ما فوق الزليج الى السقف او ما فوق الابواب ، مغطى بالزخارف الجبصية الرائعة . وقد حمل اهل الشام هذه الزخارف الى الاندلس ، وحملها اهل الاندلس الى المغرب . وانك لتجد في دور المغرب ، ومساجده ، ومدافن ملوكه ، كقبور السعديين مثلا ، من هذه الزخارف ما هو اجمل من الجميل .

وفي بعض القصور تجد السقوف الخشبية المزخرفة المدهونة التي تذكر بقصور دمشق والقاهرة في العهد العثماني .

او تجد السقوف الخشبية المصنوعة من خشب العرعر ، وفيها نقوش وزخارف من اروع ما يكون . والذي يدعو الى الفخر ان هذه الفنون كلها صناعات محلية تنتجها ايد عبقرية مغربية .

اما الدور في القرى فلها شكل الحصون من الخارج .

وهي دور متلاصقة من الطين الاحمر ، لا يكاد ينفذ اليها نور ولا يتسم فيها هواء .

تجد القروي نفسه فيها والى جانبه اصدقاؤه : البقرات والدجاجات والحمار .

ولكنك لا تعدم في مضافات هذه الدور الزرابي والاواني ، ولا يغيب عنك اثر من آثار الفن والذوق .

« البسطيلة » .. و « الاتاي » !

ويستقبلك المغربي في المضافة — صالون الاستقبال .

فترى الزرابي مبثوثة في الارض ، والطنافس الجلدية فوقها ، وترى على جوانب المضافة الطراريح والوسائد .

هنا تجلس لتشرب الاتاي ، اي الشاي الاخضر ، وهنا تاكل اذا دعيت للطعام .

وما يزالون ياكلون في الدور المغربية بالايدي . يطوفون عليك بالماء لتغسل يدك اليمنى .

ثم يؤتى بصينية واسعة توضع امامك ، ويتحلق المدعوون حولها .

ثم تاتي « البسطيلة » ويترادف وراءها اللحم الطاجن ، والدجاج ، والكسكسي .

وعليك ان تاكل بيدك اليمنى وحدها ، وان تاكل مما يليك .

وقد يستعاض عن البسطيلة باللحم المشوي . وقد لا يقدم لك الكسكسي لانه محتقر عندهم ، والضيف يكرم باللحم وحده .

وحلوى المغرب لا توازي حلوى الشام ولبنان . وهم يقدمون احيانا المحنشة . وهي تشبه الى حد المبرومة بالشام .

ثم يؤتى بالفواكه وحب الرمان .

ثم باللوز والتمر ..

وما عليك ان اكثرت الاكل !

فان وراء ذلك هاضوما قويا هو الاتاي — اي الشاي الاخضر ، يصنعه امامك احد المدعوين ويدخل فيه النعناع الاخضر الشهي — وتشرب منه كوبا او كوبين .

ولا تخف ، فكل داخل ينفع كما يقولون !

صناعات شعبية !

ويعجبك في المغرب محافظة اهليه على صناعاتهم الشعبية ، صناعات ورثوها عن اجدادهم وحافظوا عليها .

مثل الاواني النحاسية والفضية ، من صوان ، واباريق ، ومباخر ، وقماقم ، وغطاءات للاطباق . تنقش كلها نقوشا بديعة وتزخرف .

وصناعة التسفير (التجليد) وزخرفة الجلود ، وسروج الخيول .

وصناعة الزرابي (السجاد) ومن الزرابي ما يشبه سجاد آسية الصغرى .

والمنسوجات الحريرية الشفافة الملونة بالوان الربيع او الموشاة بالذهب .

والحلي العجيبة ، من اساور واقراط وعقود وخواتيم ، كلها منقوشة ابدع نقش .

والاسلحة المزخرفة ، من سيوف ورماح ، المطعمة بالفضة والذهب والاحجار الكريمة .

الاواني الخزفية الملونة والمنزلة بالمينـا .

كل هذه صناعات محليـة تراها وتعجب بها .

المغربيـات بن الحجاب والسفـور

وما تزال المراة المغربية محجبة فى المدن .

والسافرات فيهـا قلائـل .

اما فى القرى والسهول والجبال فلا حجاب .

والزي التقليدي الـذي يلبسنـه فى المـدن : جلباب واسع له قلنسوة يستوي فيه الرجال والنساء.

حتى اذا نظرت احيانا الى ظهور المارة لم تكـد تميز المراة من الرجـل .

وفى الارجل نرى (البلغات) الصفر او البيض .

وعلى الوجوه منديل يخفي الانف والفـم ومـا تحتهما ، فلا تبدو الا الاعيـن .

وجمال المراة المغربيـة ظاهـر .

واكثر ما شهدت من الجميلات فى فاس ، وقـد صادفت فى الطرق منهن ذوات عيون زرق ، سمعتهن يلثغن بالراء كالباريسيات . وجمال العيون فى مراكش شائع ، وكلها عيون فى اطرافها حور . كعيون صاحبة جرير . وحدثت ان المغربيات فى جبال الاطلس العليا من اجمل نساء العالـم .

ومع ذلك فهناك نساء حديثات سافرات يحاولن ان ينهضن باخواتهن .

انهن ينشرن التعليم ، ويعن الفقيرات ويكسونهن .

لقد بدان فى الطريق وسيصلـن .

موشحات اندلسية .. ودف ودربكـة !

والمغاربة من اكثر الناس حبا للغناء والرقص .

يحبون الاغانـي المصريـة ..

ولكن الموسيقى المغربية الصحيحة تظهر فى لونين من الاغانـي .

الموشحات الاندلسية ، وسامعها يحس بتأثيـر مزامير الكنائس وموسيقاها . ولعل هذا من تاثيـر نصـارى الاندلـس .

والشعر الشعبي ، وهو الملحون يتغمونه انغامـا فيها كثير من الاحلام والحنين .

اما اغاني الاهالي من سكان الجبال والسهـول فهي تشبه الاغاني البدائية الزنجية الافريقية ، ويرافق الغناء الدق المتواصـل على الطبـل ، وقرع الـدف والدربكـة .

تـراث مهمـل !

كل هـذا اعجبني واطربنـي .

ولكني شعرت بالحزن العميق ، فى المغرب الضاحك مرتيـن .

مرة عندما رايت مئات من المخطوطات العربيـة النادرة تتهافت ، وتتساقط اوراقها من الارضة والغبار والاهمـال .

ومرة عندما زرت قبر الملك الشاعر المعتمد بـن عباد فى اغمات . فما وجدت سوى كومة احجار .

ليس من الحق ان نهمل تراثنا ، وأن نهمـل عظماءنـا .

فلن نستطيع ان نبني المستقبل ان لم نفد مـن الماضي . وما الماضي الا رجـال وتراث .

مشاكـل ومتـاعب

لكن هذا المغرب الجميل ، ارض الكفاح والبطولة، ذا التاريخ الحافل . يعاني المتاعب .

لقد اورثته الحماية الفرنسية مشكلات سياسية وثقافيـة واقتصاديـة .

وهو يحاول جهده ان يتغلب عليها .

ولم تخفنـي هـذه المتاعب .

فقد لمست عزما على الخلاص منهـا ، ولمست ايمانا بالحرية والتحـرر .

لمست ذلك عند كل من رايته وقابلته . من الملك المكافح الى رجل الشارع .

وما دام الايمان بالحرية والتحرر ، والعزم على الخلاص ، والبناء موجودين ، فلا خوف من المصاعب والمشاكل . بل قد تكون المصاعب سببا فى عمق الايمان وتقويـة العزم وسرعـة النصـر .

صلاح الدين المنجد

نقـلا عـن مجلة (العربي)



في مؤتمر الأدباء العرب

البطولة في الأدب العربي منذ سقوط بغداد حتى فجر النهضة الحديثة

بقلم: الدكتور شكري فيصل
وفد سورية

جل البحوث التي القيت في الدورة الرابعة لمؤتمر الادباء العرب التي انعقدت بالكويت من 26 الى 28 دجنبر 1958 كانت بحوثا منهجية ؛ بيد ان في صدر ما استرعى انتباه المؤتمرين منها خمسة او ستة بحوث ، منها هذا البحث القيم الذي القاه الدكتور شكري فيصل ـ الوفد السوري، والذي اخترته للنشر في مجلة (دعوة الحق) استجابة لرغبة رئيس تحريرها ...

ولا يفوتني بهذه المناسبة ان اهنيء القائمين على مجلة (دعوة الحق) بما تتمتع به من احترام وذكر طيب في الاوساط الادبية والفكرية في الشرق العربي ، فقد سمعنا الثناء عليها من كثير ممن قابلناهم من اعضاء وفود البلاد العربية الاخرى كمصر وسوريا والكويت والعراق ولبنان ؛ ولكن ذلك لا يمنعني من أن اعتب على القائمين على هذه المجلة ما يلاحظ من نقص في توزيعها هناك ، وأن كنت اعلم مقدما ان ذلك ربما كان يرجع الى بعض الصعوبات المادية .

مهما يكن فان هذه المجلة جديرة بان تشرف المغرب في الخارج ، وان تملأ الفراغ الذي يحس به اخواننا في البلاد العربية الاخرى فيما يتعلق بالحركة الفكرية والادبية في المغرب ، وفي ذلك ما يكفي لتبرير كل التضحيات المادية التي يستلزمها توزيع هذه المجلة بكيفية اوسع خارج المغرب وخصوصا في البلاد العربية والاسلامية .

عبد الهادي التازي

حين كان ابن الاثير يكتب تاريخه الكامل يقص فيه سيرة هذه الامة التي خرجت من الجزيرة تحمل دعوتها ولغتها ورسالتها الى الناس ، وتنشر مثلها الرائعة وقيمها الكريمة ، حيث كانت تحل من الارض، وتخرج الناس من اسار العبوديات وتطلقهم في آفاق الحياة الحرة ، وتنفخ في وجودهم المتداعي روح الوجود الحق الذي يربط الانسان بأسمى ما في الانسان ، بعقله، ويربط عقله بأبعد آفاقه ، بالله .. بهذا التاريخ ، بأحداثه ووقائعه ، صفحة بعد صفحة ، وسنة بعد سنة ، كان يحرص على ان يكون عرضه وتناوله سليما نقيا .. يجتهد في تحري الصواب ، ومسند الحادثة التي تستحق الاسناد الى اصحابها .. ولكنه على كل حال كان في اكثر اجزاء تاريخية حريصا على ان يقف من الوقائع والاشخاص والاحداث موقفا موضوعيا .. وقد يتاثر بهذا العامل او ذاك ، وقد ينفعل هذا النوع من الانفعال الملائم او ذاك من الانفعال المعاكس ، ولكنه على كل ذلك كان حريصا على أن لا يدع لهذا الانفعال أن يكون له انعكاسه فيما يروي او

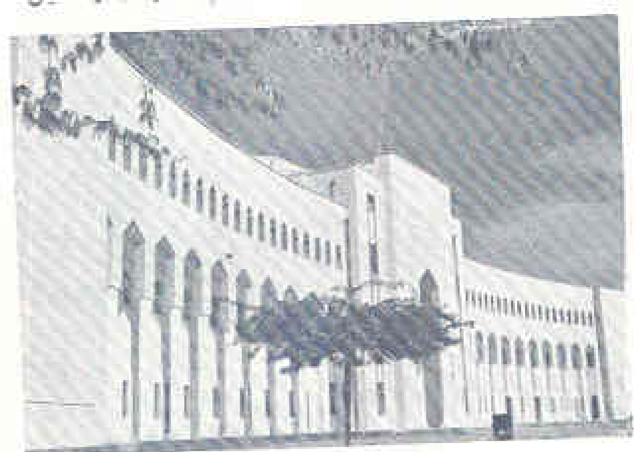
ينقل .. انه ، بمعنى آخر ، حرص على ان يقف من الاحداث موقفا حياديا .. فاذا انت تقرؤه حين تقرؤه فلا يصدمك فرحه وحزنه ، رضاه او سخطه .. وما اكثر الاحداث التي مر بها ، والوقائع التي عرضها ، وما اغنى هذه الاحداث والوقائع .. منذ نشأت هذه الامة العربية الجديدة ... ولكن ابن الاثير هذا حين بلغ الحديث عن قصة اعنف غزوة همجية سربلت العالم ، والتهمته كما يلتهم حوت هائج سمكة وادعة جميلة ، ترقص اجنحتها السحرية رقصة الحياة السعيدة ، حين بلغ هذا كان مجرد ذكرى هذه الغزوة يثير عنده الهول والفزع .. ومن المؤكد انه احس الجفاف في حلقه ، وان قلمه ذا الشباة المنطلقة المرهفة التي كانت تنفرج عن الحديث الشهي الطيب رجف في يديه وجفة الاشفاق ان يسطر قصة هذا السيل الهمجي الغاشم الذي اتى في طريقه على كل معالم الحضارة التي صاغتها الحياة العربية من ألق عيون ابنائها ذرة بعد ذرة ، من توهج الابداع وبريق الحدس ، من صوب العقول ، وحصاد الذهن البشري الذكي ، حين يجمع الى ثقافته كل الثقافات التي سبقته ، والى تجاربه كل التجارب التي تقدمته ، والى حماس الرغبة قوة الارادة وجلد البحث ، ودأب العمل وسهر الليل الطويل في سبيل الحرف والرمز والكلمة والفكرة .. وفي سبيل الخط والرقم والمعادلة ، وفي سبيل الصبغ واللون والتركيب .. حتى كان من كل ذلك هذه الحضارة التي انتشلت ماضي الانسانية ، وانقذت الفكر القديم من وهدة الجهالة التي آل اليها لم اغنته ، ورقدته ، واضفت عليه واضافت اليه ، وشقت له طريق المستقبل ، هذا الذي يعيش فيه اليوم ... أجل لقد رجف القلم في يد ابن الاثير ... ما ارتضى ان يكون هو الذي يسطر للاجيال ، لكل الاجيال الانسانية من بعده ، هذه المأساة .. فاغفل الحديث عنها سنة بعد سنة ودافعه عاما بعد عام .. حتى اذا لم يجد مناخرا بدأ حديثه عن سنة سبع عشرة وستمائة (617) بهذه الصفحة التي صاغها من دموع عينيه ومن دموع قلبه على السواء .. هذه الصفحة التي كانت كأنما هي دفعة آهات حرى .. ولو كان لها ، هذه الصفحة ، ان تحيا في وجدان شاعر لصاغ منها اروع اناشيد الالم في تاريخ الانسانية منذ كانت .

تمنيت ايها السادة لو قرأت عليكم هذه الصفحة .. انها تصف كيف خرج التتار كالسيل الهادر يجرف كل ما في طريقه ، فاذا الاشجار احطاب وخضد ، والبيوت احجار ، والمدن خرائب .. واذا العاصفة تذرو كل شيء ، واذا هؤلاء المنطلقون كأنهم جن اسود ، قد انشعبوا هنا وهناك كأقدام اخطبوط مسلطة في كل وجه ، فأتوا على المدن كما يأتي سرب من جراد على جنة ارض ، فيجعلها جذوعا يابسة لا ثمر ولا شجر .. والى ذلك آل امر كاشغر وسمرقند وتعالت السنة النار في بخاري ، وقودها كل ثمرات الفكر ، وقطع الخارجون خراسان تخريبا وقتلا ونهبا ، ثم تجاوزوها الى الري وهمذان ، والجبل وما فيه من البلاد الى حد العراق ... اما اذربيجان فقد قتل اكثر اهلها لم ينج الا الشريد النادر .. ثم قصدوا القفجاق « القفقاس » فقتلوا كل من وقف لهم وهرب الباقون الى الغياض ورؤوس الجبال ، وفارقوا بلادهم واستولى عليها هؤلاء التتر .. ومضت طائفة اخرى منهم الى غزنة وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان ففعلوا فيها ما فعلوا في غيرها ، وانطلقوا في كل صوب لا يمنعهم مانع .. والتقى على هذا الوطن الكبير خطر هؤلاء التتار من نحو ، وخطر الصليبيين الذين قصدوا دمياط من نحو آخر ، واشرفت ديار مصر والشام وغيرها على ان يملكوها لولا لطف الله تعالى ونصره عليهم كما يقول ابن الاثير . اما الذي سلم من هاتين الطائفتين فالسيف بينهم مسلول والفتنة قائمة على ساق ..

تلك كانت الصورة الكالحة لوطننا الكبير في هذه الفترة : خطر خارجي محدق ، واطراف مهددة ، وفتن داخلية مضطرمة .. لقد تقدم التتر واستقام لهم هذا الامر لعدم وجود المانع على حد تعبير ابن الاثير .. اجل ايها السادة لم يعد هناك هذا المانع الذي يقف لهذه القوى الخبيثة ، المهاجمة ، المفاجئة .. لم يعد هنالك مانع مادي ، فقد تبددت القوى وتكسرت الوحدة واخذت تتآكل اطراف هذه الدولة الكبرى مع الاحداث حتى لتوشك هذه الاحداث ان تنال القلب .. بل انها نالت فعلا بغداد مع التتر ، واطراف الشام وسواحله مع الصليبيين ، .. وضاقت على هذا القارب العربي الذي كانت الآفاق البعيدة ادنى حدوده ، ارضه من حوله ، واختلف فيه الملاحون وعزفت الامواج على المجاديف نشيد الموت .. لولا ان الشعلة التي انطلقت من الجزيرة كانت لا تزال تتألق كالشموع في بعض النفوس الصافية ، تغالب ظلمة الليل وتنهض وحدها لجيوشه السود تكشفها وتفضحها، وتحمل خفقاتها معنى القلب الذي لا يزال ينبض بالحياة .. ولولا ان القارب لم يعدم بعض ملاحيه كنور الدين وصلاح الدين والظاهر كانوا ينذرون ارواحهم لحمايته،

ويقف الواحد منهم وراء الآخر في سلسلة الاحداث اروع ذكيا كجبل شامخ يستعلي على كل ما في الوادي والسفح ، يعري ذراعيه وقد بدت عروقها ، يحرز السفينة ويسير معها وسط الضباب والموج من مسرب الى مسرب حتى ينتهي بها الى الامان .

* في هذه الفترة وفي فترات حولها ، قبلها وبعدها ، كانت البطولة التي تكشفت عنها الروح العربية في ذلك الحين تعني المقاومة والتكبر على الاحداث .. اريد ان اقول تعني نشأة المقاومة وتكونها وتجمعها حتى تقف بالاعصار الآتي من الشرق والآتي من الغرب على السواء للاعصار التتاري وللاعصار الصليبي ، وبدت هذه البطولة في دفع الصليبيين مرة بعد مرة حتى خرجوا عن مصر والشام ، وارتدت القدس مدينة من مدن العرب وحرما مقدسا من حرمات الاسلام » وانكشف الدخلاء عن الساحل والداخل ، وتبدت كذلك في هزيمة التتار ، والوقوف بمدهم هذا الطاغي في معركة عين جالوت حين رد الملك الظاهر جيشهم العاتي وأذاقهم طعم الهزيمة بعد ان كانوا لا يعرفون الا حلاوة الانتصار ... وكانت بطولة جيش الظاهر لا تحمل معناها المادي، فلعل معناها المادي هذا ان يكون اضعف ما فيها .. وانما تحمل معناها البعيد في صيانة الحضارة وحماية المدنية وثمرات الفكر ان تكون طعمة للنار يوقدها رعاة الاغنام والابقار والخيل .



ثانوية الشويخ بالكويت ، وبها قاعة الاجتماع التي كانت تعقد فيها جلسات المؤتمر

والمقاومة : روح المقاومة وخلق المقاومة ، وايقاظ معاني المقاومة والحيلولة بين الناس وبين أن يغرقهم الاستسلام ويتملكهم اليأس ، واثارة كل ما في نفوسهم من امجاد وقيم ، وشدهم الى مثل اعلى هدفه أن يدفع الدخيل الخادع وان يمكن للاصيل المؤمن .. هذا كله ابرز معاني البطولة في جزء كبير من هذه الفترة التي حدثتكم عنها .. انها لم تكن بطولة مادية وانما كانت بطولة راي وكفاح من دون هذا الراي ، وبطولة تجرد وجها في سبيل هذا التجرد .

* ولقد تعودنا ايها السادة ان نجد معاني هذه البطولات اول ما نجدها في عصر من العصور عند شعرائنا ... لان شعراءنا كانوا بحكم انهم من ابناء هذه الامة من نحو وبحكم صلاتهم بالسلطان من نحو آخر — كانوا اقدر الناس على ان يعبروا عن هذه المعاني وان يحسنوا صياغتها .. كان فيها التعبير عن انفسهم وكان فيها كذلك تحميل اصحاب السلطان مسؤوليتها مما وضعهم امام مسؤولية التاريخ والزمان .. ومن هنا ايها السادة كان شعر المديح جديرا ان ينظر اليه في تقويمنا للتراث الشعري وفي دراستنا الادبية نظرة اخرى .. انه ليس دائما خور استجداء وذلة استعطاء .. انا نظلم روح المتنبي الدافقة وشموخ ابي تمام المستعلي وتمكينهما للقيم الاصلية في النفس العربية حين نعد شعرهما في المديح مديحا فحسب .. بل لعل المديح ان يكون ثوبه الظاهر قالبه او شكله الخارجي او مناسبته العارضة .. ان الروح ، روح تقديس الاستشهاد عن نصر او هزيمة هي التي املت على ابي تمام رائيته في رثاء محمد بن حميد الطوسي وهدير الروح العربية العميق كهدير المياه الجوفية تنبجس من نبع متدفق هي التي كانت تدفع المتنبي ان يقول ما يقول مؤمنا بسيف الدولة او كافرا بكافور .. ومن ذا الذي يزعم ان العطاء وحده هو الذي كان يدفع القيسراني الى ان يقول مهنئا وزير نور الدين « جمال الدين ابو جعفر الجواد » بفتوح مدينة الرها سنة تسع وثلاثين وخمسمائة :

اما آن ان يزهق الباطل
وان ينجز العدة الماطل
الى كم يغب ملوك الضلا
ل سيف باعناقها كافل
فلا تحفلن بعسول الذئاب
وقد زار الاسد البازل
هو السيف الا تكن حاملا
ليبتره بزك الحامل

الى ان يقول يستعجل فتح القدس واستخلاص السواحل :

فان يك فتح الرها لجة
فساحلها القدس والساحل

وهل كان العطاء وحده هو الذي يدفع القيسراني ان يقول مهنئا نور الدين باستقرار امر دمشق له ، ناقضا بين يديه احلام الناس وامانيهم :

كأني بهذا العزم لا فل حده
واقصاه بالاقصى وقد قضي الامر
وقد اصبح البيت المقدس طاهرا
وليس سوى جاري الدماء له طهر

اليس هذا الذي كان يقوله هؤلاء الشعراء في هذا العصر المتاخر او ذلك المتقدم انما يعبرون به عن روح الجماعة المنطلقة .. عن آمالها التي تتحرق ـ اعماقها اندفاعا للوصول اليها ! .. الم يكن هؤلاء الشعراء في هذا لهاة الناس .. لسانهم .. ؟ .. لكن ما يكون من امر هذا القالب الخارجي الذي صبغ فيه هذا الشعر ... ليكن المديح قالبه ، وطلب العطاء بعض ما فيه ، فليس ذلك شيئا امام روح الامة التي كان يعبر عنها الشعراء بهذا الشعر .. وقد آن لنا بعد ان نسمي الاشياء باسمائها البعيدة وان نطرح عنها هذه الاثواب الزائفة التي كسيت بها .. آن لنا ان نقول ان ما نسميه هجاء او مديحا ليس الا طرفا عارضا في القصيدة ، وان القصيدة من قبل ومن بعد ليست حين تكون في موضعها الحق من الصدق النفسي والتجاوب مع مطامح الجماعة والتعبير عن مطامعها والتمثيل لتطلعها ليست الا روح هذه الجماعة وتصويرا لمثلها الاعلى وتعبيرا عنه .

واذا كان هذا حقا في اكثر فترات الازدهار في حياتنا الادبية ، تدل عليه القصائد ، وتنبيء عنه الاشعار .. فان فترات الانحطاط بعد سقوط بغداد تؤيد ذلك تاييدا سلبيا .. ذلك انا ننظر في الشعر الذي قيل في هذه الفترة ، في مرحلتيها المتميزتين مرحلة التتار ومرحلة العثمانيين ، فلا نجد شعراً ذا بال « بله ان نجد القيم البطولية التي يعبر عنها الشعر او يبشر بها ؛ نجد قصائد ومجاميع ، وتطالعنا مختارات ودواوين ، ولكننا لا نجد الا في النادر الشعر الذي يعبر عن روح الجماعة ويمثل تطلعها .. انا نجد موسيقى الشعر ووزنه ولكننا لا نحس حرارته ، ولا يتوهج في اعيننا القه .. كل مظاهر الشكل نلمحها ، ولكن ابرز سمات الروح تخفى علينا ... فما الذي حجب عنا اصالة الانتاج الفني شعرا كان او نثرا ... ما الذي رد هذه الزهرات الندية زهورا اصطناعية جافة جامدة لها شكل الزهر ، ولكن ليس فيها النسغ الروحي الذي فيه ؟! وبالتالي ما الذي حجب القيم الكريمة في اعماق الروح العربية ؟ .

ان تفسير ذلك لا يبدو عسيرا .. ان الروح العربية ـ كائنا من كان اولئك الذين مثلوها خلال هذه الفترات قبل سقوط بغداد ـ فعلت كل الذي استطاعت فعله .. صدعت بالدعوة ، وحملت الرسالة وطلعت الى الناس بعد جاهليتها بروح انسانية عريضة تجعل من الانسان المؤمن مركز الحياة في الارض ، وتسخر له كل شيء في الآفاق .. ولكن هذه الروح العربية بالذي انتدبت له من امر هذه الحضارة الانسانية العريضة التي ارادت ان تبنيها ، لقيت كل العراقيل ، فجاهدت وعملت ، وعلمت وعاملت ، حتى اذا ادركها بعض الاعياء اثرا لهذه السلسلة من الارواح الخبيثة التي وقفت في طريقها ؛ روح العصبية فيها وروح الثأر عند الذين احيوا الفارسية ، وروح التسلط عند الذين بعثوا التركية وروح الخراب مع هذا الاجتياح المغولي، وروح التعصب والحقد في هذا الخطر الوافد من الغرب .. الروح العربية السمحة حين لقيت كل هذا وقفت عند الذي اشاعته واشعته ثم تركت لهذا الخليط المضطرب ان يفعل ما يشاء ، فاذا العصبية المنحرفة تفسد المعنى القومي السليم ، واذا الفارسية تفسد الروح الاسلامية التي تقوم على المساواة ، واذا التركية تفسد روح الدولة ، ومع ذلك فقد ظلت الروح العربية تغالب ذلك كله بحضارتها وثقافتها ورسالتها ولغتها ، غير ان بداية المغول وعصبية الصليبيين تستنزف في هذه الفترة الزمنية التي نتحدث عنها ما بقي في روحنا الاصيلة من قوة .. فاذا نحن نزاح عن مكان الريادة ، ولا يكون للعروبة الصافية بمعناها الذي خرجت به من الجزيرة موضع القيادة وانما تتتابع على القيادة هذه القوى المختلفة الهرمة والشابة ، ولكنها كلها لا تملك من الاصالة وعمق الروح وتعمق المثل الاعلى القدر الذي كان للاجيال الاولى ، ولذلك لا يكون لها في دفع هذا الركب البشري في طريق الحضارة الصاعد الا دور ثانوي ، وان كان توفر لبعضها من القوة ما فرض به وجوده ، وشيد ملكه ، واعطى الشرق معنى الهيبة في نظر اعدائه الغربيين

ومع خمود الروح الاصيلة خمد الشعر منذ سقطت بغداد .. كان صوت صفي الدين الحلي آخر الاصوات التي نفخت فيها هذه الروح مزاميرها ، وقال صفي الدين شعره تتخلل ثناياه نفحات من الروح العربية المنتفضة ... حرض على المغول وحذر منهم وكان ذوو السلطان حوله يفقهون قوله لانهم كانوا بقية من هذه السيوف العربية التي سكنت اغمادها بعد ، او بقية من السيوف التي طبعت على غرارها السيوف الايوبية ومن اتصل بها متأثرا خطاها ...

ولذلك نجد كثيراً من شعر صفي الدين معارضات ، ونجد عنده مثل الفخر الذي قرأناه في العصور الاولى .. ولكننا ندرك بوضوح ، ونحن نقرؤه ، اننا لسنا امام الشاعر الذي كنا نعرفه ، لسنا امام حسان او المتنبي او ابي تمام ، وان كان يلبس مسوح المتنبي ويكتسي اثواب ابي تمام، ويستعير اوزانهما وقوافيهما، ان شعره صورة باهتة الشمس في معناه السليم .. ولقد خيل الي وانا اقرؤه كانما انا احيا في الكهف السفلي ترتسم على جداره ظلال الاشياء .. ولكني لا احيا مع الاشياء ذاتها .. ان صوته يرتفع احيانا كما يرتفع صوت الشعراء ولكنه لا يحمل دفقة قلوبهم ودفء عواطفهم ، وتلك هي التي تهب الاصوات عادة رنينها المتميز .

وفي الوسع ان نعتبر صفي الدين من هذا النحو في المشرق خاتمة الشعر الذي يرنو الى المثل العليا ، وترتسم عليه بعض سمات البطولات العربية ... فاما الذين جاءوا بعده فقد لفتهم نزعة العزلة التي آثرتها الروح العربية لمكان القيادة .

« ومن هنا ايها السادة يعسر علينا العسر كله ان نتلمس معاني البطولة اية بطولة ، في الادب في هذا العصر .. وكلما مضينا مبعدين فيه كلما شق علينا الامر .. قد نعثر على البيت او المقطوعة او الشاعر في لمحة خاطفة من لمحات الاشراق المفاجيء .. ولكننا لا نلمح الثروة الشعرية الكاملة لان الروح التي كانت تمدها آثرت الانكماش » .

وكذلك ترون ايها السادة اننا لن نستطيع ان نلتمس البطولة كما كنا نلتمسها في العصور الاولى ، عصور الدعوة والانطلاق والامويين والعباسيين ـ من الادب أعني من الشعر والنثر ، وكما سنلتمسها بعد في عصور النهضة .. واننا ان نفعل ذلك فلن نجد شيئاً .. سنقرأ كثيرا من الدواوين ، ونعرض عديدا من الشعراء، وتطالعنا القصيدة بعد القصيدة ... ولكنا لن نجد في كل القصائد التي نقرؤها والشعراء الذين نتعرف اليهم، والدواوين التي نعرضها ما نحب أن نقع عليه ... لن ينبض شعر هؤلاء الناس نبضة الحياة العميقة ، ولن يتحدث عن مواجد الارواح الذكية القلقة وتطلعاتها واهتماماتها البطولية ... ان الحرف الذي صيغ به هذا الشعر عربي لم يتنازل عن عربيته في ذلك وان كان افسح للحرف التركي والفارسي مجالا كبيرا ... ولكنه حين تمسك بالحرف العربي لم يقبس معه شعلة هذا الحرف ولا وهجه ولا مرتكزه النفسي العميق الذي يقوم عليه ، ولا آفاقه البعيدة التي يفتحها ... لكان الحرف العربي في هذا الشعر اصابه شيء من عمى ، فاضحى وقد سدت عليه منافذ الوجود ... ولكأن الشعر الذي صيغ منه جاء كذلك مقفلا مصمتا ليست له المطلات الواسعة ، وتختبره تصغي اليه فلا تسمع له لا وسوسة ولا جلجلة ولا تحس له لذع الوهج او نشوة الدفء .



عمارة من عمارات الكويت ـ جنة الصحراء

وقد قرأت كثيرا من الشعر في هذه الفترة وفاء لشرف هذا الموقف فكان اكثر ما وجدت الغزل كانت كثرته بالغة وكان الى جانبه الاحاجي والتهنئة بالاعياد والختان ، والاخوانيات التي لا تتشرب المعاني الانسانية الشاملة ولا تتفتح عليها ... ولم يكن في كل هذا الغزل الذي قرأته ماجنا او متعففا ما يصح ان نقف عنده ... وكنت اقرأ فأجد ظلالا باهتة من شعر المتقدمين ... بل لعل الذي وجدته لا يعدو ان يكون اطلالا خربة للغزل الرائع الذي نعرفه في عصورنا الاولى والذي حاول ان يسبر غور النفس ، وان يتعمق دناها وان ينفذ الى سرائرها اذ يتحدث عن سرائر الهوى ومسارب الحب. بل كان اكثر الذي قرأته معادا مكرورا في كثير من التشويه .. وكنت اشعر كانما امضي في ارض قاحلة ترتع فيها بعض النباتات الشائكة لها اسم النبات ولها شكله ولكن لها منه خيره الذي ينفع فما هو شوكه الذي يؤذي ، واكثر من هذا ان هذا الغزل الجاف لم يحجب معاني البطولة ولم يستهلك قوى الجماعة الفنية واهتماماتها النفسية فحسب ... ولم يكن من سيطرته انه غطى اكثر جوانب النفس الانسانية في ذلك وانما كان له الى جانب هذا عمل آخر ... ذلك انه امتص معاني البطولة وافسد شعاراتها ـ فيما نقول بلغة اليوم ـ انه استخدم الفاظها ليشوه مفاهيمها ، او ليعطي هذه المفاهيم مضمونا معاكسا يتبنه في القلوب والاذهان كالذي نلمح اليوم من الاحتماء ببعض المفاهيم والطعن عليها في آن واحد ، الاستتار وراءها وتمزيق أطرافها ... وكان

من اثر ذلك ان القنا والرماح والسيوف والنصال وهي بعض مظاهر القوة وادوات البطولة لا تتبدى في هذا العصر في وصف الجيوش والمعارك وساحات الجهاد قدر ما تتبدى في وصف القدود والعيون والنظرات ... واي ـ ترد ابعد من هذا ان لا تقع على السيف ، سواء في واقع الجماعة او في عمليا الفني ، حيث يجب ان يكون من اعناق الطغاة او الظلمة وانما تقع عليه في هذا الرمز الذي يفسد طبيعته ويفسد طبيعة الغزل في آن واحد ... وحين كان العربي في مكانه الطبيعي من الحياة السليمة كان يذكر هذه الاشياء في نطاق الغزل ولكنه لا يترك لهذا الغزل ان يمسخ حقيقتها ويفسد طبيعتها ولا يتيح له أن يمتصها وان يشوهها وان ينسى ضمائر الناس جوهرها الاول ... وانما كان العربي يذكر ذلك فيتعرف هذا القرن الرائع النفسي ، العميق ، بين بريق السيوف وبين بريق الثغر حين تكون الرماح تنهل منه ... وتكون مهمة الغزل لا ان يفسد طبيعة البطولات وانما يكون من طبيعته ان ينمي هذه البطولات لانه لانه يصقلها ، وان يكون خيال المحبوبة وجمالها هالة جديدة في هالات المعاني الانسانية العميقة تحتاط مثله الاعلى وتساعد على اجتلائه وصقله .. كان العربي الاول يقول ما قال عنترة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل
مني وبيض الهند تقطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لانها
لمعت كبارق ثغرك المتبسم

اما الذي كان يقال في هذه الفترة فذلك مثل الذي يقوله شاعر اسمه يوسف المغربي (1) :

جعلوا الشعور على الخصور بنودا
والراح ريقا والشقيق خدودا

جعلوا الصباح مباسما ثم الظلا
م ضفائرا ثم الرماح قدودا

والورد خدا والغصون معاطفا
والشمس فرقا والغزالة جيدا

ورات غصون البان ان قدودهم
فاقت فاضحت ركعا وسجودا

وكان من الحق ان لا اذكر لكم مثل هذا المثال حتى لا افسد عليكم نشوة الابيات الاولى

ونحن في هذا لا ناخذ على هذا الشعر انصرافه الى الغزل ، فليس ذلك من غرضنا في شيء ، ولا نريد ان نحمل الادب معنى معينا فما ذلك من طبيعتنا في شيء، ولكننا نريد الى القول ان هذا الغزل فقد صلته بالنفس الانسانية ، فلم يعد هذا الحنين وهذا التشوق في مواكب الروح المتفتحة للجمال او للحق ، او للجنه ، بل انه باعد ما بينه وبين الجمال الحق ، والحق الخير ،والخير الجميل ، وما يقال عن الغزل يقال كذلك عن كل الفنون الشعرية الاخرى ... اطلال ليس فيها رائحة اصحابها، وظلال ممسوخة لا يرتسم من تموجاتها صورة نافذة ولا تدفع ايحاءاتها بالناس الى اعلى من المستوى الذي فيه يتمرغون .

« وكذلك غابت ايها السادة معاني البطولة في العمل الفني من وجهين اثنين : اولهما ان واقع الجماعة نفسه لم يكن من الغنى النفسي بحيث يستطيع ان يتمثل اعمالا فنية قيمه ... والآخر ان آمال الجماعة نفسها لم تكن من التفتح ومن الازدهار ، بحيث تشحذ الالهام وتصقل المشاعر فيتولد عنها هذا التوق الى عمل بطولي، او هذا الرمز اليه ، او هذا التبشير به » .

لن نقع على معاني البطولة اذن في الادب بمعناه الضيق الخاص ، اعني في الشعر والنثر ... ولكني قلت لكم في مطلع الحديث ان معاني البطولة في هذه الفترة تتمثل في المقاومة ، تتبدى في التابي ... تحاول ان تتلامح مع كلمة « لا » حيث يجب ان تقال « لا » .. فمن اين استقينا معاني البطولة هذه ؟ ... اين نقع عليها اذا لم نقع عليها في الشعر والنثر ؟ .

« لنخرج ايها السادة من نطاق الادب بمعناه الضيق من حيث هو شعر ونثر فقد عجز الشعر والنثر عن ذلك لم يسعفه الواقع ولم تسعفه الاماني ، ولنلتمس بطولة هذه الفترة من تاريخنا في الادب بمعناه العام ... وما اسرع ما نقع عليها ... ما اسرع ما تبدو لاعيننا وتملا قلوبنا روعة في سيرة كثير من العلماء في ذلك الحين في اسلوب حياتهم من نحو وفي عملهم العلمي من نحو آخر » .

« والاتصال بحياة هؤلاء العلماء الذين سكبوا نور عيونهم ليوقدوا به شعلة المعرفة ، وليحفظوا عليها القها ، والتعرف اليهم هؤلاء الذين حفظوا قيم الجماعة

(1) ريحانة الالباء 235 .

العليا واحتفظوا بمثلها حية نابضة ليسلموها بعد لاجيال النهضة . . . هو الذي يكشف لنا عن صور البطولة ففي سيرتهم تتمثل معانيها ، وما كانت حياتهم الا تجسيدا للمثل الاعلى الذي رسمت الحركة العربية مع الرسول الكريم ابعد ذراه » .

وإذا كان الشعر تبدى لنا، ونحن ننبش هذا التراث كالنبعة الجافة يشير مجراها الى ماضيها الثر على حين تلهث الحصا فيها من ظما ، ويتحرق التراب من جوع . فان النبع في الحق لم يجف وان كان كذلك بدا لنا . . . انه غاض هنا على السنة الشعراء والناثرين ، ولكنما انبجس هناك في سيرة العلماء والمصلحين . . . انه تخلى عن ثوبه الفني ليتبدى في ثوبه الواقعي في سلوك هؤلاء الذين سنشير اليهم في صرامة هذا السلوك — وفي مواقفهم في اصالة هذه المواقف ونبلها ، وفي حوادث حياتهم في ارتفاع هذه الحوادث من المستوى النازل الذي كانت تتردى فيه الحياة . . وكيف يجف النبع ومن ورائه هذا الرصيد الفخم ، من ورائه يمده سبعة ابحر ، وسبعة قرون ، من الحركة والفكرة ومن الدعوة والجهد ، ومن التنمية والتنشئة ، ومن الثقافة والعلم، ومن الحياة والفن . . . ان أوسع المغول ، مغول كل عصـر ، ان يهدموا طاقا او قصرا او جسرا ، ولكنهم لا يملكون ان يهدموا القدرة المستكنة على ابداع شيء مماثل . . . بل لعلهم يتيحون للذهن الانساني الحر ان يجدد في بنائه وان يتخلص من بعض عيوبه . . . انهم يستطيعون ان يحرقوا الكتب ، ولكنهم لا يطفئون الاذهان ، وقد تختل الذاكرة الفردية ، ولكن ذاكرة الجماعة لا يمكن ان تختل او تموت . . . والذين ازعجوا العربي عن مكانتـه ، وتنزلوا منزلته انما اتاحوا له فترة من استجمام يستطيع معها ان يجمع نفسه ، وان يرمم قواه لينطلق بعد انطلاقته الجديدة ، وان يبدأ حركة الحفاظ والمقاومة من هذين القطرين المتجاورين المتكاملين في كل مراحل التاريخ ، من الشام ومصر على السواء .

« وحين نأخذ انفسنا بدراسة سيرة هؤلاء العلماء في هذه العصور تتمثل لنا مظاهر البطولة في ناحيتين اثنتين :

1) اولاهما في العمل العلمي الذي التزموه .

2) والاخرى في الخلق العلمي الذي احتذوه .

ومن تجاور العلم والعمل ، الخلق والخلق كان نسيج البطولة التي رعاها هؤلاء العلماء .

1) اما عن العمل العلمي فما احسب ان الوقت يتسع لاحدثكم عنه . . . حسبي أن اذكركم بهـذه الافكار الشائعة التي تعرفونها من ان عمل العلماء في هذا العصر كان استحياء لهذا التراث الذي دمره التتار في تحريق بخاري وتغريق بغداد ، او الذي انصرف عنه من جاء بعدهم . . . كانت الموسوعات في كل جوانب المعرفة هي تجسيد هذا التراث ، من جديد ، صيانته، وتقريبه، والحيلولة بينه وبين ان يمتد اليه الضياع . . . وبذل العلماء في مصر والشام وفي غير مصر والشام في هذا السبيل من الجهد ما يبعث على الاعجاب حقا . . . كان معنى الحفاظ في الحياة العلمية هو الذي يملأ اذهان هؤلاء الاعلام . . . والحفاظ اول مراحل المقاومة ، وكان لهذا الحفاظ معناه الحضاري العميق ؛ فاقبلوا عليه : جمعوا ودونوا وانشاوا هذه المؤلفات الفخمة انشاء جديدا في تصنيفه وتبويبه » .

ولكني لن اترك هذا الحديث الذي تعرفونه عن الحفاظ العلمي قبل ان اشير الى جانب هام منه يلفت النظر طيلة هذه الفترة من سقوط بغداد حتى عصر النهضة . . . وذلك أن الحفاظ اولى صفاء اللغة اعظم اهتمامه . . . والعجيب انه رغم كل الامواج البـادرة الطارئـة على الحيـاة العربيـة ، ورغـم كـل العناصر الدخيلة التي لم يقدر لها ان تعرب كما تعربت العناصر الغريبة في العصور الاولى . . . فان عددا كبيرا مـن المؤلفات في الغريب والدخيل يعود الى هذه الفترة، وعددا كبيرا من المعاجم والمراجع اللغوية انما هو ابن هـذه العصور . . . لكانما استيقظ في اعماق الجماعة آنذاك ان الصفاء اللغوي هو اول معاني الوجود المتميز . . . وان هذه اللغة التي وعت ثقافة الذهن البشري كله ، انما هي احدى نقاط الانطلاق الرئيسية نحو شـوط جديد في الطريق الانساني الرحب . . . وان كل حركة مقاومة للضغط او استعلاء على الواقع السيء يجب ان يكون لها جذورها العميقة في روح الجماعة ، وما من شيء آخر يغذي هذه الروح ويثير عندها ابعد آمالها وارفع مثلها ويجمع حولها الاغراض والاهداف كاللغة . . يحمل كل حرف منها حيث وجد من كل كلمة شحنة ضخمة من فكر وعاطفة ومثل .

ولست لاعدد لكم هذه الكتب اللغوية ولا العناية التي بذلت فيها حرصا على الصفاء اللغوي . . . ولا ما كان من اثرها البعيد في ربط حلقات هذه السلسلة من تاريخنا ، بل ومن وجودنا .

2) هذا عن العمل العلمي » اما عن الخلـق والسلوك في حياة هؤلاء العلماء والآفاق الرفيعة التي كانوا يمتطونها الى غاياتهم فذلك الذي اريد ان اقف بكم

عنده ... لانه هو الذي يمثل فى صفاء الق الشمس ووضوحه استمرار تقاليد البطولة فى تاريخنا الطويل .. ولن استطيع ان اقول كل الذي اريده ، انما احب ان اسمي لكم ثلاثة او اربعة من ابرز من عرفنا من رجالنا فى هذه الفترة أو قريبا منها : العز ابن عبد السلام « 577 — 660 » والنووي « 631 — 676 » وابن تيمية « 661 — 728 » وتلميذه بعده ابن القيم « 691 — 751 » وآخرون كثيرون »

والحق اننا حين نعرف حياة هؤلاء الاعلام يروعنا منهم فى ضباب هذه الاحداث السود ، هذا الضباب الكثيف الواطىء الذي يكاد يلامس الارض ويغطي الطريق على السالكين — يروعنا منهم هذه الشخصية المتوثبة المتفجرة التي استطاعت بقوتها وصلابتها ان تعدي كل شيء حولها ، وان تحيل ضعفه الى قوة ، وتخاذله الى نصرة وتفرقة الى وحدة ، ومعاني الانسانية المتكسرة فيه الى مثل صورها السليمة الاولى .

ولم يكن هؤلاء الاعلام يستمدون ذلك من جاه موقت أو سلطان زائف ... لم تكن لهم أصول عريقة ولم يحملوا على اكتافهم شجرة أنساب وما احتملوا قط بما يحتمي به الناس : ظل امير ، أو نفوذ متسلط ، وانما نسخوا ظلال الامراء المبطلين وكشفوا زيف وجود السلطان الضال ... وقالوا على مسمع من الدنيا كلها : هذا لن يكون ، فلما لم يستجب لهم السلطان طوعا استجاب لهم كرها .

« قيمة هؤلاء الاعلام ايها السادة فى هذا السلوك المتفرد الفذ انهم جددوا اولا معاني البطولة التي اوشك ان يأتي عليها الزمن ، وأن تدفنها الاحداث بايديها التي تقطر منها الدماء ... وانهم احيوا فى نفوس العامة ، نفوس الجماهير ، من اقصى الارض الى اقصاها ايمانها العميق بأن السيطرة ليست للرغبات الضالة ولا للاهواء المنحرفة ، وانما هي : هذه السيطرة الحكيمة العادلة — لله وحده ... فاستردت هذه الجماهير ايمانها ، ولمعت لاعينها دائما من خلال هذا الايمان صور المستقبل المزدهر صورة الربيع الذي تبشر به الطيور الصغيرة من خلال الضباب والسحاب والمطر المتساقط .

وقيمة هؤلاء الاعلام أنهم زرعوا الخوف فى نفوس الظالمين ... وليس شيء يهدم الظلم مثل أن يداخله الخوف ...

وقيمتهم كذلك انهم صححوا الطريق للمجتمع الهائم كله آنذاك ... ادركوا بداية الانحراف منذ فقد الناس ثقتهم بعد التيه ، فارتدوا بهم الى بداية الطريق ... عرفوهم انفسهم وعرفوهم ربهم ، وقالوا لهم هذه سنن الله سنن الكون فى الخلق ، فليس لكم بعدها ان تهابوا او تجزعوا ... فاذا هذا التحديد الرائع البسيط يؤتي ثمرته بعد حين فى حركات الاصلاح التي تتالت بعد ذلك اول عصور النهضة .

كذلك كان من قيمة هؤلاء ايها السادة انهم كانوا فى سلوكهم تعبيرا حيا عن دعوتهم ... انهم لم يقولوا للناس قاتلوا ونحن هنا قاعدون ، وانما قاتلوا معهم .. ولم ينهوهم عن الاثم وهم غارقون فى الاثم ... ولم يدفعوهم فى حيث لم يندفعوا هم قبلهم ... ان سلوكهم كان كالشراب المصفى لا تلمح فيه قذى ... كان كصفاء العين ، القذاة الصغيرة تفسد عليها الرؤية الصحيحة وتبعث فيها الدموع وتحيلها الى عطالة ، لا ترى ، ولا يرى الناس منها الا الجفن الغليظ الاحمر » .

من كل هذا ندرك كيف كان هؤلاء الاعلام يحملون معاني البطولة : بطولة الراي والفكر ، وبطولة الخلق والسلوك فى هذه الفترة ، وكيف حفظوا الشعلة المقدسة التي اوقدتها الجزيرة وارادت الظلمات ان تطفئها ... ان معاني البطولة وسمات المثل الاعلى انما بدت فى هذه النماذج الفريدة من الناس .. وقد كنت اتمنى ان اسوق لكم بعض التفاصيل الاخرى من حياتهم ... ولكني ان جانبتها فلن اجانب الاشارة الى ناحية اصيلة اولاها هؤلاء الاعلام اكبر اهتمامهم وتلك هي حسن تمثلهم للعقيدة وحفاظهم على صفائها من كل زيغ طارىء او شبهة دخيلة .

وكما كان الصفاء اللغوي غاية هؤلاء العلماء فى عملهم العلمي ... كذلك كان الصفاء فى العقائد والمثل الاعلى فى السلوك غاية هؤلاء العلماء فى اتجاههم الخلقي هناك حاربوا الدخيل اللغوي وهنا حاربوا الباطل العقدي ... والسياج الذي اقاموه حماية للغة اقاموا مثله حماية للعقيدة ... والفوا هناك فى الدخيل والاصيل والعربي والمعرب حتى يستوي للغة نقاؤها والفوا هنا فى البدع والضلالات واسرار الباطنية حتى يستوي للعقيدة نقاؤها ... هناك حكموا على اللفظة الدخيلة والغريبة والضعيفة فاستبعدوها او افترضوا وجوب استبعادها من اذهانهم والسنتهم ... وهنا حكموا على الزيغ والانحراف والتلفيق واختلاف الباطن والظاهر وعرضوا روح الانسان صافية بسيطة حتى يكون سلوكه كذلك صافيا بسيطا ... وهناك آمنوا بأن اللغة خيط الاستمرار لانها تحمل الماضي كله لتتفتح عن المستقبل كله ، كذلك آمنوا هنا بأن العقيدة هي خط السير ، وهي العاصم لهذا الخط ان ينحرف ، فلا تتردى هذه الجماعة من جديد فى حمأة الضعف ورذيلة الانحطاط .

وما اشد ما يتشابه الموقفان : في العمل العلمي وفي السلوك الخلقي ... في الحفاظ اللغوي المر وفي الحفاظ على الخلق الصلب الوعر ... وكيف لا يتشابهان ؟ .. اليسا نبعة واحدة عن المثل الاعلى الذي رفعه هؤلاء الاعلام ؟ .

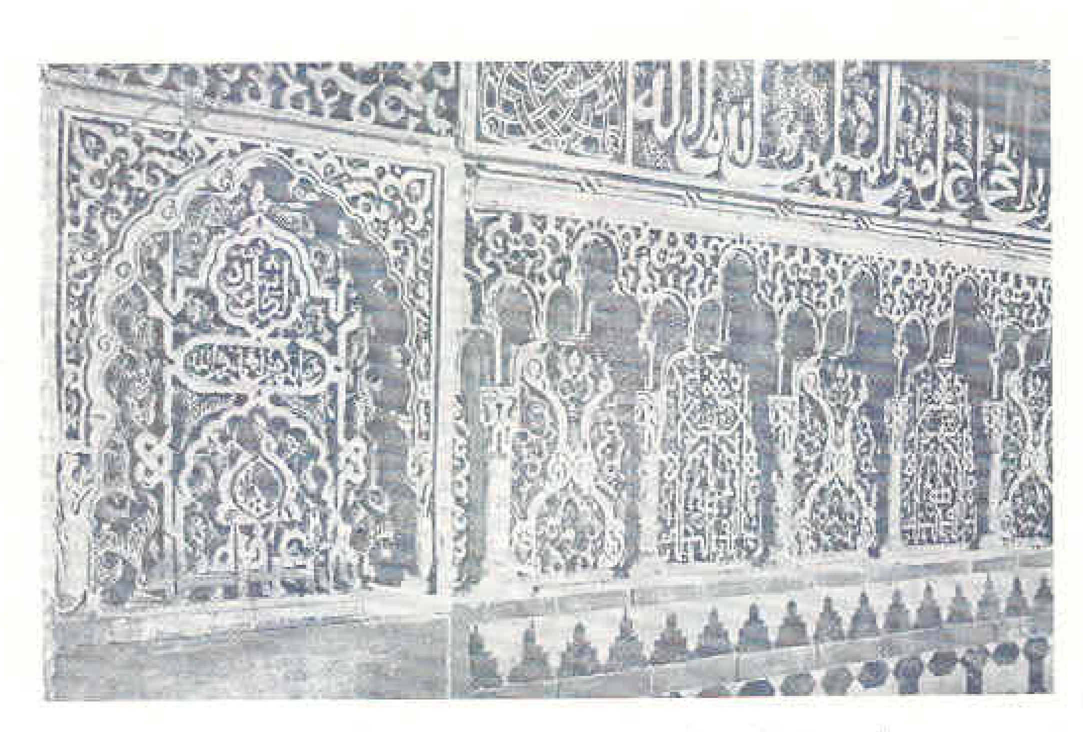
ايها السادة :

لقد قلت من قبل ان المقاومة والحفاظ والتأني هي صور البطولة في هذه الفترة البطولية في اتجاهها العلمي والسلوكي ... ولم نستطع ان نلتمس هذه الصور عند الشعراء وانما وجدناها عند العلماء ... فقد كان هؤلاء العلماء الذين منحوا البطولة وجودها في هذه القرون بين سقوط بغداد وبين النهضة كالواحات: تجدد عزم الراكب وترد اليه امله بعد يأس ... بل انهم في بعض اللحظات بدوا لي وانا اعد هذا البحث كما لو كانوا هذه الجـزر النائئة في هذا المحيط المظلم الذي يفصل بين دخول المغول بغداد ، وبين تفتح الذهن العربي والنفس العربية في القرن التاسع عشر ... كانت جزرا صغيرة ولكن العين لا تخطئها على سعة هذا الخضم الهائل ... لانها كانت تتحدى في وجودها المستقل المتميز معاني الطغيان في هذا الخضم الهائل ... كانت كانما ترفع راسها في وجه الاعصار ... تفرح بالجزر ولكنها لا تخشى المد لانها حين ينحسر عنها ، تخرج دائما مصهورة نقية ... ان وجود هذه الجزر الصغيرة فوق اليم الطامي هو الذي زيف وجود هذا اليم لانه مكن من اقامة الجسور فوقها لتنطلق عليها القافلة التي استيقظت لتدخل التاريخ مرة اخرى ... ان قيمة هذه الجزر قوتها ، من قوة الاسس التي ترتكز عليها وعمقها ... انها قد تكون صغيـرة ضيقة ولكن كل ارض القاع مرتكزها ... انها كانـت كالذروة التي تنبيء عن الكتلة الضخمة التي هي نهاية لها ... وقد تمثلت هذه النهاية في صفاء السلوك وفي صفاء المعتقد وفي صفاء اللغة ... واحسب ان هذه يجب ان تكون مرتكزنا نحن الجديد .

ان عرض هذه الابحاث ليس بالفرض النظري .. انها ليست عرضا لصور البطولة من حيث هو عرض بمقدار ما هي محاولة لاستخلاص المثل الاعلى على فترات التاريخ العربي ... لا اقول لصياغة المثل الاعلى ... فما يصاغ هذا المثل ، وانما هو ينطلق كشعاع دافـق ممتد بين يدي الجماعة في طريق سيرها ... ونحن انما نعمل ونسافر ونكتب لنطلق هذا المثل الاعلى بين يدي طريقنا الجديدة : طريق الوحدة ...

ايها السادة :

لعلنا فعلنا ذلك ...



نقوش وكتابات على بعض جدران قصر الحمراء ــ غرناطة

ابن عبد الملك المراكشي

- 3 -

بقلم محمد العابد الفاسي

تآليفـه :

ابن عبد الملك رحمه الله له انتاج كبير وموضوعات مختلفة في اغراض شتى ، واهم ما وصـل الينا مـن كتبه اجزاء من الذيل والتكملة وسنتكلم عنه اخيرا ، اما كتبه او رسائله الاخرى فهي كما وصـل الينا .

1) الجمع بين كتابي بيـان الوهـم والايهـام الواقعين في كتاب الاحكام لابي محمد الازدي تأليف ابي الحسن ابن القطان وتعقب تلميذ هذا الاخير ابي عبد الله محمد بن ابي بكر بن خلف الشهيـر بابن المواق ، جمع ابن عبد الملك بين الاصل الذي هو الاحكام وبين كتاب ابن القطان ونقده وتعقيبه لابن المواق بعد قيامه بتخريجه من مسـودته ، قال العبدري رفيق المترجم ومعاصره في رحلته اثناء حديث له مع ابن دقيق العيد بمصر : (وفي اول ما رايته ـ يعني ابن دقيق العيد ـ قال لي كان عندكم بمراكش رجل فاضل فقلت له من هـو ؟ فقال : هو ابو الحسن بن القطان ، وذكر كتابه «الوهم والايهام» واثنى عليه ، وذكرت له رد ابن المواق عليه وانه تركه في مسـودته فتولى اخراجه صاحبنـا الفقيه الاديب الاوحد ابو عبد الله ابن عبد الملك حفظه الله فقال لي : من هذا الرجل ؟ فعرفته بـه ومـا حضرني من تحليته وما اذكر من تقاييده فعجب مـن ذلك وكتب ما امليته عليه منـه .

وفي قسم الغرباء من كتاب الذيل للمصنف عند ذكر ابن المواق قال وله تعقب على كتاب شيخه ابـي الحسن ابن القطان الموسوم ببيان الوهم والايهـام ظهر فيه ادراكه ونبله ومعرفتـه بصناعـة الحديث واستقلاله بعلومه وقد عنيت بالجمع بين هذين الكتابين مضافين الى سائر احاديث الاحكام وعلى ترتيبهـا وتكميل ما نقص منها فصار كتابي هذا من انفـع المصنفات واغزرها فائدة حتى ولو قلت انه لم يؤلف في الباب مثله لم ابعد ، والله ينفع بالنية في ذلك .

وقد وقفت على النقل من كتاب ابن المواق هذا غير مرة بخط ابي العلاء العراقي رحمه الله مما يدل على ان الكتاب كان معروفا بفاس الى القرن الثانـي عشـر .

2) كتاب الجامع في العـروض ذكـره المؤلف اثناء ترجمة محمد بن شاذان ابن الحداد ، قال بعـد كلام في الزحاف ، ولقد اشبعت القول في هذا وبينت عمل العرب فيه من كتابي (الجامع في العروض) .

3) مقالة في تحقيق ضبـط ترجمة الملخص لابي الحسن القابسي بعد وقوع الاختـلاف في ضبط الخاء بالكسر او الفتح ، ذكره في ترجمة ابـي العباس ابن شاب قال وقد بسطت الكلام في ذلك في مقالة لـي اشتملت على فوائد جليلية .

4) مقالة في نقد كتاب الاربعين حديثا لابـي القاسم محمد بن عبد الواحد الملاحي ذكـر ذلك في ترجمته قال وقد نبهت على ما لحقه فيما اخل به من ذلك في مقالة بينت فيها معتمده ومنحـاه .

5) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة هذا هو الكتاب الوحيد الذي يمكن لنا ان نتعرف من بيـن سطوره قيمة ابن عبد الملك العلمية وجلالة قدره ونبوغ فكره وقد خلفه درة عصماء في جبين النبوغ المغربي ، فهو زيادة على ما يحويه من مباحث علمية ونقد نزيه ـ قاموس عام لرجالات الاندلس من لـدن فتحها الى آخر القرن السـابع مع ما اضاف لذلك من تراجـم خاصة للمغاربة او مطلق الافارقة ممن رحل الى الديار الاندلسية ، وكانت له صلة علمية بها فكم اظهر مـن مجاهيل اقبرهم اهمال المغاربـة ، وكـم اتى بشـروح لكثير من الحوادث الاندلسية المغربيـة ، وكم مـن تحقيقات علمية قل نظيرها وبعد العهـد بامثالها .

اما طريقته في تأليف الكتاب فهي الاتيان باسم الشخص في حرفه مع ملاحظة ترتيب الحروف في اسم المترجم وابيه وجده الخ .. فعدده ما امكن له ذلك ناقلا وملخصا ما يذكر ابن الابار في التكملة مع بسط لبعض عباراته او شرح اجمال وقع في كلامه ، او توضيح اسم وكنية وقعت الغفلة عنها ، ثم يذيل جميع ذلك بمعلوماته الخاصة ، وهنا يجد المؤلف المجال فسيحا والميدان واسعا ، ومن ناحية اخرى يذيل ويكمل ما ينقص التراجم في كتب من سبقه كابن الفرضي ، وابن بشكوال ، وابن الابار ، وابن فرتون ، وكثيرا ما يذكر ابن الزبير مع الحمل عليه كما سبق ، وقلما يفعل ذلك مع ابن الابار هذا الى الاطلاع واسع وبراعة في الاسلوب وانتهاج نهج الاندلسيين في عباراتهم واوضاعهم ، وقد قرأ من كتب التراجم والتاريخ ومختلف الفنون الشيء المدهش ، يذكر الكتاب ويصفه وصف باحث مدقق مع بيان الحجم ونوع الخط ومقدار جودته وانواع التحريف الموجودة فيه ان كانت ، الى غير ذلك من الملاحظات القيمة .

اجزاء الذيل والتكملة المعثور عليها :

المعروف الآن من نسخة الذيل والتكملة اجزاء سبعة : 1) جزء القاهرة 2) جزء الاسكوريال باسبانيا 3) وجزء باريس 5/4 وجزآن اصلهما من مكتبة القاضي ابن ابراهيم بمراكش 6) وجزء القرويين 7) ومجلد واحد بمكتبة لندرة ، غير أن هذه الاجزاء تختلف جودة واتقانا واتصالا بنسخة المؤلف ، فاعلاها درجة اجزاء القاهرة وباريس وابن ابراهيم ويليها في وضوح الخط نسخة لندرة ، وكل هذه الاجزاء قد وقفت عليها وقرأت الكثير من فصولها بالمكتبة العامة بالرباط عدا جزء الاسكوريال . وحيث كتب الباحثون عن هذه الاجزاء ووصفوها وصفا دقيقا فسوف اكتفي بما كتبوه واشير هنا اشارات موجزة لها حسب ترتيبها الاصلي واتعرض بالخصوص لجزء القرويين الذي لا يوجد له ثان فيما نعلم :

جزء القرويين واقع تحت رقم 626 حجم 40 جزء واحد متوسط بخط اندلسي مخروم الطرفين نسب غلطا في البرنامج ـ لابن الابار ، وجميع تراجم هذا الجزء فيمن اسمه احمد اول ترجمة فيه بقية ترجمة احمد بن عبد الله ابي المطرف ابن عميرة المخزومي والترجمة الثانية الكاملة فيه ترجمة احمد بن عبد الله الطليطلي ، وآخر من ذكر في هذا الجزء ينقصه من آخره قليل ترجمة احمد بن يحيى العبدري القرطبي نزيل مراكش ، بلغت عدد اوراقه 121 ورقة وعدة تراجمه 646 واسم المترجم يكتب دائما فيه بالقلم المغلظ ولا يزال الجزء يمكن الانتفاع به على ان ارضته الاولى فقد بلغت حدا كبيرا من التلاشي والدثور .

مسطرة الجزء المذكورة 25 حجمه 26×19 اما البياض الموجود فيه فبعد التتبع ظهر انه لا يخلو من امرين اما لاجل تتميم بحث ارجأ المؤلف البت فيه للمراجعة فبقي البياض على حاله ولا ندري ما وقع في آخر نسخة وتارة يكون البياض عبارة عن اسم والد الشخص المترجم او كنيته يذكره ابن الابار بالكنية فقط فينهج ابن عبد الملك نهجه ثم يريد ان يذكر لنا اسمه واسم والده او كنية اخرى عرف بها فيترك المحل بياضا للمراجعة وكثيرا ما يقع له هذا فيما يتفق مع ابن الابار في التراجم وربما نقل منه الترجمة بنصها او مع تغيير قليل يعرف ذلك بالمقارنة بين التراجم التي اورداها معا ، وفي بعض الاحيان ينقل كلام ابن الابار مذيلا له بزيادات وايضاحات وربما انتقد كلامه ولكن لا يبلغ ذلك مبلغ نقده لابن الزبير .

2) نسخة الاسكوريال واقعة تحت رقم 1680 وتشمل على الحروف الآتية : س ، ش ، ص ، ض ، ط ، ظ ، وجل حرف العين ، يبتدىء جزء الاسكوريال بترجمة سابق بن عبد الرحمن وينتهي بترجمة عبد الله بن خلف من حرف العين .

3) جزء القاهرة يوجد بدار الكتب المصرية تحت رقم 61 قسم التاريخ ويبتديء بترجمة عبد الملك ابن احمد الزهري وينتهي بترجمة محمد بن احمد .. ابن عيسى اليحصبي وفيه من الحروف العين ، الغين ، الفاء ، القاف ، الكاف ، اللام ، طرف من حرف الميم ، وهو جزء من نسخة جيدة صحيحة كتبها بعض تلاميذ المؤلف وجاء في آخرها ما صورته يتلوه في السادس ان شاء الله محمد بن احمد بن عبد الملك .. بن ابي جمرة وبهوامشها تعليقات وتذييلات بخط بعض اهل العلم من ذوي الخبرة والاطلاع ، راجع بحث الاستاذ الاهواني المحال عليه سابقا ، قال الاستاذ المذكور وفي آخر ورقة من المخطوط نص لمحمد بن ابراهيم بن مسلمة الخزرجي يذكر انه اكمله مطالعة بمدينة تونس في عام 768 ثم قال : وهذا النص نفسه موجود في مخطوط باريس ، مما يدل على ان المجلدين يؤلفان نسخة واحدة ؛ اما تشابه الجزءين في الصحة والجودة

وتعليق الحواشي القيمة فصحيح ، واما وجود ذلك النص في نسخة باريس فلم تقف عليه في قرغة الفتوغرافي الموجود الآن بالمكتبة العامة بالرباط.

4) جزء باريس واقع تحت رقم 2156 يبتدىء بترجمة محمد بن احمد بن عبد الملك وينتهي بترجمة محمد بن علي بن وزير ابو عبد الله يليه في الجزء السابع بعده ترجمة محمد بن علي ابن ياسر الانصاري. وجزء باريس هذا يعتبر من اتقن اجزاء نسخ الذيل مكتوب بخط اندلسي رائع بلغ درجة قصوى من الصحة والاتقان والضبط ، واكثره مشكول علقت بهوامشه ذيول وتحقيقات كثيرة الشبه بما كتب بهوامش جزء القاهرة ، يوجد بظهر اول ورقة منه ما يأتي :

السادس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة تصنيف قاضي الجماعة العلامة النسابة الناقد ابي عبد الله محمد بن الفقيه المقرىء ابي عبد الله محمد بن عبد الملك الانصاري ثم الاوسي المراكشي رواية القاسم بن يوسف بن محمد بن علي بن القاسم التجيبي عنه ، ورواية لصاحبه ومسترجعه ممن صار اليه بعداء وغصب بالثمن محمد بن احمد بن محمد بن مرزوق التلمساني عن ابي عبد الله ولد مصنفه وجماعة من اصحابه عنه ولله المنة . وبآخر هذا الجزء ورد ما يأتي : تجز السفر السادس من كتاب الذيل والتكملة تصنيف شيخنا القاضي الناقد ابي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الاوسي المراكشي رحمه الله ، يتلوه في اول السابع ان شاء الله تعالى محمد بن علي بن ياسر الانصاري . ولم يسم الناسخ اسمه ولم يذكر تاريخ الفراغ من النسخ وقد تحقق لدي ان تلك التعليقات والاستدراكات اكثرها بخط الامام ابن مرزوق وقد صرح باسمه في بعضها .

5) نسخة لندرة جزآن في مجلد واحد هما الرابع والخامس يبتدىء الرابع بترجمة عبد الملك .. ابن تبيك من حرف العين وينتهي بترجمة محمد بن احمد اليحصبي وورد في آخره : تجز الرابع من كتاب الذيل والتكملة يتلوه في الخامس ان شاء الله ترجمة محمد ابن احمد .. بن ابي جمرة ويتفق هذا الجزء تماما مع جزء القاهرة اما الجزء الخامس من نسخة لندرة فيتفق تماما مع الجزء السادس الباريسي . ويلاحظ أن جزءي لندرة اشتملا على تصحيف فادح وقلب وتحريف مع حذف كثير من السطور ، فينبغي التنبه لذلك عند المقابلة والنشر .

6) نسخة القاضي السيد عباس ابن ابراهيم المراكشي اشتملت على جزءين الرابع والاخير من الكتاب مع نقص فيه ، اخذ كل منهما بالتصوير للخزانة العامة بالرباط ، اما الرابع منهما فيبتدىء بترجمة عبد القاهر بن يوسف وينتهي بترجمة محمد بن احمد بن عبد الملك بن عيسى اليحصبي يتفق مع سفر لندرة الرابع ومع سفر القاهرة الخامس ويزيد عليهما بتراجم اوله ، اما السفر الاخير من نسخة القاضي ابن ابراهيم فموضوعه في تراجم الغرباء يبتدىء بترجمة علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف الانصاري وينتهي بترجمة يونس بن يوسف .. قصري ثم ختم مؤلفه الكتاب بتراجم النساء اورد ذكرهن مرتبا على الحروف بين اندلسيات وغريبات زرن الاندلس ابتداء بأمة الرحمن بنت عبد الحق بن غالب .. غرناطية وانتهى في هذا الجزء بترجمة زينب بنت ابراهيم بن يوسف بن فرقد .

تلخيص :

يتلخص من هذا العرض الوجيز ان بين ايدينا الآن اجزاء سبعة من كتاب الذيل والتكملة باعتبار جزءي لندرة مجلدا واحدا والا فسيكون عدد الاجزاء ثمانية ولكن في الحقيقة اذا الغينا المكرر لم يبق امامنا الا اجزاء خمسة : جزء القاهرة الخامس وجزء باريس السادس وجزء القرويين بفاس وسفر مكتبة ابن ابراهيم الاخير وجزء الاسكوريال . وينبغي ملاحظة زيادة بعض التراجم من حرف العين في الجزء الرابع من نسخة ابراهيم على ما يوافقه من جزء لندرة (الرابع) والقاهرة (الخامس) ثم بعد استقصاء جميع تلك الاجزاء وما حوته من الحروف يتبين ان الحروف الموجودة الآن هي قطعة من حرف الالف ثم س ، ش ، ص ، ض ، ط ، ظ ، ع ، غ ، ف ، ق ، ك . ل . م . الا قليلا من آخره وهذا بقطع النظر عن الجزء الاخير المختص بالغرباء عن الاندلس الذي يبتدىء بحرف العين وينتهي بالياء ومن دون شك ينقص هذا القسم جزء من اول الحروف وينقصه من آخره ايضا جزء ينتهي به قسم النساء ، فليس هو في الحقيقة الجزء الاخير من الكتاب كما هو شائع .

تنبيه :

ذكر القاضي الشيخ السيد عباس ابن ابراهيم في كتابه الاعلام ص 243 ج 3 انه وقف على شرح المترجم ابن عبد الملك لكتاب الانوار السنية لابن جزي في مجلد

كبير وهو غلط واضح منشاه فيما احسب اتحاد المؤلفين في الاسم والكنية والشهرة بابن عبد الملك والحقيقة ان شرح الانوار السنية هو للفقيه المقرىء المحدث الخطيب ابي عبد الله محمد بن عبد الملك بن علي بن عبد الملك القيسي المنتوري المتوفى سنة 834 سمى شرحه هذا مناهج العلماء الاحبار في تفسير احاديث كتاب الانوار ، توجد نسخة منه بالخزانة القروية في مجلد ضخم اشتمل على جزئين بخط مغربي كتب عام 882 والاصل المشروح لابي القاسم محمد بن جزي الكلبي المتوفى شهيدا سنة 741 وقد شرحه ايضا الامام القلصادي وقفت عليه بخط مؤلفه .

ختام البحث :

قد اتيت للقارىء الكريم بما استطعت في ترجمة هذا العبقري الفذ ابن عبد الملك ، ويتعين هنا ان اقرر واعلن في غير مواربة ولا خفاء انني لا ادعي الاتيان بقول حاسم بكل ما يمكن قوله في شخصية صاحبنا وحياته الحافلة ، بل أكثر ما عرضته مجرد افكار واستنتاجات استخرجتها من مختلف النصوص التي اتيح لي الوقوف عليها ، وقد كان رأي اولا ان ادرس قبل كل شيء عصر المؤلف وبيئته الاجتماعية والاخلاقية والسياسية سيما ومترجمنا عاش في كل من اواخر عصر الموحدين ايام انهيارهم السياسي وافول دولتهم وعصر انبثاق دولة بني مرين ايام فتوتها وعزتها ، وليس في امكان شخصية مثل صاحبنا ابن عبد الملك وقد عرف بقوة الشكيمة والفكر الوثاب القلق - ان يعتزل الحوادث ويبتعد عن التيار في وقت اضطرب فيه المغرب واشتد التنافس بين دوله وانتشرت العصبية، ولم يكن لابن عبد الملك من برودة الطبع وحب السلامة ما يحمله على الانزواء والاختفاء سيما وقد قرا ودرس من سير العلماء قبله ما كان لهم من المشاركة في تيارات الشعوب ونزعاتهم المختلفة بل كانوا في اغلب تلك الحوادث الموجهين والمسيرين .

كان بودي أن اتحدث عن هذا كله واعرض على القراء كثيرا من تفاصيل هذا العصر الذي عاش فيه المؤلف ولكني رايت الامر من جراء ذلك سيطول جدا وربما استغرق مجلدة ضخمة فارجات الاسترسال في هذا الموضوع وحسبي انني حاولت او فكرت في المحاولة وما ابرىء نفسي من غلط او خطأ وقد كانت قصة الباحث الاول على تحرير هذه الكلمة ترجع الى اعوام مضت ، ذلك ان الاستاذ الخبير م علوش مدير القسم العربي بالخزانة العامة بالرباط اهتم بجمع اجزاء كتاب الذيل والتكملة الموجودة بمختلف مكتبات الشرق والغرب حتى تيسر له قدر مهم منه وهو ما تحدثنا عنه سابقا وكان من جملة عمله القيم ان انتسخ جزء القرويين ثم جزء باريس وفي كل من الجزءين التمس مني اعانة الناسخ على تفهم العبارات والكلمات الواقعة في الاصل الاندلسي لصعوبة ذلك على غير المتدرب فقمت بالعمل جهد الطاقة والوقت وتم النسخ طبق الاصل . اما الآن وقد وقع العزم القوي على نشر هذا الكتاب القيم من قبل وزارة التهذيب والتربية فيما بلغني ، فرجائي الوحيد أن يوفق الله الناشرين للتصحيح والتحقيق مع المبالغة في البحث والبراعة فيه حتى يكون صورة واضحة لما عرف عن المغرب من التطلع للكمال والاخلاص في العمل واتقانه والله المستعان .

مصادر البحث :

بعض الاجزاء المعثور عليها من كتاب الذيل والتكملة .

جذوة الاقتباس لابن القاضي ط فاس .

درة الحجال له ايضا ط الرباط .

المرقبة العليا لابي الحسن النباهي خ خزانة القرويين .

رحلة العبدري مخطوطة خاصة .

الديباج المذهب لابن فرحون ط فاس .

الدرر الكامنة لابن حجر ط الهند .

نفح الطيب للمقري .

بيوتات فاس في القديم مخطوطة خاصة .

مفتاح الشفا لابي زيد الفاسي خ

فهرسة أبي السعود الفاسي الخاصة بالفهارس خ

المنح البادية لابي عبد الله الفاسي خ .

نظم الوفيات للفشتالي خ .

بحث المرحوم الاستاذ الكانوني حول كتاب الذيل ملحق جريدة المغرب ع - 4 .

مخطوطان عربيان عن الاندلس الاسلامية ملحق المغرب عدد 18 .

اهتمام بني مرين بالمعارف والفنون للاستاذ الكبير العميد محمد الفاسي ملحق المغرب عدد 5

مخطوطان عربيان عن اسبانيا الاسلامية عدد 12 من السنة الثانية من المغرب الجديد .

الاعلان بالتوبيخ للسخاوي ط دمشق .

الاعلام للقاضي ابن ابراهيم المراكشي ط فاس .

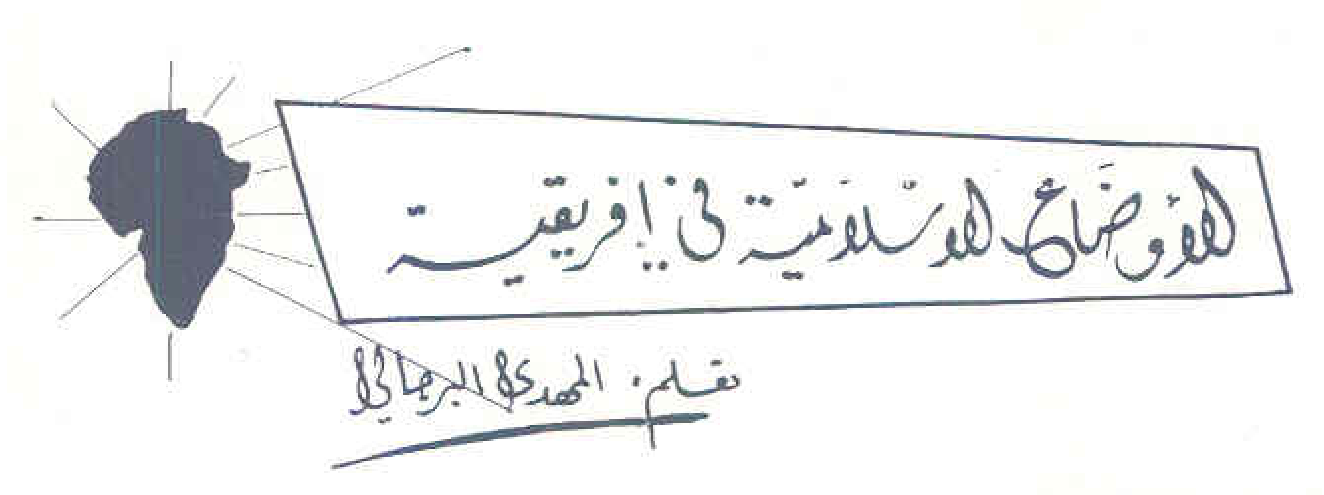
استدراك :

1) ممن ذكر ابن عبد الملك صاحب مفاخر البربر ومؤلفه مجهول في ما نشر تحت عنوان نبذة تاريخية منتخبة من الكتاب المذكور طبع معهد العلوم بالرباط اثناء كلام له على ما كان باغمات من علماء البربر ص 76 قال : وقد سمعت الشيخ الفقيه قاضي الجماعة العالم الراوية المحدث الباحث المحقق ابا عبد الله بن عبد الملك رحمه الله يقول :

كان بفاس من الفقهاء الاعلام الاجلة اعيان الانام ما ليس في غيرها من بلدان الاسلام اذ هي قاعدة المغرب ودار العلم والادب لكن اهلها اهملوا ذكر محاسن علمائهم واغفلوا تخليد مفاخر فقهائهم ؟ نبهني على هذا النص الاستاذ الكبير محمد الفاسي عميد الجامعة .

2) ذكر ابو زيد الفاسي في كتابه مفتاح الشفا المجلد الثالث مخطوط حين تحدث عن المصحف العثماني الذي كان بقرطبة ونقله الموحدون الى المغرب ثم كان مآله التلف اثناء معركة المعتضد المقتول فيها سنة 645 ثم عثر عليه بعد في خزانة يغمراسن بتلمسان ولما فتح هذه ابو الحسن المريني سنة 737 ظفر به الى ان اصيب في وقعة طريف ووقع المصحف في يد البرتغال ، قال ابن مرزوق واعمل الحيلة في استخلاصه ووصل الى فاس سنة 745 على يد تجار ازمور واستمر بقاؤه في الخزانة ، اثناء هذا البحث نقل ابو زيد كلاما مطولا وبحثا قيما لابن عبد الملك في عدم صحة ما هو متواتر عند الاندلسيين وتداوله شعراؤهم من ان هذا المصحف هو نفس مصحف عثمان الذي كان بيده حين وقوع الواقعة وقد استظهر ابن عبد الملك ان المصحف المذكور هو احد المصاحف التي وزعها عثمان على الاقاليم وربما كان المصحف الشامي الى آخر بحثه فراجع كلامه هناك ولعله منقول عن الذيل والتكملة وفي يقيني ان ابن عبد الملك تحدث في الذيل غير ما مرة عن المصحف واحتفال الموحدين به ولكني لا اتحقق الآن مكان حديثه من اجزاء التكملة ومجرد الاطلاع على هذا البحث القيم يفيد ما كان لمترجمنا من لاطلاع الواسع وشدة نقده العلمي وعدم تهيبه ؛ والحديث عن هذا المصحف الاثري يحتاج الى مزيد بحث وربما ان وفق الله افردت له مقالا خاصا .

3) من المعروف ان نسخة ابي بكر ابن خير صاحب الفهرسة — من صحيح مسلم هي نسخة معتمدة لدى الاندلسيين والمغاربة حيث قام بتصحيحها ومقابلتها على الاصول المعتمدة ابن خير وعلق بهوامشها تحقيقات علمية حتى اصبح هذا الاصل يضارع عندهم نسخة ابن سعادة من صحيح البخاري ؛ ومع ذلك لم يسلم هذا الاصل الفريد من نقد ابن عبد الملك وعثوره على اوهام واغلاط غفل عنها الحافظ ابن خير ، نبه على ذلك صاحب المنح البادية في فهرسته .



قصة الاسلام في افريقيا هي نفس قصة هذا الدين القيم في غيرها من بقاع هذا الكوكب الارضي وارجائه ، لقد كان اتصالها به ــ في بداية الامر ــ كما كان الشأن في آسيا ــ عن طريق الدعوة المباشرة التي لم تكن تزيغ عن روح الهداية الحنيفية الا في بعض المواطن والظروف المعينة ، وكان الدور الثاني ــ كما كان دائما ــ هو دور التركز والرسوخ والاستقرار حيث بدأت الدعوة ــ شأنها في القارة الآسيوية ــ تأخذ سبيلها الى النفوس عن طريق الوسائل غير المباشرة التي كان من اهمها :

1) قوة الدعوة الذاتية وملاءمتها للفطرة الانسانية 2) استجابتها لضرورات واقع العناصر الجنسية المختلفة . 3) النشاط التبشيري غير الرسمي .

وقد كان لهذه العوامل ــ في مجموعها ــ ان اعانت على تهيىء فرص حيوية للاسلام امكنه معها ان يجد طريقه الى الانتشار في عديد من اصقاع القارة السوداء بعد ان كان تأثيره لا يكاد يعدو نطاق الشريط الجغرافي الممتد من شواطىء بحر القلزم شرقا الى مضيق طارق غربا ذلك الشريط الذي لم يكن يتسع جنوبا الا بقدر ما يلامس حدود ما وراء الصحراء الكبرى بقليل .

وتوجد القارة في الوقت الراهن في مختلف مناطقها وخاصة الشمالية والغربية والشرقية آهلة باعداد هائلة من الذين يدينون بالكتاب المبين ــ مع الاغضاء طبعا عن طبيعة الشكل والاتجاه الذي تتخذه العقائدية الدينية في نفوسهم ــ واذا ما استثنينا القسم الشمالي من القارة بطرفيه الشرقي والغربي حيث امكن اقصاء النفوذ الغربي الجاثم تقريبا فاننا نلحظ ان الجماعات الاسلامية المتعددة التي لم يفتأ النفوذ الفرنسي يعمها بنسب متفاوتة لا تزال ذات اهمية بالغة فهي في السنغال تمثل نحو 79 في المائة من مجموع السكان بينما تصل في « النيجير » الى 72 في المائة وفي « التشاد » الى 61 في المائة وفي « السودان » الى 55 في المائة وفي « ساحل العاج » الى 20 في المائة وفي « الداهومي » الى 17 في المائة وفي « الكامرون » الى 19في المائة ثم تنحدر لتصل لنسبتهاالى5 في المائةبالنسبة لـ « الطوغو » و3 في المائة بالنسبة لـ « اوبانكي » و5 في المائة بالنسبة « للكابون » و « الكونغو » فالمسلمون اذن في مجموع مناطق النفوذ الفرنسي وذلك قبل تحرر « غينيا » يفوقون الثلاثة عشر مليونا عدا ؛ فهم بهذا الاعتبار يناهزون الخمسين في المائة من مجموع السكان الذين يبلغ تعدادهم نحو الخمسة والعشرين مليونا .

اما مناطق النفوذ البريطاني على الشواطىء الافريقية الشرقية والجنوبية الغربية فتتركز فيها تكتلات اسلامية هامة تضم ــ الى جانب الجاليات العربية والهندية وغيرها (1) ــ عناصر اهلية عديدة من بين السكان الافريقيين السود ؛ (وتوجد اهم هذه المناطق ــ باعتبار الناحية الديموغرافية الاسلامية ــ وهي نيجيريا ــ على عتبة التحرر السياسي في في اواخر سنة 1960) وعلى الرغم من ان تعداد المسلمين في افريقيا قد يرقى بهم الى عدد كبير من الملايين فان هذه الضخامة العددية المرموقة ليست في

(1) تكثر هذه الجاليات العربية في المناطق الافريقية الشرقية على الاخص وهي تنعم بمراكز محظوظة ومرموقة .

جوهر الامر العامل الفريد فى اكتساء الاسلام كل هذه الاهمية التي ينعم بها في القارة ان هناك من العوامل الاخرى ما كان من شأنه ان يثير انتباه الملاحظين بل ويستفز مشاعر البعض منهم !! بالنسبة لمستقبل العقيدة الاسلامية فى الارض الافريقية وبين التكتلات الجنسية السوداء على الاخص ؛ وينصب الاهتمام بصورة مركزة على مدى ما تحدثه القيم العقائدية الاسلامية من تأثير على بعض جوانب العقلية الافريقية مع ما يمكن ان يكون بهذا التأثير من امكانيات تعديلية جوهرية فى التفكير الاجتماعي والانساني عند وحدات المجتمع الافريقي الموغل بعضها فى البدائية المطلقة ؛ فالاسلام بما يحمله من عناصر اصلاحية جوهرية وبما يتركز حول مفاهيمه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من امكانيات انقلابية جذرية ليس من شأنه – فى الواقع – الا ان ينسف كثيرا من عناصر المركب العقائدي الافريقي تلك العناصر التي تتحكم فى توجيه التفكير العام لكثير من الكتل السوداء بعد ان اسهمت – ماضيا – فى اعدادها لان تكون مجال تحقيق الاهداف التوسعية الغربية .

ان من نافلة القول التأكيد على مدى التقدم الذي احرزته الجماهير الافريقية فى بدء انطلاقتها الحالية الكبرى نحو التحرر السياسي والنهوض القومي ولكن هذه الانطلاقة لا يمكن – مع ذلك – ان تستنفد – فى الواقع – اغراضها وتستتم مسوغاتها الا اذا كانت ايضا اساسا للتخلص من رواسب الذهنية المتخلفة فى مجال التصور الديني ؛ اذ ان لذلك كل موجبات الارتباط بالتحرر العقلي الاكبر الذي هو القاعدة الاساسية فى بناء الكيانات السليمة القوية المتقدمة .

ان الاوضاع الدينية الحالية فى كثير من المجتمعات الافريقية ليس من شأنها – فى الواقع – ان تعين على توفير اسباب هذا الانطلاق العقلي المنشود بل انها – فى بعض الجوانب – قد تحد من آفاقه وتقف به عند نقطة الابتداء وذلك بالطبع نتيجة حتمية لما يسود التفكير الوثني الافريقي من روح الطقوسية الدينية البدائية التي تناقض احيانا ومستلزمات التطور الفكري والتي لا تزال ذات فاعلية حية وتأثير عميق فى حياة الكثير من المناطق الافريقية المختلفة .

وتتبدى بعض مظاهر هذه الروح فيما يلي :

1) التفكير الغيبي السحري 2) الروح الخرافية – الاسطورية التي تتدخل فى شرح كثير من ظواهر الحياة وتحدد سلوك الافراد فيها (وقد كان من آخر مظاهر ذلك عقيدة « التيبامبيل » Thypambule المتعلقة بطرد الارواح الشريرة والتي انتشرت فى « انكولا » آتية من الكونغو البلجيكي) .
ان الاسلام كعقيدة وكمنهاج ليس له – فى حالة توفر العوامل المساعدة – الا ان يؤثر فى تعديل هذه الحالات العقلية والاجتماعية التي تتضافر على ابقاء الكثير من الجماعات الافريقية فى وضع ينأى بها عن الاسهام فى التقدم الفكري الانساني العام .

وهذا ما يمكن ان يفسر هذه التخوفات التي تنضح بها كتابات الغربيين عن الاسلام بالنسبة لمستقبله فى افريقيا السوداء حيث يخشى ان يتخذ طريقه القويمة الى التغلغل فى اعماق النفسية الافريقية فيساعدها على التحرر من عقد النقص والخوف وقابلية الاضطهاد والاستغلال ؛ وتبدو هذه المشاعر الارتيابية عند ذوي الآراء التوسعية منهم بصورة اكثر حدة وعمقا ، فقد كان لهذه الاهمية القصوى التي يكتسيها الاسلام فى انتشاره بالقارة ما كان من شأنه ان يحدوهم الى مضادته بكل الوسائل غير المباشرة بما فيها تشجيع الاستمساك بمظاهر الطقوسية الوثنية العتيقة ! ! على ان هذه الروح الطقوسية فى المفهوم الديني لا تختص بالجماعات الفتيشية وما فى نوعها ، انها تتخذ اشكالا مظهرية اخرى لا تقل اهمية – مع الاختلاف فى الجوهر – فى المناطق الاسلامية الاصلية ذاتها ، فالدين الاسلامي الذي ينعم – فى افريقيا الغربية العضو فى الجامعة الفرنسية – بنفوذ معنوي ضخم – يتشح فى كثير من الاحيان باردية ميثلوجية تحيل كثيرا من جوانبه الهادية المشرقة الى عوامل تقهقر اجتماعي وانتكاس فكري مثير فالفكرة الاسلامية عند الجماهير السوداء فى المنطقة لا ترتبط – عند الكثيرين – ارتباطا متينا بالمفاهيم الاسلامية الكبرى بما فيها من عناصر تقدمية تطورية بقدر ارتباطها بالولاء لبعض مظاهر التحزبية (Sectarisme) الدينية التي تستمد اساساتها الاولى من تهاويل الغيبيات المطلقة وتستنزف مادتها الرئيسية من مجموع المدركات التي تتشكل منها قاعدة التفكير الطقوسي الديني فى اكثر مظاهره جمودا ورجعية ؛ وآية ذلك ما يمكن ان يتحسسه الملاحظ من غرابة فى المفهوم الديني عند كثير ممن يمكن الاتصال بهم من مسلمي المنطقة الذين لا يقل – مع ذلك – استمساكهم بالمعتقدات عن غيرهم من المسلمين؛ وبرهان ذلك ايضا ما يمكن استنتاجه من توفر مظاهر الركود الفكري الديني

نتيجة لانعدام ينابيع الحركات الانقلابية الاصلاحية من جهة وعدم وجود استعداد للتأثر بمثل هذه الحركات القائمة في البلاد الاسلامية الاخرى ، ويؤول ذلك على ما ارجح الى علتين اساسيتين :

1) طبيعة الحقائق التاريخية التي ترتبط باتصالات الاسلام الاولى بالمنطقة وعقلية الدعاة الاولين الذين كانوا وسيلة اتصال السكان بالدعوة . 2) النشاط المضاد الذي يقوم به المسؤولون عن الوجود التوسعي في القارة ، وعلى الرغم من ان العامل التاريخي الاول كان له في هذا المجال تأثير بعيد فان العامل الثاني الحالي يمكن ان يعتبر بالنظر لبعض الحالات اشد وطأة واقوى مفعولا .

وليس مفهوم النشاط المضاد هنا ما يرادف معاني الاضطهاد والتنكيل ، بل ان الاسلام — على النقيض من ذلك — ينعم في ارجاء كثيرة من القارة بما فيها الجانب الغربي بعطف سطحي ومظهري كبير من جانب المسؤولين المسيحيين ! ! بل ان بعض شعائره — كالحج مثلا — كانت تلاقي من عناية اولئك المسؤولين وحدبهم ما يستثير الاستغراب! ولكن الحركة الاسلامية بالرغم عن ذلك لا تكاد تحدث في هذه المناطق اي تأثير هام على المجتمع الافريقي في مستوياته الفكرية والاجتماعية والنزوعية وغيرها ، واذ كانت ظاهرة التخلف الاسلامي هذه تتجلى ارتساماتها في كثير من المجتمعات الاسلامية الاخرى في آسيا وغيرها (الفلبين وسيلان مثلا) فانها بالنسبة للمجتمعات الافريقية تبدو وهي اشدالحاحا واكثر وضوحا وبروزا ويؤول ذلك — في بعض النواحي كما سلف ان المعنا اليه — الى نوع الاساليب الخاصة التي تمرس بها التوسعيون ودابوا على انتهاج تطبيقها في المناطق الواقعة تحت انظارهم ، ومن بين تلك الاساليب التي تندرج في مفهوم « النشاط المضاد » :

1) استمالة بعض القيادات الاسلامية المحلية واصطناعها 2) تشجيع التشبث بالتحزبية الدينية بما لها من انبثاقات طائفية — انطوائية . 3) الحؤول — بصورة او باخرى — دون توفر الفرص التي يمكن فيها تلقيح المجتمعات الاسلامية المحلية ببوادر التطورات الاصلاحية الدينية في الخارج .

وهكذا امكن للادارة التوسعية في عهد الاحتلال المباشر ان تطمئن — في مناطق نفوذها — كاتحاد غربي افريقيا مثلا — الى وجود « اسلام افريقي » تسوده روح القبيبة والتواكلية والانهزامية تلك التي يباركها « القديسون » من صنف احد « علماء » الديار السودانية — له الهداية والرشاد (2)

على ان الاسلام — من جهة اخرى — يلاقي — باعتبار صبغته الدينية ومع الاغضاء عن تأثيره الفكري والاجتماعي — يلاقي بين احراش افريقيا وتحت شمسها اللافحة كثيرا من سبل الذيوع والانتشار بشكل مطرد ومتواصل ويدهش المراقبين الاجانب ما يبدو منه من انه ينتشر في بعض الاحايين بصورة تلقائية بين مجتمعات لا تكون تعرف — قبل اتصالها به — عن العقائديات الدينية الا ما يتصل ببعض الطقوس الوثنية المحلية ، ولو ان الدعوة الى الاسلام كانت تقوم على اساس من التنظيم الشامل والاقناع العقلي الفعال لكان لنا من ذلك سبيل الى القول بان روحه التحررية للفرد والجماعة قد يكون لها — بالنسبة لوضع السود الشائن — دخل كبير في شدة الاقبال على اعتناقه بين المجتمعات الافريقية ولكن ما نلحظه من تلقائية انتشاره وتغلغله لا يمكن ان يفسر الا على اساس البساطة التي تنطبع بها تعاليمه مما ينسجم وطبيعة الفطرة الانسانية المتجردة عن تعقيدات الحياة المتحضرة كما هو الشان مثلا بالنسبة لقبائل « الاولوف » و «الاشانتي » و « البامبارا » وغيرها من وحدات المجتمع القبلي الافريقي ، ولكن هذه الانتشارية التلقائية التي يحظى بها الاسلام في قلب القارة ليست مما يخلو من المحاذير والاسواء فهي — كما سلف ان لحظنا — من اساسات هذا الضعف في فعالية الطاقة الهادية الموجهة للاسلام في المجتمعات الافريقية ، والعلة هي في انعدام وجود القاعدة التنظيمية التي ينهض عليها العمل التبشيري في ربوع القارة ، والامر بالنسبة للمسيحية يختلف اختلافا جوهريا، ولو ان الدعوة العيسوية كانت مما يشكل المميزات والخصائص التي ينعم بها الاسلام لكان الوضع الديني فيما وراء الصحراء الكبرى — في بعض المواطن — الوضع الذي يسود الحبشة مثلا ؛ وذلك ان حركة التبشير بالنصرانية بين الجماهير السوداء تكاد تكون — باعتبار الامكانيات التنظيمية

---

(2) لقد سلف لهذا « العالم » ان تطوع بدعوة المناضلين الجزائريين — في احدى المحطات الاذاعية الواقعة تحت المراقبة الفرنسية — الى الاستسلام غير ناس ان يستشهد على ذلك بآي من القرآن . .

التي تحظى بها – جهازا فريدا لتحقيق اهداف من الغزو السيكولوجي والوجداني الشامل ، وان دراسة تفصيلية للمعطيات النظرية والتطبيقات العملية التي ينهض عليها بناء هذا الجهاز لتعطي المراقب السطحي فكرة واضحة عن مدى ما ينتظر من وراء هذه الارساليات من انعكاسات انقلابية في الاسس الروحية التي يقوم عليها بناء المجتمعات الملونة في القارة وليس من اليسير جدا تعليل هذا الكلف بالتبشير الذي يبدو على بعض الارساليات الدينية التي يعتزي بعضها لدول لايكية صرفة ، كما انه ليس من السهل جدا تعليل هذه الامكانيات المادية الواسعة التي تتوفر عليها هذه الارساليات لو ان الامر كان يتحدد ضمن النطاق الديني الروحي البحت ولا يجاوزه الى غيره ، لكن الامر على اتساع النطاق من ذلك بقدر كبير اذ انه يعدو الهدف الديني الصرف ليشمل الغايات السياسية والتوسعية بعيدة المدى ، فقد غدا من الاساسي بالنسبة للحركة الاكتساحية الغربية ان تعتمد في بقاء وجودها على اساليب الغزو المعنوي بعد ان اصبحت الاسلحة المادية في تحقيق هذا الهدف غير ذات غناء ، ويتخذ هذا النوع من الغزو صورا واشكالا متنوعة تتصل بالحضارة واللغة والتفكير ، وقد بدا ايضا ان لها كذلك ارتباطا بالدين كعامل هام في ضمان الوجود والاستمرار للاوضاع التوسعية بما لها من اوجه مختلفة ومتعددة ، وقد كانت للحركات التبشيرية – في الواقع – منذ ازمان متباعدة – غايات سياسية مقنعة الى جانب الاهداف العقائدية الدينية ولكن تحليل المظاهر الاخيرة لاصداء النشاط التبشيري في كتابات بعض الغربيين على الاقل يمكن ان تدلنا على ان الجانب السياسي من حركات « الغزو الديني الغربي » اضحى اكثر بروزا ووضوحا ، ويتجلى ذلك – مكشوفا – في طبيعة رد الفعل الذي يبدو على هؤلاء الكتاب من الجهود المتواضعة التي قد تبذلها بعض الحكومات العربية في سبيل نشر الثقافة الاسلامية في داخل القارة ، فاذا كان وجود الطلبة الافريقيين في الازهر يشكل « خطرا مدلهما » على النفوذ المعنوي للغرب – كما يردد بعض المؤرخين الغربيين المعاصرين – فان اعتزام حكومة « غانا » انشاء جامعة عربية في « عكرا » بالاضافة الى سلسلة من المدارس العربية الاخرى قد اعتبر انه من اكبر الضربات التي يمكن ان توجه للنفوذ المعنوي الغربي ، ويقول كاتب فرنسي في هذا الصدد : « ان الملاحظين الحذرين من الاسلام لم يألوا جهدا في ايقاظ الافكار حول هذه التيارات السياسية التي تنطلق من منطقة الشرق الادنى والتي تزحف تدريجيا باسم التضامن الاسلامي ، وان المطالب الوطنية المغربية ... تلك التي امكنها ان تنال تأييدا حماسيا من الشباب المغربي والتي تتصل بمد حدود المغرب الى « سان لوي » بالسنغال هي مما يندرج ضمن هذا التيار ... »

وهكذا نرى ان الانتشارية الاسلامية تتخذ عند هؤلاء الغربيين مدلولات سياسية بعيدة المدى الى حد اعتبارها اساسا لتفسير الحركات المطالبية الوطنية كما هو الشأن بالنسبة للصحراء المغربية مثلا .

وبقدر ما تتبلور هذه المخاوف « الاسلامية » في اذهان هؤلاء المفكرين الغربيين بقدر ما يشتد حرص المسؤولين عن حركات التبشير المسيحي على التذرع بمختلف الوسائل الممكنة لتعديل الوضع الناجم عن الانتشارية الواسعة التي ينعم بها الاسلام في ربوع القارة ، وقد بدا اخيرا – في هذا الصدد – انه من الملائم – بالنسبة لمستقبل الحيوية بافريقيا – ان يتخذ المسؤولون عن حركات التبشير المسيحي مواقف اقل مضادة للاماني الانسانية والقومية الافريقية ، وعلى هذا فقد عنيت روما باستثمار كل الفرص الملائمة لتعويض الاساقفة البيض بآخرين من ذوي البشرة الدكناء ، وذلك كخطوة ايجابية عملية في سبيل افرقة المسيحية السوداء ليتوفر لها بذلك اكبر قسط من فرص الذيوع والانتشار، بل انه يبدو ان هناك ارتسامات اتجاه مسيحي يستهدف – في المحط الاول – اتخاذ حالات انسلاخ مظهري من الغرب – الحاكم المتعسف حتى يكون في المستطاع تحقيق نوع من التوفيق بين المسيحية من جانب وبين الاماني التحررية الافريقية من جانب آخر ، ويبدو ان هناك كثيرا من المماذقة والمداورة في هذا الرداء « الوطني » الذي اصبحت تتشح به – في بعض النواحي – السياسة التبشيرية المسيحية ، والا فبماذا يمكن تسويغ موقف الكنيسة والكنائسيين من مأساة التفرقة العنصرية في جنوب افريقيا ؟ وبماذا يجوز شرح سلبية الموقف الكنسي من اساليب التنكيل المنصب لهيبها على هامات الجماهير الافريقية في « كينيا » و « الكونغو » وغيرهما ؛ لقد سلف للكنيسة الكاثوليكية ان اتخذت مواقف متميزة وحاسمة ضد كثير من « الظواهر السياسية والاتجاهية » في اقطار اخرى كهنغاريا وبولندا والصين الحمراء وغيرها وقد كان من المنطق ان يكون رد الفعل الكنسي امام مشاهد القوة والعنف في افريقيا اكثر حدة وحرارة وذلك بالنتيجة لما يلي :

1) الصبغة الانسانية المطلقة التي تكتسيها « المأساة » عند الافارقة 2) ضرورة الحفاظ على المثالية المسيحية في اعين الجماهير الافريقية المراد هدايتها ، وقد ادركت السلطات الكنيسية في روما فعلا مدى خطورة هذه التناقضية المنبثقة عن الاختلاف بين المصالح التبشيرية المسيحية وبين الحقائق التوسعية الغربية فسعت الى استبدال نحو عشرة من الاساقفة البيض بآخرين من الملونين حتى يصبح من الممكن — كما ألمعنا اليه — وضع حد للخلط الذي يمكن ان يقع احيانا بين تصرفات التوسعيين الغربيين وبين الديانة المسيحية ولكن هذه الارادة الكنسية في التمييز بين الاستعمار والدين لم تتركز الى الحد الذي يمكن ان تستحيل فيه الى ادانة صارمة وبائنة للعقلية « السوبرومانية » الغربية التي تتدخل في ضبط العلاقات بين البيض والسود ، ولهذا فانني لا اقدر ان ينبثق عن مثل هذه الخطوات الكنسية الممكنة نتائج مسرحية بالنسبة لتقدم المسيحية في القارة ؛ ذلك ان الوعي السياسي والانساني الذي يجتاح افريقيا اليوم — كما اجتاح قبلها مناطق «ملونة» اخرى لا يمكن ان يبيح طويلا الاستمرار في اعتبار الدين على انه مجرد عقيدة سلبية لا تتعدى حدود الغيبيات الى الواقع الا قليلا ، ان هناك في قلب القارة وبين احراشها وادغالها مشكلة انسانية ضخمة ذات اساس اورو — افريقي ولم يكن للكنيسة ان تتخذ منها هذا الموقف السلبي لو ان استبدال الاساقفة البيض بالسود كان يعني — في الواقع — شجب مظاهر القسوة والعنف التي كانت مقاومتها في اساس رسالة المسيح عليه السلام .

*

اما باعتبار الاسلام فان الامر يختلف عن ذلك كثيرا فالتكتلات الاسلامية بافريقيا هي من صميم فصيلة هذه الكتل والجماعات التي تنصب عليها اوزار سياسة .. مالان .. وغير « مالان » من مسيحيي القارة المتدينين ! ! كما ان الدعاة من ابناء المناطق الاسلامية غير السوداء — الذين قد يفدون من خارج القارة — لا يجوز — في الغالب — ان يكونوا ماتين بصلة حضارية او جنسية او قارية وثيقة للبيض الحاكمين؛ ولهذا فالاسلام في زحفه على افريقيا لا يرتبط بالضرورة — غالبا — بذكريات ذهنية اليمة بالنسبة للافريقيين — وخاصة سكان جنوب افريقيا — وذلك ما يؤهله لان يغدو — في حالة ما اذا تجرد عن الشوائب الضارة — عامل الخلاص ومنبثق النور ومصدر الاشعاع لهذه الجماهير المسلمة التي تتلمس — على الاقل كما يجب ان يكون مفروضا لها — طريق التحرر والتطور؛ اما تلك التي لا تزال لم تستبن بعد سبيل التوحيد فان الاسلام يجب ان يقدم اليها — وذلك ما لايتم دائما — كما يجب ان يكون دين مساواة عنصرية وتكافل اجتماعي وانطلاق فكري وتحرر عقلي مع الانسجام في ذلك بالطبع مع مستويات العقليات البدائية والمتطورة واعتبار الشروط البيئية والتاريخية المكونة لهذه العقليات .

على ان الاوضاع السياسية — الحكمية التي تسود كثيرا من ارجاء القارة من شأنها — كما سلفنا المناالية — ان تنتصب — بدرجات متفاوتة — حائلا دون تحقيق شامل وعملي لهذه المبادرات ، ومع ذلك فقد امكن للوعي الفكري الذي اصبحت القارة تستروح نسائمه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ان يتجسم في اشكال واقعية قد يمكن لبعضها ان يقوم في المستقبل بانجازات هامة في مضمار الانبعاث الاسلامي بافريقيا ، ويسهم في توفير الفرص والامكانيات لاتصال اسلامي — افريقي كبير ، والواقع انه كان للاشعاع الثقافي المنطلق عن بعض البلاد العربية تأثير كبير في ذلك ؛ ولنتناول كنموذج لنشوء ظاهرة الوعي الافريقي الاسلامي هذا منظمة « الاتحاد الثقافي الاسلامي » التي تضم كثيرا من خريجي المعاهد العربية والتي يمكن ان تكون نواة لبعث فكري وعقائدي في المناطق السوداء المسلمة بالاضافة الى ما يجوز ان تسهم به — فيما يفترض ان يكون هناك من انتشار اسلامي محتمل بالاقاليم الوثنية الافريقية — ويقول السيد لي باسيرو رئيس الفرع السنغالي للاتحاد : « تستهدف المنظمة — في المحل الاول — تركيز الاخلاق الدينية وبالتالي تهذيب الاعضاء الذين تتشكل منهم والجماهير المومنة تهذيبا اسلاميا قويما ؛ كما انها عاقدة العزم على الاسهام ايضا في التقدم الاقتصادي والاجتماعي بافريقيا ؛ وهي مقتنعة بان اسلاما مجردا عن الشوائب ليس له الا ان يكون عنصرا ايجابيا في سبيل التقدم والتطور بافريقيا ... »

وقد كان مجال نشاط الهيئة محدودا في نقطة انطلاقها الاولى : دكار الا ان مؤتمرها الاتحادي التأسيسي الملتئم في دجنبر 1957 امكن ان ينبثق عن انجاز مسرحي هام ذلك حينما تم الاتفاق على اجراءات توسيع نشاط الهيئة وتزويدها بالامكانيات الضرورية على الصعيد النظري والعملي لتصبح اداة نهوض فكري وبلورة عقائدية للجماعات الاسلامية

بغرب افريقيا واواسطها ، الا انه يبدو من الضروري ان تجد مثل هذه التشكيلات ـ اذا تم لها ان تبرهن عن اهليتها للقيام بالدور الهام المقدر لهـا ـ المؤازرة المادية او الفكرية ـ على الاقل ـ من جانب الـدول التي يعنيها مستقبل افريقيا العقائدي وماله من انعكاسات على مصايرهـا السياسية والحضارية والتاريخية ، وقد كان من « الازهـر » في جنـوب الجمهورية العربية المتحدة ان بذل في هذا المضمـار ضروبا هامة من النشاط جديرة بالتقديـر وذلك في شرقي القارة وخاصة في جنوبها حيث « امكن » على حد تعبير احد المؤرخين الغربيين المعاصرين ـ ان يجتذب عشرات بل ومآت من الطلاب السود وذلك في سبيل ترويض الاسلام الاسود وحمله على الانسجام مع اسلام افريقيا والشرق .. ان القاهـرة ـ يقـول الكاتب ـ تبذل نشاطا جبارا في هذا المجال وهو يتخذ نقط استهداف له : اراضي غربـي افريقيـا كغانـا ونيجيريا ، وقد بدت نتائجه ـ سافرة ـ في الحملة على السويس ـ حيث اعتبرها كثير من السود انهزاما للاماني الافريقية وارهاصا بتقهقـر خطير للقضية التحررية وحينما توقف العراك عادوا ليعربوا عـن ابتهاجهم بذلك معتبرينـه انتصارا ساحقا لمجمـوع القارة الافريقية ... »

ان هذه البوادر الازهرية على درجـة كبيرة في الاهمية ولكن ليس من شانها ان تبلغ مداهـا الا اذا وجدت مزيدا من الدينامية الفعالة في المراكز الاسلامية الاخرى بالمغرب وتونس على الاخص ، فمن الاساسي ان يكون هناك تناسق في العمل بين مصـادر الاشعـاع الاسلامي بشمال القارة حتى يكون في المستطاع مواجهة التحدي الرهيب الذي تخلقه حالات من الصراع بيـن العقائديات الدينية وبالتالي بين القيم الحضارية في قلب افريقيـا .

ان هذه الصرخات التهوسية التي تطفر من حين لآخر ـ وبصورة متصاعـدة ـ مـن جانب الكتـاب الغربيين محذرة من خطورة الاكتسـاح الاسلامي في اعماق القارة ليست في الواقـع الا رد فعل عنيـف ليقظة الوعي الوطني الافريقي بين الجماهير السـوداء اذ ان التفكير الغربي يضع في القالب ـ كمـا تمكـن ملاحظته ـ رابطة متينة بين تقدم الوعـي الوطنـي في القارتين الملونتين وبين الشيوعية الدولية من جانب او الاسلامية العربية من جانب آخر ولهذا فانني اقدر ان هذا الحذر الشديد الذي تتسم به كتابات كثير من الغربيين بالنسبة لما يمكـن ان يقـال عـن خطـورة « الاكتساح الاسلامي » في افريقيا ـ ليس له بعد مـا يبرره ، اذ انه ليس ـ في جوهر الامر ـ الا نتيجـة « المركب الاسلامي » الذي يجثم على نفسية الكثيرين من هؤلاء او نتيجة الديماكوجية الدينية التي قـد يريدون اتخاذها وسيلة للحد من التشارية الوعـي الوطني بين ربوع القارة الصاعدة .

ومهما يكن فان ركب الحرية الزاحف علـى افريقيا ليس له ان ينتهي الى نقطة النهاية الا بعد ان يفضي الى تنظيم علاقات مع اوربا على اسس جديدة (ولعل هذا هو التبرير الحقيقي « لمركب الاسلامية » في نفسية هؤلاء الكتاب الغربيين) وقبل ان يتم ذلـك او بعد ان يتحقق فان انتفاضات الغربيين من خطورة الانتشارية الاسلامية في افريقيا لا تكون بعد قـد استحقت تبريرها الكامل ومدلولهـا الحقيقي طالما ان هذه الانتشارية المفترضة لا تجد مراكز اندفاع لهـا اصيلة ومنظمة ببـلاد الاشعاع الاسلامي في شمـال القارة .

ان الرسالة التي ينتظر من الاسلام ان يؤديها في قلب افريقيا لا تتركز فقط في ايقاظ الوعي السياسي عند السود ـ الامر الذي كم يثير من الاهتمامات في الغرب ـ انها اهم من ذلك بكثيـر ، اذ ان المفروض لها ـ فيما لو امكنهـا استنفاد جميـع اغراضهـا الاساسية ـ ان تهدف الى تحرير العقلية الافريقيـة من اسار التفكير السحري ـ الوثني وان تضطلـع بهدايتها الى طريق التحرر العقلي والوجداني الكامل ، انها ستكون اساسا لبعث فكري ـ حضاري جديد اذا اشرق على القارة فانه سيسهم في تحرير الطاقـات الحية التي تتوفر عليها عقول الجماهير السوداء الامر الذي سيسـاعد جديا على النهوض بالمجتمعات الافريقية ويكون ـ بالتالي ـ خطوة اساسية في سبيل التقـدم الانساني الاكبـر .

ان رسالة الاسلام في افريقيا وفي غيرهـا هـي رسالة الهدي الحق والوعـي الصحيـح فليس فيهـا اذن ما يثير عليها سخائم الآخريـن بل انها تنهض ـ في الواقع ـ على قواعد انسانية مثالية ليس لها الا ان تجتذبهم الى الاغتباط بتقدمها ومباركة خطواتهـا في سبيل الخير والحق والسـلام .

المقياس الديني والخلقي في النقد عند العرب

بقلم: عبد السلام الهراس

ان قضية تناول البحث في النقد عند العرب لاستخراج مذاهب نقدية وادبية كالتي نعرفها عند الغربيين محاولة تتسم بكثير من التعسف والتكلف ، اذ الادب العربي لا يستطيع ان يسعفنا باكثر مما انعكس عليه من ذوق العرب وآرائهم وعواطفهم وتجاربهم التي عانوها ، تلك التجارب التي كانت تختلف عن تجارب الغربيين ، ولهذا كان من الطبيعي ان تكون معطيات الادب العربي مختلفة عن معطيات الادب الغربي في كثير من النواحي لاختلاف الظروف والتجارب والحياة العامة .

والموضوع الذي اعالجه هذا لا يخلو من صعوبة البحث فيه ايضا ، لانه لم يكن « مشكلة » في النقد العربي القديم بحيث تثير صراعا عنيفا بين مختلف الادباء والنقاد وتحدث انقساما الى التحزب والتشيع وتجعل كل فريق يجتهد لان يحتج لمذهبه ويدافع عنه بفلسفة ودليل .. ان هذا لم يحدث ، وان كان هناك شيء فنزر يسير مركشيء عارض فلم يؤثر في سير النقد العام ولم يستطع ان يحدث فيه اي تيار بارز تام التكوين والخصائص ، مما يعطينا الاطار الفني لمدرسة لها مميزاتها الخاصة وخصائصها وفلسفتها .

وهناك صعوبة اخرى وتبدو في ان الاراء النقدية حول هذا الموضوع لم تجمع في كتاب او تحت موضع وانما هي مبثوثة هنا وهناك ، تحتاج الى جهد متواصل وبحث شاق لاستخراجها من ثنايا المراجع القديمة .. وقد استطعنا ان نكون « رايا » في الموضوع وان كان لا يستحق ان نطلق عليه مذهبا نقديا بالمعنى الحديث لبساطته وسذاجته وعدم ارتكازه على فلسفة فنية وجمالية .

*

من المعلوم ان رسول الله (ص) كان يعجب بشعر فيه حكمة دينية من ذلك قوله (ص) اصدق كلمة قالها لبيد :

الاكل شيء ما خلا الله باطلا
وكل نعيم لا محالة زائل

وكان (ص) ينصب المنبر لحسان بن ثابت رضي الله عنه ويحثه على قول الشعر بقوله (ص) قل وروح القدس معك ، وكان مثل هذا الشعر سلاحا فتاكا يسهر في اوجه الاعداء الذين يناوئون الدعوة الاسلامية لاجل تقويض اركان شركهم وتهديم عقائدهم الفاسدة والحط من شانهم ولكن عندما يخرج الشعر عما رسمه له الرسول (ص) تجده يكره سماعه وينهى عن روايته فقد انشده ذات يوم حسان قصيدة للاعشى في هجاء علقمة بن علاثة التي يقول فيها :

علقم ، ما انت الى عامر
الناقض الاوتار والواتر

فلم يكد يسمع رسول الله (ص) ذلك حتى قال لحسان : يا حسان لا تنشد هذه القصيدة بعد مجلسك هذا . فقال حسان رضي الله عنه : تنهاني عن رجل مشرك مقيم عند قيصر / فقال النبي (ص) يا حسان اشكر الناس للناس اشكرهم لله تعالى وايه قيصر . سال ابا سفيان بن حرب عني فتناول مني ، وانه سال هذا عني فاحسن القول .

ومعنى هذا ان الشعر يجب ان لا يستعمل للاعتداء ، ولذلك حرم النبي (ص) روايته وانشاءه وعندما يحاول الشعر النيل من احد تمتد يد السلطة القائمة لتمنع الاعتداء وذلك ما نراه في عهد عمر رضي الله عنه عندما سجن الحطيئة عندما هجا الزبرقان ابن بدر .

وقد حذر الرسول (ص) من رواية الشعر المنحرف بقوله (ص) لان يمتليء جوف احدكم قيحا او دما خير له من ان يمتليء شعرا ، ولعل هذا التحذير منصب على رواية الشعر الذي هجي به الرسول (ص) بدليل ما في رواية اخرى من زيادة « مما هجيت به » ولنا ان نعتبر القاعدة عامة لان كل المسلم على المسلم حرام : ماله ، ودمه ، وعرضه .

ويروى عن عمر بن الخطاب انه عندما سمع قول ابي القيس بن السلت :

الكيس والقوة خير من
الاشفاق والفهة والهاع

اعاد البيت وجعل يردده اعجابا بما فيه من حكمة ، وسئل احدهم ما البلاغة فاجاب : ما بلغ بك الجنة ، ولكن الشعر العربي اختط لنفسه طريقا ولم يتحول عنها منذ الجاهلية الى الآن ، وايد النقاد العرب وجهة الشعر العربي الذي كان ماسورا للشعر الجاهلي وتابعا لخطواته ... ولم يلزموه باتباع الاخلاق ومراعاة تعاليم الدين .

ولذلك نرى كثيرا من نقاد العرب يتناولون العمل الادبي بحرية تامة بل ان بعضهم يغلو في نظرته ويرى ان الشعر ميدانه الشر كما سنرى ، ونجد الموقف النقدي المتحرر حتى عند من عرفوا بالصلاح ، فهذا ابن عتيق يذكر شعر الحرث بن خالد وشعر بن ابي ربيعة في مجلسه فيفضل احد الجالسين شعر الحرث على شعر بن ابي ربيعة ، فيرده ابن عتيق الفاضل قائلا : يا ابن ام ، لشعر عمر بن ابي ربيعة نوطة في القلب ، وعلوق بالنفس ، ودرك للحاجة ليست لشعر الحرث .. واين كان ابن عتيق يرى بعد هذا الحكم الفني : ان شعر بن ابي ربيعة يعصى به الله .. لكن هذا – كما تقدم – لا يقدح في قيمة شعره الفنية وقوة اسره وشدة تاثيره في النفوس .

ونجد ايضا هذا الاتجاه النقدي عند قدامة بن جعفر ايضا : انه يقف من العمل الادبي موقفا منهجيا موضوعيا ، فهو يرى ان يترك للشاعر حريته في ان يختار من المعاني ما يشاء ويتناولها بصناعته كما يتناول مادة الخشب او الفضة ليصوغها ولكن يجب ان يبلغ في تجويده واتقانه بشعره الى الغاية المطلوبة في المعنى الذي تناوله ، وقد يكون المعنى فاحشا ولكن فحاشة المعنى مما لا يزيل عن الشعر جودته ويطعن في روعته ويؤثر في جماله ، وعلى هذا الاساس يغلط من عاب على امريء القيس قوله :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع
فالهيتها عن ذي تمائم محول

اذا ما بكى من خلفها انصرفت له
بشق ، وتحتي شقها لم يحول

ويرى أن معنى البيتين الفاحش لا يقدح في الجودة الفنية التي بلغها الشاعر في هذا التصوير كما لا تعاب صنعة النجار اذا تناولت خشبا رديئا .

ويكاد يتفق هذا القول مع راي للفيلسوف الايطالي كروتشه الذي يرى انه قد تعبر الصورة عن فعل يحمد او يذم من الناحية الاخلاقية ولكن الصورة نفسها لا يمكن ان تحمد او تذم من الناحية الفنية كما انك لا تستطيع ان تحكم على المربع بانه اخلاقي وعلى المثلث بانه غير اخلاقي .

ونجد غير قدامة من نقاد العرب يؤيد هذا الاتجاه تاييدا قويا ، فيرى أن ما يطلب من الشاعر صحة التاليف وقوة السبك وروعة التعبير وصحة المعنى ومما جاء في كتاب « الموازنة » ان صناعة الشعر لا تجود ولا تستحكم الا باربعة اشياء : جودة الآلة واصابة الغرض المقصود ، وصحة التاليف ، والانتهاء الى نهاية الصنعة من غير نقص ولا زيادة عليها ، ونلاحظ انهم لم يعدوا من دعائم الشعر الناحية الاخلاقية او الدينية .

بل اننا نرى الاصمعي يبتعد بالشعر عن ميدان الاخلاق ويرى ان طبيعته لا تتلاءم الا مع الشر وان لبانه لا يتغذى ولا ينبت الا في دنيا الشرور والآثام فاذا ما دخل ميدان الخير فانه يلين ويضعف ولا يبلغ ما يبلغه وهو في الشر ، فحسان بن ثابت كان شعره قويا في الجاهلية فلما توجه بشعره نحو الخير ضعف واصابه الهزل ، ويرى ان طريق الشعر ليست سوى طريق الفحول كامريء القيس ...

ويرى ايضا ان مقياس فحولة الشعر وتفوقه ان يعمد الشاعر الى المعنى الخسيس فيضفي عليه من ذكائه وصنعته ما يجعله شريفا وتكون له القدرة على تصغير المعنى الكبير وتكبير المعنى الصغير .

ولا نجد — فيما أحسب — في نقاد العرب من يرى رأيا مخالفا للاصمعي على طول الخط ، اي ان الشعر لا تتبع اوزانه الا في دائرة الخير ، وان كنا نجد بعض الغربيين يتزعم هذا الراي ويرى ان الفن اذا لم يتبع خطوات الاخلاق ويعمل على بثها في النفوس يحكم عليه بعدم الخلود ، وان كان قد بني رأيه هذا على فكرة فلسفية مثالية وهي ان العواطف الفظة الانانية الوحشية سائرة نحو الانقراض غير ان هذا الزعم مسرف في تفاؤله لان الشر عنصر جوهري من حياة الانسان كالظلام ، اما العالم الذي يوجد فيه ذلك الادب الاخلاقي السامي فلم يوجد بعد ، وما اظن انه سيوجد !! .

فهذا الناقد الغربي على طرفي نقيض مع الاصمعي الذي يستمر في تأييد رأيه ويضعه الاساس لاحكامه على بعض الشعراء ، فتراه يخرج لبيدا من الفحول لان شعره تعوزه الحلاوة الشعرية لانه ينبثق عن شخصية صالحة ، ولعل صلاح لبيد واستقامته مما يقدم في شعره وقيمته الفنية عند الاصمعي ..

ونرى في هذا الصدد اتجاها غربيا مجافيا لروح الفن ورسالته المقدسة ... هذا الاتجاه المتطرف الذي يصرح «بان الشعر الجاهلي اقوى الشعر وافحله معللا ذلك بان أكثره بني على الكذب والاستحالة من الصفات الممتنعة والنعوت الخارجة عن العادات ، والالفاظ الكاذبة ، من قذف المحصنات وشهادة الزور ، وقول البهتان» ومعنى هذا ان الكذب والاستحالة يضفيان على الشعر القوة ويبلغان به مبلغ الفحولة ، وان الشعر كلما تغذى من لبان الشر كلما ازداد نضارة واكتسب روعة .. ويرى صاحب هذا الراي ان الصدق والاخلاق والدين كل ذلك لا يراد من الشعراء وانما يراد من الانبياء ..

وكنا نود لو ركز نقاد العرب رايهم حول « حياد » الفن عن الاخلاق واللاخلاق وانه مستقل عن كل بطبيعته عن القضايا الاخلاقية والدينية وان كان قد يؤدي خدمة جليلة للاخلاق عن طريق الصدق الفني ؛ ولكن بعض نقادنا كما رايت ابى الا ان يصم الفن بانه يتغذى من الكذب ومن الشر وانه على هذا يجافي كل خلق حميد ... مع ان النقد الحديث يرى ان الصدق شرط اساسي في العمل الادبي ولا يعد من الادب ما فقد هذا الشرط الاساسي .

وكان قدامة اسلم في تفكير من هؤلاء الذين ابوا الا ان يلطخوا الفن ويفرضوا عليه حياة آمنة وجوا مليئا بالكذب والخداع والغش .

وكان عبد العزيز الجرجاني واضح المنهج في هذه القضية ، فتراه يعجب ممن ينتقص شعر ابي الطيب المتنبي من زاوية العقيدة حيث ذكر في شعره ما لا يتفق والدين ، غير ان هذه الناحية لا ينبغي ان تتخذ مقياسا نقديا — في رأي عبد العزيز — لانها خارجة عن نطاق الادب والفن .

والابيات التي وجهت اليها الطعن هي قول ابي الطيب :

يترشفن في فمي رشفات
هن فيه احلى من التوحيد

وقوله :

اترك لذة الصهباء نقدا
لما وعدوه من لبن وخمر

حياة ثم موت ثم بعث
حديث خرافة يا ام عمرو

واذا نحن حكمنا هذا المقياس لوجب ان يمحى اسم ابي نواس من الدواوين ؛ بل انه لا يعد في اي طبقة من الطبقات لانه جال في شعره في مجالات يصادم كثير منها دواعي الفضيلة وروح الدين وياباها ويبغضها الله .

ويرى الجرجاني انه لو كان يصح ان يتخذ الدين مقياسا لوجب ان تقيم من الامة حكما على الشعر ، فمن شهدت بكفره اسقطناه من دنيا الشعراء وحكمنا على شعره بالاعدام .. ولكان اولى بهذا اهل الجاهلية « ولوجب ان يكون من تناول رسول الله (ص) وعاب بعض اصحابه ككعب بن زهير وابن الزهري بكما خرسا » غير ان الامر ليس كذلك اذ ميدان الشعر غير ميدان الدين ، والدين بمعزل عن الشعر .

وقد طعن بعضهم في شعر ابي تمام بتهمة الكفر وغضوا من حسنه غير ان الكفر — من الناحية الفنية البحتة وفي نظر النقاد العرب — لا يغض من قيمة اي شعر كما ان الايمان لا يزيده قيمة الشعر ، واذا كان هناك انتقاص فليتوجه للشاعر لا لشعره فكم من شاعر

صحيح الكفر فاسد العقيدة لكن لم يؤثر ذلك فى شعرهم ولا فى اعجاب الادباء بروعته وانما نقصوا هم فى انفسهم واصابهم الشقاء بكفرهم .

وهكذا نرى بعض النقاد العرب يفرقون بين الشاعر وشعره فيقومون الشعر بالتقويم الفني ويدعون عقيدته والحكم فيها الى الله او الى المعنيين بذلك ؛ ومحاولة النظر الى الشعر من خلال عقيدة الشاعر ومذهبه انما هي محاولة غريبة عن الفن بل انها مفسدة للفن ولاسسه التقويمية واننا نرى بعض النقاد العرب يصرحون بأن تقديمهم جرير والفرزدق على الاخطل ليس الا من الناحية الفنية البحتة لا من ناحية ايمانهما وكفره .

ونرى هذا الاتجاه واضحا كل الوضوح ايضا لدى ابي بكر الصولي اذ يقول : « وما احسب شعر ابي تمام مع جودته واجماع الناس عليه ينتقص بطعن طاعن عليه فى زماننا هذا .. والذين طعنوا عليه لا علم لهم ولا خبرة بالشعر ونقده وتمييزه ، وليس ذلك من صناعتهم .. » ولا يكتفي الصولي بوصفهم بذلك بل يزيد بانهم مصابون بهذيان وحمق عندما حكموا على شعره بالفساد ، لفساد عقيدته ـ كما كانوا يزعمون ـ فى حين كان علماء الملوك ورؤساء الكتاب الذين لهم ذوق نقدي له قيمته يقدرون شعر ابي تمام ويطربون له ويذيعونه ويستزيدون من انشاده وسماعه ..

ويرى ايضا ابو بكر الصولي وجوب التفريق بين الشاعر وشعره وبذلك يؤيد نزعة النقد الموضوعي الذي لا يتأثر باعتبارات ذاتية ومقاييس ليست من الفن ولا تصلح لان يقاس بها الفن .

ويضرب لنا الصولي مثلا واضحا على ان لشعر ابي تمام تأثيرا فى النفوس عندما ينظر اليه نظرة مجردة عن الهوى بعيدة عن الذاتية ـ بقصة ابن الاعرابي المشهورة ، فقد قال عند سماع شعره : ما سمعت باحسن منه // غير ان هذا الاعجاب قد اختفى بين دخان التعصب الذميم ، واستحالت الابتسامة عبوسا وذلك عندما قيل له انها لابي تمام ، فما ان سمع ذلك حتى نفر منها نفورا شديدا وصب ما كان يملك من لعنات على ابي تمام وامر راويها بتمزيق القصيدة .

وهكذا تحطم الذاتية المقاييس وتدين الجمال الفني بالهوى والشهوات والاغراض فالشعر فى ذاته جميل ويستحق الاعجاب بل انه اجمل ما سمع ابن الاعرابي غير انه بمجرد اقترانه باسم صاحبه ينحدر الى الحضيض ويحكم عليه بالتمزيق وعلى صاحبه باللعن والشتم .

ويقول احد نقاد العرب فى ذلك : « ما عاب مثل هذه الاشعار التي ترتاح لها القلوب وتجذل بها النفوس وتصغي اليها الاسماع وتشحذ بها الاذهان ـ فانما غض من نفسه وطعن على معرفته واختياره ... » وبعد هذا يستعيذ الصولي بالله من الهوى وان كان هناك من يرى لذوي الفضل فضلهم دونما نظر الى متعنات خارجة عن الفن والصنعة الادبية .

ومما يعاب على الناقد ان ينظر الى الادب من خلال عقيدة صاحبه ويكلف نفسه البحث عن مصدر عقيدته ليجعل ذلك ضمن مبررات حكمه على ادب صاحبه بل يجب ان يبالي فقط بما قد يكون فى ادبه من جودة او عدمها .

ونجد فى بعض اللمحات النقدية ما يؤيد لنا حرص بعض النقاد على البحث فى القيم الفنية البحتة ولو كان فى الاصابة ما يعد خروجا على القوانين الاخلاقية ، فقد عابت الناقدة العربية الفاضلة السيدة سكينة حفيدة رسول الله ـ عابت جريرا فى قوله :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا
حين الزيادة فارجعي بسلام

وقالت له ـ بواسطة جاريتها ـ افلا اخذت بيدها فرحبت بها وادنيت مجلسها وقلت ما يقال لمثلها

فالصدق العاطفي مفقود هنا اذن وموقف جرير العف موقف يشير الى اضطراب فى التعبير عما فى النفس لانه تعبير مخالف للطبيعة البشرية بله الشعراء ذوي العواطف الرقيقة والقلوب الخفاقة للحب والجمال.

ومن استعراضنا هذا لآراء نقاد العرب نلاحظ انهم اتفقوا على ان للشاعر حريته التامة فى التعبير حتى ان بعضهم جعل لكل من الشعر والدين ميدانا خاصا به ومعنى ان حرية الشعر الجاهلي قد استطاعت ان تفرض نفسها على الشعر العربي حتى فى العصور الاسلامية وتتحكم فيه ، وتجعل من نفسها المثل الاعلى له ، يستوحي منها مسلكه ومنهاجه وبناءه ، مما جعل تلك الفترة المثالية التي عاشها العرب يوم اشرقت فى بلادهم رسالة الاسلام ، تكاد عديمة الجدوى فى التوجيه الادبي من الناحية الاخلاقية ، واستطاع

الشعر الجاهلي ان يتخطى هذه الفترة وان يتغلب على تعاليمها في دنيا الشعر .

نعم كان ذلك على الرغم من ان القرآن الكريم ذم الشعراء ووصفهم باوصاف شائنة ، يقتفي اثرهم اولئك الذين يلتقطون كذبهم واهاجيهم ومنكرهم ليرووها للناس ويشيعوها في المجتمع ..

وعلى الرغم من ان الاسلام اشار الى ان الشاعر الذي ينال رضى الله هو المومن الذي يدافع عن الدعوة الاسلامية ويرد عنها كيد اعدائها ويجعل ادبه وقفا على خدمة العقيدة الاسلامية .

فالشعر الجاهلي اذن كانت له سطوة جبارة وسيادة مطلقة على الشعر العربي في جميع العصور واحب هنا ان استثني طائفة الخوارج التي كانت تنظر — غالبا — الى الادب على انه وسيلة لخدمة عقيدتهم ، وكان الخوارج معروفين بالصدق في شعرهم تبعا لعقيدتهم ونظرتهم الى الكذب كجريمة كبرى ، ولذلك كانوا يكرهون مدح من لا يستحق المدح او مدح الرجل بما ليس فيه .. فقد كان الفرزدق يوما ينشد وحوله الناس اذ مر به عمران بن حطان فقال له :

ايها المادح العباد ليعطى
ان لله ما بايدي العباد

فاسأل الله ما طلبت اليهم
وارج فضل المقسم العواد

لا تقل في الجواد ما ليس فيه
وتسمي البخيل باسم الجواد

وقالت له امرأته مرة : الم تزعم انك لا تكذب في شعرك ؟ فقال : بلى . قالت افرايت قولك :

وكذلك مجزاة بن ثور
كان اشجع من اسامة

ايكون رجل اشجع من الاسد ؟ قال نعم . ان مجزاة بن ثور فتح مدينة كذا والاسد لا يقدر على فتح مدينة .

فاذن كان الخوارج ينظرون الى الشعر نظرة اخلاقية عن اعتقاد عميق .

ولكن مع وجود العصر الذهبي الاسلامي واتجاه الخوارج لم يتحول تيار النقد العربي عن نظرته الحرة الطليقة دونما اعتبار للنواحي الخلقية والدينية ، بل قد يعاب على الناقد اذا ما غض من قيمة الشعر بدعوى خروجه عن مقاييس الاخلاق والفضيلة ويتهم في ذوقه وفهمه ، فيكون نقده ذلك دليلا على انه ليس من اهل الادب ولا من نقاده .

وفي راينا ان السبب في عدم وجود مدرسة نقدية اسلامية ملتزمة ان النفس العربية لم تؤثر فيها تعاليم الاسلام بوجه عام ولم يتعمق الاشراق الديني في كيانها — اذا استثنينا بعض المومنين الابطال في صدر الاسلام وبعده — بحيث تلتزم نفسيا بالتقيد بمقاييس الدين والاخلاق في الانتاج والنقد .

ان المجتمع الاسلامي لم يرفض ذلك الشعر الذي كان يطفح بالاغراض الجاهلية من هجاء وغزل ومدح وغير ذلك ، بل كان هذا الشعر يجد من المجتمع خير مشجع له على الاستمرار فالناس كانوا يعجبون بجرير والفرزدق والاخطل على رغم ما تفوهوا به من فساد وبهتان وما ترامو١ به من مساويء وقدح في الاعراض والكرامة بل ان المجتمع كان يتلذذ بهذه المعارك الفاجرة ، كما كانوا يعجبون بشعر بن ابي ربيعة على ما فيه من تغزل فاحش يتناول به اعراض الناس فيفضحها حتى في اوقات واماكن مقدسة .

واذا ما اعتبرنا المجتمع كنا قد عام — زيادة على موقف النقاد المتخصصين — نستطيع ان نقول : انه كان هناك تجاوب تام بين الشعر العربي بما فيه وبين النفس العربية .

ولو ان المجتمع وقف من الاتجاه المتحرر من قيود الدين والاخلاق موقفا يمليه الدين لكان الانتاج الشعري العربي قد غير وجهته الى ما يرضي الناس ويحوز اعجابهم كما فعل الخوارج بالنسبة لعقيدتهم ومجتمعهم الصغير .

ومن العجيب ان نجد بعضهم يرى ان لكي يكتسب الروعة والقوة لابد له من ان يتغذى من لبان الشر ويدور في فلكه فاذا دخل الخير لان .. وليس ما يقوله الاصمعي صحيحا ، ان الشعر يكون قويا هنا وهناك اذا ما توفرت في المنتج عوامل الاديب الاصيل من طبع جمالي عميق وعاطفة جياشة صادقة حساسة وخيال

عميق وواسع وفكر مستنير وقدرة على التصوير والتعبير عن تجربته وعواطفه .. وشعر الخوارج وقصائد البوصيري الدينية دليل على ما نقول .

كما يكون الشعر هزيلا فى الشر والخير على السواء لوجود عوامل ضعف فى طبيعة الشاعر تمنعه عن الانتاج الرائع .. او لوجود قيود خارجية مفروضة على الشاعر بحيث يكون انتاجه ليس عن انفعال وتجربة وليس ملتزما من الداخل ، منبثقا من اعماق النفس .

وليس مستحيلا ان نصنع الادب الاخلاقي الموجه اذا نحن استطعنا ان نوجه المجتمع الاخلاقي ؛ لان الادب مرآة تنعكس عليها الوان المجتمع المختلفة فمن هذا المجتمع ينبثق ادبه الذي يمثله اصدق تمثيل .

فاذا اردنا ان نجعل من الشعر وسيلة لاعلاء العواطف وتهذيبها واشعارها باللذة الرفيعة النبيلة وتقوية الارادة وتنشيط العزيمة يجب علينا ان نكون قبل كل شيء المجتمع الصالح الذي لا يمكن ان يعيش فى اجوائه الا الادب الذي يعكس اخلاقه الفاضلة وآماله المشرقة وعواطفه السامية .

اما ان نطالب اديبا يعيش فى واقع آسن فاسد ان يتجه بادبه نحو الاخلاق ونحيطه بسلسلة من القيود القانونية والبوليسية ، فان هذا التحكم سوف لا ينتج لنا ادبا حقا وان كان يستطيع ان ينتج لنا مواعظ .

ان الادب يجب ان يكون ذا اثر فعال فى تقوية المجتمع تقوية نفسية خلقية لكن يجب ان لا يكون ذلك مفتعلا مفروضا وانما ينبع من نفس اخلاقية تومن بالقيم وتقدس الحق وتعتقد ان رسالتها هي اشاعة الخير والجمال والامن والسلام فى ارجاء العالم .

مراجع البحث :

الوساطة ، البيان والتبيين ، اسرار البلاغة ، الاغاني ، الموازنة ، نقد الشعر ، الموشح ، اخبار ابي تمام ، قراضة الذهب ، دلائل الاعجاز ، الزينة فى المصطلحات العربية الاسلامية ، فلسفة الجمال ، المجمل فى فلسفة الفن ، فى الادب والنقد ، مسائل فلسفية معاصرة ، المدخل الى النقد الادبي الحديث .



مسجد محمد علي بالقاهرة

حول التجديد في قالب الشعر ومضمونه

بقلم
محمد محمود معلد



تحية الاسلام مباركة طيبة .

فيسعدني ان ابعث اليكم بكلمة اوحت بها الندوة التي اقامها المركز الثقافي العربي حول « الاتجاهات الحديثة في الادب » والتي تركزت المناقشة فيها حول موقف الادباء من القالب القديم ، والقالب الجديد للشعر العربي .

لقد استمعت الى رايين في هذا الموضوع : راي ينتصر للقالب القديم للشعر ، ويتمسك به ؛ حفاظا على موسيقى الشعر ورنينه ، وآخر يؤيد الشكل الجديد للشعر ؛ استجابة لسنة التطور التي هي سمة العصر الحديث ، ووقعت بين الرايين على كلمة مركزة تنتصر للشعر ايا كان قالبه وشكله ، ما دام مستوفيا لمقوماته الفنية .

وقد احببت بكلمتي هذه ان اكشف عن بعض الجوانب في هذا الموضوع .

هذا القالب الجديد الذي يتميز بالمرونة والحرية في عدد التفاعيل قد ابتكره شعراء عراقيون، وشاميون اشهرهم عبد الوهاب البياتي ، وما لبث ان ذاع ، واقبل عليه عشرات الشبان في مختلف البلاد العربية ، ثم احتضنته الواقعية الاشتراكية حتى اوشك ان يصبح علما على شعرها ، وان كان معظم القراء ينفرون منه وينصرفون عنه ؛ لشدة خضوعهم للوزن التقليدي الذي يتطلب تساوي عدد التفاعيل في جميع ابيات القصيدة الواحدة ، ولاعتقادهم انه سهل يسير ، وان كانت هذه السهولة نفسها سببا في التهافت على النظم فيه ، والاقبال عليه .

والحق ان كلا الفريقين مخطيء ، فهذا القالب المرن سهل حقا اذا كان هم الناظم مجرد حشد العبارات المنظومة ، ولكنه بالغ الصعوبة والامتناع اذا كان يطمح الى الاجادة ، ولا يحب ان يسقط او يسف . فاذا تحرر الشاعر من القيد العددي للتفاعيل وجب ان يعوضه اتقان كبير للموسيقى الشعرية ، ومقدرة على التنغيم المنوع ، لا نجدها في معظم شعرائنا لانهم لم يعتادوها ، كما اعتادها شعراء الغرب ، فقد الفوا — منذ زمن طويل — الشكل التقليدي ذا التفاعيل المتساوية ، والنسق الرتيب الذي لا يختلف من بيت الى بيت .

اما اذا اجاد الشاعر هذا القالب المرن ، واتقنه ، ومرن عليه ، فانه سيصبح خليقا بان يهدي الى الشعر العربي حرية ، واتساعا ، وانطلاقا ، هو في اشد الحاجة اليها ، فقد طال خضوعه للوزن المطرد ، والتنسيق الحاد ، والجرس الرنان . وبديهي ان الذوق البدائي وحده هو الذي يحب الجرس الحاد ، والموسيقى الصاخبة ، كما يحب الالوان الفاقعة — اما الذوق الناضج المهذب فيفضل ان يكون التنظيم خافتا مرنا منوعا غير رتيب ، وان تكون الموسيقى خفية هادئة ، كما يفضل ان يكون اللون هادئا لطيفا غير صارخ .

والذين تعودوا منا خفوت التنظيم ، ولطفه ، وتنوعه فى الشعر الغربي تجرح آذانهم ، وتخدش اذواقهم حدة الوزن العربي ، ونبراته الرتيبة ، وكثيرا ما تاقت نفوسهم الى ان يدخلها قدر من الخفوت والخفة ؛ حتى جاء هذا القالب الجديد يتسائل للتحرر والتطور لم يعرفه الشعر العربي اصدق منها منذ عهد الخليل بن احمد ، برغم كل ما حاوله من موشحات ، وتشطيرات ، وتخميسات . حقا ان هذا القالب الجديد لا يدخل تغييرا اساسيا فى طبيعة الوزن العربي نفسها ، لان تفاعيله هي نفس التفاعيل القديمة ، فضلا عن انه لا يمكن استعماله الا فى البحور ذات التفعيلة الواحدة المكررة مثل : الكامل ، والرمل ، والمتقارب ، اما البحر ذو التفاعيل المختلفة مثل الطويل ، والبسيط ، والخفيف فهو لا يقبل هذا القالب، ومعنى هذا ان هذا القالب لا يصلح الا لستة من بحور الشعر العربي الستة عشر ، وفى هذا حرمان كبير .

ولكن برغم هذا كله يقدم القالب الجديد فرصة للتحرر والانطلاق ، على ان هذه الفرصة لا تقتصر على الشكل دون المضمون ؛ فان تحرر الشكل ومرونته يسمحان للشاعر بانطلاق فكري كبير ، لم يعرفه الشعر العربي فى كل عهوده السابقة ، ويفتحان امامه آفاقا واسعة ــ سواء فى الشعر الغنائي او فى الشعر الدرامي ــ سيكون من الشائق ان نرى كيف يرتادها الشعراء .

على ان هذا التحرر والانطلاق الشكلي والموضوعي يحمل في طياته خطرا كبيرا على من لا يستطيعون تعويضه بتنغيم داخلي اكثر نضجا ، ونظام فكري اكبر دقة ، ترتبط فيه اجزاء القصيدة ارتباطا عضويا حيا ، يغنيها عن ذلك النظام الشكلي الصارم الرتيب الذي تحررت منه ، فهؤلاء ينساقون مع تقطيعاته المرنة الحرة كيفما تراءى لهم ، فلا يؤدي تحررهم الا الى التفكك والفوضى من ناحية الشكل ، والهذر والهذيان من ناحية الموضوع ، ويفقد انتاجهم من كل ميزة شعرية حقة ، ولا يمتاز عن النثر ، بل يصبح النثر افضل منه لصحته واستقامته الفكرية .

على ان من الشعراء من وفق الى حد كبير فى بيان ما يكسبه شعرنا الحديث من القالب الشعري الجديد حين يتقن استخدامه ، ومن الواقعية الحديثة حين يحسن اتباعها امثال جيلي عبد الرحمن فى قصيدته « اطفال حارة زهرة الربيع » .

حارتنا مخبوءة فى حي عابدين
تطاولت بيوتها كانها قلاع
وسدت الاضواء عن ابنائها الجوع
للنور ، والزهور ، والحياه
فاغرورقت فى شجوها وشوقها الحزين
نوافذ كانها ضلوع ميتين .
وبابها عجوز .

*

وفوق عتمة الجدار
صفيحة مغروسة فى كومة الغبار
تآكلت حروفها لكنها تضوع
زهرة الربيع

*

وفى البكور يخرج الرجال
اقدامهم منهوكة ، وصمتهم سعال
يدعون للاله فى ابتهال
يا اله
افتح لنا الابواب ، وسهل الارزاق
وتختفي اقدامهم فى زحمة الحياه

*

ويصخب العراك فى شتائم تدور
وبائع الكرات والجرجير
ينغم بالنداء
فى صوته انطلاقه الحمام فى السماء .
يختال كاوز فى القرى
فيهدأ السباب .

الى آخر ما جاء فى هذه القصيدة مما يصور امل الانوثة ، واصرارها على الحياة ، والطفولة البريئة الطاهرة ، واصرارها هي الاخرى على الامل العريض تصويرا واقعيا سهلا صادقا بلغة تقترب من لغة الحديث اليومي .

بقى ان اقول : اذا كان هذا اللون من الشعر لا يستسيغه الكثيرون ، ويرفضون أن يعدوه شعرا ؛ اذ يفتقدون فيه فخامة الشعر الكلاسيكي ورنينه ، او حلاوة الشعر الروماني ونعومته فالحق انه يحتاج الى الفة طويلة ، تغير من ذوق القاريء تغييرا اساسيا قبل ان يستطيع الاستمتاع به ، وحين يتحقق هذا سيقبل على هذا الشعر ، كما يقبل الخارج من قبو متعفن الى الهواء النظيف الفسيح ...

محمد محمود مقلد
عضو البعثة التعليمية المصرية بالمغرب

نشأة الأدب العربي بالمغرب

بقلم : عبد القادر زمامة

هذا بحث صغير في موضوع كبير . يحاول كاتبه ان يستجيب فيه لمطامح النفس المغربية التي تشعر بها دائما تسائلنا ... نحن جزء لا يتجزأ من العالم العربي .. وتراث العرب تراثنا . ولغتهم لغتنا . وأدبهم ادبنا .. فما بالنا نجد في كتب التاريخ والادب عشرات بل مئات الشعراء والمؤلفين ينتسبون الى البصرة والكوفة وبغداد ودمشق وقرطبة في عصور الحضارة الاسلامية الاولى ... بينما لا نكاد نجد من ينتسب منهم الى مدينة من مدن المغرب الموجودة اذ ذاك ... فهل كان الناس هنا في المغرب يعيشون من غير ادب ... ؟ وهل كان الناس هنا في المغرب يسمعون ويقراون ءاثار العلماء والادباء الشرقيين والاندلسيين فيكتفون بذلك ويعكفون على ترديده ونقده من دون أن يتعبوا انفسهم بانشاء ادب جديد ذي طابع جديد .. ؟ اجل . هذه معضلة نصادفها دائما عند محاولتنا دراسة الادب العربي في المغرب وتكون المعضلة شديدة الوقع في النفس عندما نريد ان نقدم للناس كتابا في الادب العربي يضم آثار ادباء العرب في مختلف العصور والاقطار العربية . لان حظ المغرب يكون هزيلا شاحبا لا يطفيء غلة ولا يروي ظمأ ... مما ادى ببعض المؤلفين الى اهماله بالمرة او الاكتفاء بما بقي من ادب الاندلس ..

وطبيعي ان يهتم الباحثون بهذا الموضوع . وطبيعي ان يحاولوا ارسال اضواء كاشفة على ما غمض من آثار المغاربة الاولين .. وطبيعي ان يحبسوا انفسهم على البحث والتنقيب علهم يظفرون بما يزيحون به الستار عن خفايا الماضي وغوامضه .. ولاشك ان الباحثين عن نشاة الادب العربي في المغرب في العصور الاولى ، اعني عصر الادارسة ومغراوة وبني يفرن يجدون انفسهم امام مادة تاريخية ضاعت جل مصادرها المعاصرة ككتاب المؤرخ ابي عبد الله محمد بن يوسف التاريخي المعروف بالوراق المتوفى سنة 292 وقد كتب هذا المؤرخ عن ــ البصرة ــ و ــ سجلماسة ــ و ــ نكور ــ و ــ فاس ــ وغيرها من حواضر المغرب في تلك العصور . وكتاب تاريخ الادارسة للمؤرخ البرنوسي الذي ينقل عنه صاحب القرطاس كثيرا . وكتاب تاريخ الادارسة للمؤرخ ابن الودون الذي اشار اليه صاحب بيوتات فاس عند كلامه على عائلة ابن الودون .. الشهيرة . كما انهم يجدون انفسهم امام عدة حواضر مغربية منها ما يؤسس ومنها ما يجدد بناؤه وبشوع خاص في الناحية الشمالية من المغرب . لان انعدام سلطة مركزية ادى الى ظهور مطامح متعددة وامارات وزعامات متعددة ولا سيما بعد انهيار دولة الادارسة في فاس وتلاعب ساسة الفاطميين والمروانيين بزعماء القبائل التي كانت تطمح اذ ذاك الى سد الفراغ الذي حدث بانحلال دولة الادارسة ...

وفي هذه الظروف نجد في كتب الطبقات وكتب المسالك والممالك اسماء عدة شخصيات مغربية لها قيمتها الثقافية في علوم الشريعة والادب ونقرا بعض المقطعات الشعرية كتلك التي رواها لنا البكري في مسالكه عند كلامه على مدنية البصرة المغربية التي كانت تعرف اذ ذاك ببصرة الكتان . او بصرة الذبان والتي كانت مشهورة بجمال نسائها الفائق . وينسب البكري القطعة لاحمد بن فتح المعروف بابن الخراز التاهرتي يمدح ابا العيش بن ابراهيم بن قاسم :

قبح الاله اللهو الا قينة
في بصرة في حمرة وبياض

الخمر في لحظاتها والورود في
ــي وجناتها والكشح غير مفاض

ولم يرو البكري اكثر من ستة ابيات . كما ان المؤرخين رووا للامام ادريس رضي الله عنه مقطعات شعرية في الفخر والحماسة وكذلك لابنه القاسم بن ادريس وكذلك لحفيده ابراهيم الذي هاجر الى الاندلس وسكن قرطبة الى ان اخرجه الحاجب المنصور ابن

ابي عامر من الاندلس فيمن اخرجه من اهل بيته بعد الحادث الشهير الذي قتل فيه الحسن بن جنون .

يقول ابراهيم يهجو المنصور بن ابي عامر ويخاطب الامويين الذين استبد بهم هذا الحاجب :

فيما ارى عجبا لمن يتعجب
جلت مصيبتنا وضاق المذهب

اني لاكذب مقلتي فيما ارى
حتى اقول غلطت فيما احسب

ايكون حيا من امية واحد
ويسوس هذا الملك هذا الاحدب

تمشي عساكرهم حوالي هودج
اعواده فيهن قرد اشهب

ابني امية اين اقمار الدجى
منكم وما لوجوهها تتغيب

وقد روى المؤرخون لهذا الامير غير هذه القطعة ولاشك انك تلاحظ في القطعة التي امامك مدح امير علوي لابناء امية . !!! وهو غريب .. ! في بابه .

وقد اجتذب الاندلس كثيرا من المغاربة الذين اندمجوا في الوسط الاندلسي وعرفوا بنسبتهم الى المغرب كالاصيلي راوية البخاري ويحيى بن يحيى .. راوية الموطأ ونجد غيرهما ممن ينسب الى نفزة واوربة وزناتة ومصمودة ومغراوة وغيرها كما نجد القيروان هي الاخرى اجتذبت ءاخرين كالشيخ ابن عمران الفاسي وقل مثل ذلك عن بغداد ودمشق والمدينة والاسكندرية واخيرا ... القاهرة ...

وليس لهذا من تفسير سوى ان الحياة ضاقت بهؤلاء في بلادهم بسبب الحروب والفتن الداخلية التي استمرت عدة اجيال لم يمكن معها ان يتذوق الناس حياة السلم والاستقرار التي هي الشرط الاساسي لازدهار الادب والعلم .

والادب والعلم انما يزدهران عندما تسود اللغة ويعظم شأنها وتصبح اداة حية في المعاهد والمؤسسات الحكومية وعلى السنة الناس في حياتهم اليومية وهذا ما حدث في مدن العراق وفارس ومدن الاندلس ايضا فقد كانت موجات المهاجرين العرب المسلمين دفاقة على هذه الاقطار منذ الفتح الاسلامي ولم يلبث السكان الاصليون من فرس واكراد وروم وارمن وانباط وغيرهم في الشرق ان اقبلوا على اللغة الجديدة يتسابقون الى تعلمها واستعمالها كأداة للتخاطب اولا ثم كاداة للثقافة ثانيا . وفي الاندلس حدث ما يشبه هذا وكان عدد العرب الذين استقروا بالاندلس بعد الفتح الاسلامي ونقلوا اليها لغتهم وعصبيتهم واخلاقهم يفوق عدد اخوانهم الذين استوطنوا المغرب .. ويكفي ان نعلم ان عبد الرحمن الداخل الاموي دخل الاندلس سنة 138 هـ فوجد النزاع على اشده بين العرب القيسية واليمنية وانه استغل هذا النزاع لمصلحته الخاصة حتى تم له الامر واسس الدولة الاموية التي كان لها الفضل الاكبر في حضارة الاندلس وازدهار العلم والادب في ربوعها .

ونبوغ كتاب وشعراء ومفكرين كالجاحظ وابي نواس والبحتري وابي تمام هو تعبير صادق عما بلغته الثقافة من رقي وازدهار في الوسط الذي عاشوا فيه في ظلال هرون الرشيد وابنه المامون وءال برمك وءال خاقان .

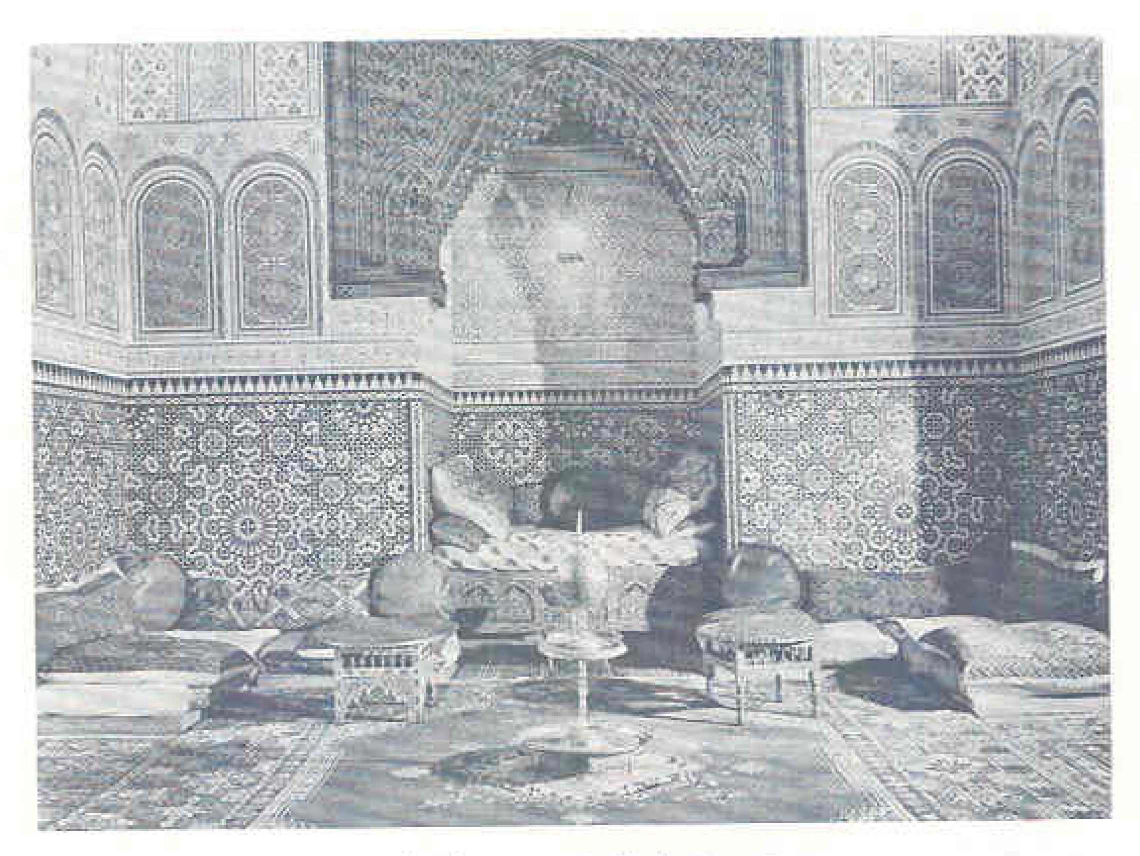
كما ان نبوغ ابن عبد ربه وابن زيدون وابن عمار في الاندلس كان تعبيرا عما بلغته الحياة الادبية من رقي على عهد عبد الرحمن الناصر ثم على عهد ملوك الطوائف فيما بعد .

واذا لاحظنا ان سكان المغرب قد اندمجوا في الحياة الاسلامية واذا لاحظنا ان شعورهم الديني بلغ اعلى درجة من الحيوية والحماس . واذا لاحظنا انهم اقبلوا على القرآن يحفظونه ويتدارسونه وعلى تعاليم الاسلام يتعلمونها ثم يؤدونها باخلاص وحسن نية .. فاننا نلاحظ ان حياتهم الثقافية كانت لا تتجاوز المحيط الديني الى الادبي الا قليلا وفي ظروف خاصة وتحت تأثير عامل التقليد الذي لا ينفك يدفع ببعض الناس الى نظم بعض المقطعات في المدح او الهجو او الفخر .

واظن انني لست في حاجة الى ان اثبت في هذا البحث كل ما دونته في مذكرتي من مقطعات وابيات رواها المؤلفون – الذين وصلتنا ءاثارهم – لبعض المغاربة الذين اظلتهم عصور الحضارة الاسلامية الاولى ..

واظن انني لست فى حاجة الى أن اقول ان هذه المقطعات وهذه الابيات سواء كانت متفرقة او مجتمعة لا تمثل حياة ادبية يشترك فيها الادباء مع رجـال عصرهم ... غير أن هذا الحكم لن يظل قائمـا الى الابـد ... فاذا ظهرت ـ خبايا الزوايا ـ وظهر مـا تكنه من المخطوطات القديمة التي تتحدث عن تاريـخ العصور الاسلامية الاولى بالمغرب فاننا ولا شك سنجد انفسنا امام مادة صالحة للدرس والتمحيص والاستنتاج وفي انتظار ذلك سيظل الحكم الاول قائما لانه مبنـي على الاستقراء والتتبع فيما هو موجود بين ايدينا من مصادر ووثائق ... الى حد الآن ...

هذه قصة نشـأة الادب العربـي بالمغـرب فى العصور الاولى ... وقد كان المغاربـة حتى فى ايـام ازدهار الادب العربي على عهد الموحديـن والمرينييـن والسعديين يتحاملون ذكر هذه القصة فى مؤلفاتهـم التي بين ايدينا لانهم كانوا ولا شك يعتقدون ان المغرب كان فى العصور الاولى التي اعقبت الفتح الاسلامـي موطن بطولة ... وابطال ومغامريـن لا موطـن ادب وادباء وشعـر وشعـراء ... ! !



قصـر « دار الجامعـي » بمكنـاس



الشاعر العربي الكبير بولس سلامة يجيب على أسئلة دعوة الحق



كتب مندوب المجلة ومراسلها بتطوان **الاستاذ محمد الصباغ** ، الى صديقه **الكاتب والشاعر اللبناني العربي الكبير الاستاذ بولس سلامة** ، ليهنئه بالشفاء باسم المجلة واسرتها وقرائها ، ويبلغه تحيات اصدقائه المغاربة ومتمنياتهم له جميعا بمزيد العافية والسلامة والنشاط ، ويبعث اليه باسم المجلة ببضعة اسئلة ، تفضل سيادته فبعث لنا بأجوبة عنها ، يجد القاريء نصها بعد هذا الكلام .

والشاعر العربي الكبير بولس سلامة غني عن التعريف ، فكل المثقفين والادباء المغاربة يعرفونه حق المعرفة في قصائده المتناثرة في مجلة « الاديب » وغيرها من المجلات الادبية الراقية ، وفي ملحمتيه الخالدتين **(عيد الغدير)** و **(عيد الرياض)** وفي كتابه **(مذكرات جريح)** وكتابه الفلسفي الفذ **(الصراع في الوجود)** وغير ذلك من اعماله الادبية الفكرية .

وقد مني الاديب الكبير بمرض الزمه الفراش اثنين وعشرين سنة ، اجري له خلالها عدد كبير من العمليات الجراحية ، وتحمل الالم بصبر غريب ، واحتساب نرجو ان يشكر له عند ربه ، الى ان شفي اخيرا واستطاع ان يقف على رجليه وان يعود الى المشاركة في الحياة العامة على النحو الذي يذكره في بعض اجوبته عن اسئلة هذه المجلة .

وكثير من قراء العربية في المشرق والمغرب لا يعتبرون (بولس سلامة) مجرد عالم او اديب كبير ، وانما يعتبرونه الى جانب ذلك صديقا عزيزا يؤثرونه بالود ويخصونه بمزيد من المحبة ، وذلك لما تطفح به اشعاره واعماله الادبية والفكرية من انسانية كبيرة ، وما تنبيء عنه من قلب مفعم بالايمان والنبل والمعاني الانسانية الكريمة .

ونحن باسم جميع القراء نكرر مرة اخرى لشاعرنا الكبير تهانئنا بالشفاء ، ومتمنياتنا بمزيد السلامة والعافية ، وشكرنا العميق على استجابته لدعوة الحق ، وتفضله بالاجابة عن اسئلتها .

دعوة الحق

تحية عربية هي خير تحية لانها تجمع قلوب العرب أينما كانوا فتشد القلم الى القلم والاديب الى الاديب ، فتكون الضاد هي الام التي تضم ابناءها وتؤلف بين شتيتهم ، فاذا هم اسرة واحدة .

تلقيت منذ بضعة اشهر عددا واحدا من مجلتكم الراقية ، فاعجبتني الروح الطيبة الشائعة في صفحاتها ونهضة اخواننا المغاربة ، وتطورهم الصاعد .

وها انا اجيب على اسئلة (دعوة الحق) بكل سرور واعتزاز :

س ـ كيف كان شعوركم وانتم خارجون من فراش المرض الذي قضيتم فيه زهاء عشرين سنة الى الشارع ؟

ج ـ كنت اشبه شيء بالسجين الذي حكم عليه بالاشغال الشاقة في نفق مظلم ، ثم اطلق سراحه فاستغرب العالم الخارجي ، فالتبست عليه الشوارع والبنايات والاندية العامة ودور السينما والجنائن والوجوه والازياء ، واصبح بحاجة الى تعلم المشي من جديد ، والى تقدير المسافات ومحاذرة السقوط عند هبوطه الدرج او عند ركوبه السيارة ، وبالجملة فاني اصبحت اخشى الحركة ولا سيما السرعة ، ولكنني بدات آلف هذه الامور الآن بعد تمرين بها .

س ـ كيف كانت نظرتكم الى الحياة وانتم تعانون آلام المرض ؟

ج ـ كنت انظر اليها من خلال تجاربي الغابرة ، ومن خلال المطالعات ، ولكنني لم اتشاءم بل استمررت متفائلا ، وما كنت احسد الاصحاء الا على النوم الهادىء ، والنظر الى ضوء الشمس والتحديق الى النجوم في ليلة صاحية .

س ـ هل كان للالم اثر على نشاطكم الادبي ؟

ج ـ الالم لا يولد شاعرية ولا عبقرية ، ولكنه يوقظ الشاعرية النائمة . فمثل الالم مثل الضوء يلقي اشعته على القبو المظلم فتدرك العيون كل ما فيه . ثم ان الالم يحمل الانسان على التفكير العميق وعلى النظر الى الحياة نظرة جدية ، فينطوي على نفسه ، ويغوص على المشاعر العميقة ، فيكتشف في اغوار النفس ما يتعذر اكتشافه على الصحيح السادر في طريق الملذات ، وبالتامل العميق يقبل المتامل على الايمان بالله وبرحمته التي تسع كل شيء ، ويرتفع عن الدنيويات الزائلة ، وعن اليوميات التافهة ، ويتجه الى المثالية .

س ـ كيف كنتم تصارعون الداء في زحمة التنزل الشعري الذي اوحى اليكم بروائعكم ؟

ج ـ كنت اصارع الداء بالصبر الجميل ، والبس درعا متلئا قوامه الايمان والرجاء والمحبة . واتأسى بالصابرين الاولين وبخاصة بايوب الصديق ، وادخر من ليالي الالم الطوال كنزا لساعات الهدنة ، اي الساعات التي يهادنني فيها الوجع ، واتقلف على ذاتي بالايحاء الشخصي ، فاتخليني مثلا عند ارتفاع الحمى سكران مفرطا في الشرب ، لاقصي عن نفسي فكرة الخطر والموت ، واعنف نفسي على السكرة المشؤومة ، واعدها بالتوبة . وهكذا كنت اهرب من الحقيقة المؤلمة الى الخيال المريح ، والوذ بالصبر ، واكرر عبارة : الحمد لله ، وطالما لجأت في الساعات الرهيبة الى البسملة والحمدلة والترجيع والتسبيح ، ولكنني خشيت من الشكر فرارا من النتائج والزيادة : **لئن شكرتم لازيدنكم .**

س ـ كيف قوبلت ملحمتكم الاولى ثم الثانية في البلاد العربية ، وهل ذوق هذا العصر يستعذب الشعر الملحمي بالنظر الى الاتجاهات الشعرية الجديدة ، والى ما يقال بان الشعر ستكسد بضاعته بعد نصف قرن ؟

ج ـ اظن انه لم يقابل كتاب بمثل ما قوبلت به **(عيد الغدير) (وعيد الرياض)** فان كبار ادباء العالم العربي او معظمهم على الاقل ، اثنى عليهما ثناء منقطع النظير ، واصبح المدرسون وبخاصة في لبنان ، يقراون على الطلاب مقاطع ملحمية ، ولا يخفى عليكم ان الادب العربي كان مفتقرا الى الملحمة ، ولا سيما الى مثل ملحمة **(عيد الرياض)** التي جمعت مفاخر العرب من الجاهلية الى يوم الناس هذا . اما القراء فسوادهم يقبلون على المطالعات الرخيصة التي تثير الغرائز ، ولقد ذكرت في مقدمة كتابي **(مذكرات جريح) : (وتكسد الكتب في الشرق العربي حتى يعلوها الغبار ، وبينها روائع برغسون وشكسبير وغوته وامثالها . واغلاها سعرا لا يعادل ثمن تذكرتين للسينما ، او ثلاث علب تبغ ، او جوربين وتنظيف حذاء .**

واظن ان ملحمة **(عيد الرياض)** ستدرس رسميا في المملكة السعودية العربية ، وهي وان دارت وقائعها على بطولة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود ، فقد انطوت على الشعر المطلق والتيارات الفكرية والاجتماعية ، وسيفطن لها الناس ولو متاخرين في الزمن . اما الاتجاهات الشعرية الجديدة وذوق العصر والتكهن بكساد الشعر بعد نصف قرن ، فالجواب على ذلك تجدونه عند شكسبير وغوته وراسين والمتنبي ، اما الجواب على خلود الملاحم فتجدونه عند هوميروس

وفيروجيل ودانتي والفردوسي وامثال هؤلاء العباقرة الذين كان موتهم بدءا لحياتهم ، وامتدادا لخلودهم : الا ترون اننا بعد مئات السنين ما زلنا معاصرين لابي الطيب والبحتري وابن الرومي وبشار بن برد وابي نواس والجاحظ وابن المقفع الى آخر الباب ، ان الروائع حظها الخلود ، ولا علاقة لها بالزمان والمكان لان حدودها حدود اللانهاية .

س ـ هل هناك تقارب بين الادبين اللبناني والمغربي ؟

ج ـ الادب العربي واحد مهما اختلفت الاقطار وتباعدت ، وان المنبع والمصب هما هما والعصر عصر سرعة واتصال ودمج ، فقد يمتاز اديب لبناني عن اديب مغربي او يكون العكس، فالمدار هو على الاشخاص والطبقات لا على سوى ذلك ، فانما اللغة واحدة والهوى واحد .

س ـ كيف ترون النهضة الادبية في المغرب وما رايكم في مجلة **(دعوة الحق)** وكتابها ؟

ج ـ النهضة الادبية المغربية تبشر بمستقبل باهر . اما مجلتكم الزاهرة فقد اطلعت منها عددا واحدا ؛فاذا صح أن الكتاب يقرأ من عنوانه ، فمجلتكم وكتابها في مستوى لا يتخلف ولا ينحدر عن المستوى الراقي في الاقطار العربية الصاعدة ، واني اتمنى لادباء المغرب الشقيق افضل ما يتمناه اديب محب لاخوانه على بعد الديار .



ضريح صلاح الدين الايوبي بدمشق



عالم ادريس يسارق مقال : الوحدة العربية وتوافر مقوماتها .

قبل كل شيء ، لولا انني احترم هذه المجلة كثيرا ، ولولا انني لم ابدا كتابة هذا المقال الا بعد مرور مدة على اكتشاف هذه الفضيحة ، والا بعد ان كانت الثورة التي وجدتها في نفسي كرد فعل لهذا العمل المخزي ، قد هدات ؛ لولا كل ذلك لما اكتفيت بهذا العنوان الهادىء المتواضع ، بالرغم مما يبدو فيه من وضوح ومواجهة بالحقيقة .

اننا مطالبون باصطناع شيء من الحلم ، ولكننا مطالبون كذلك بالاخلاص للحقيقة ونصرتها والدفاع عنها . وكل ذلك لا يتم الا بالضرب على ايدي المزيفين ، وموتى الضمير ، وعديمي الحياء ، من امثال السيد **(عالم ادريس)** .

ورحم الله الشاعر الذي كان يقول :

ووضع الندى في موضع السيف ، بالعلا
مضر ، كوضع السيف في موضع الندى

*

والآن ، لنبدا القصة من اولها :

كنت في مكتبي في اواخر شهر دجنبر الماضي ، منهمكا في الترتيبات الاخيرة لصدور العدد الثالث من السنة الثانية لهذه المجلة ، عندما استؤذن علي لشخص يدعى : **(عالم ادريس)** ويشتغل **(معلما ببعض المدارس الثانوية)** حسبما كتب هو نفسه على بطاقة الاستئذان .

ودخل علي في مكتبي **(عالم ادريس)** هذا ، فاذا هو شاب ، على شيء من الوجاهة في المظهر ، والاناقة في الملبس ، ويبدو انه كان محتفلا للمناسبة ، يتصنع الرجولة ، ويتحدث ـ متظاهرا بشيء من الثقة ـ في الشؤون الفكرية والادبية ، ويندب في حرارة حظ امته المتخلف في هذه الميادين .

وتطرق الحديث الى المجلة ، فتكلم عنها **(عالم ادريس)** باعجاب كبير ، وتمنى ان يفسح له المجال للمشاركة فيهابالكتابة خدمة لامته ووطنه، ومساهمةفي العمل من اجل النهوض بالمستوى الفكري في هذه البلاد .

لم يسعني الا الترحيب بهذه الروح ((**الطيبة**)) فشكرت السيد **(عالم ادريس)** واكدت له انه سيجد من هيئة المجلة كل استعداد للتعاون . وهنا مد السيد **(عالم ادريس)** يده الى المحفظة التي كان يتابطها ، واخرج منها في كثير من الاناة وهدوء الاعصاب ، مقالا بعنوان **(الوحدة العربية وتوافر مقوماتها)** وتناولت المقال اتصفحه ، فاذا هو مكتوب بخط واضح جميل ، وقرات فقرات منه ، فاذا بي امام اسلوب جيد ومعلومات قيمة ، ثم مضيت في تصفح المقال الى نهايته ، حيث وضع السيد **(عالم ادريس)** اسمه ((**الكريم**)) وبالقرب منه ، كلمة : **(يتبع)** مما يدل على ان البحث لا يزال طويلا ، وان هذا ليس الا القسم الاول منه .

ومضينا في الحديث ، فاكد لي السيد **(عالم ادريس)** انه مغرم جدا بالقراءة والكتابة ، وان هذا اول انتاج ينشر له مع ذلك ، ولكنه على استعداد منذ الآن لمواصلة الكتابة للمجلة اذا ما نشرت له القسم الاول من ((**بحثه**)) في العدد المقبل .

ادريس) من اول ما تناولت ، وقرائه بعناية ، كما وعدت ((صاحبه)) فاذا بي حقيقة امام بحث عميق عن الوحدة الجنسية العنصرية، وان بعض الباحثين لا يعتبروها من مقومات الوحدة الوطنية السياسية ، ولكنها مع ذلك اذا توفرت كانت عاملا قويا جدا للتماسك ، وانها متوفرة فى الوطن العربي منذ اقدم الازمنة حتى الآن . كما قرات فى المقال كلاما عن تسمية الاقوام التي تنسب الى جزيرة العرب بالاقوام السامية ، وانها تسمية من ابتكار المستشرق شلوزر ، وليس لها سند من العلم والتاريخ .. الخ .

بدا لي من قراءة المقال أن شابا كالسيد ((عالم ادريس)) وفى مثل ظروفه ، من البعيد ان يكون متوفرا على كل هذه المعارف والمعلومات ، وقدرت انه لاشك قد اعتمد بعض الكتب كمراجع فى كتابة ((بحثه القيم)) ولكن الذي لم يتوجه اليه شكي ، هو ان يكون السيد (عالم ادريس) قد نقل ((بحثه)) نقلا من كتاب بعينه ، وانه لم يكلف نفسه عناء زائدا عن عناء النسخ وكتابة الاسم ((الكريم)) فى نهاية المقال ! ! !



صورة غلاف كتاب **(الوحدة العربية) للاستاذ محمد عزة دروزة .**
وهو الكتاب الذي سرق منه **(عالم ادريس)** المقال الذي جعل عنوانه **(الوحدة العربية وتوافر مقوماتها) .** انظر صفحة 26 وما بعدها .

وبما ان العدد الذي كان يعنيه السيد **(عالم ادريس)** ــ العدد الثالث ــ كان جاهزا تقريبا بالمطبعة فقد اعتذرت له عن ذلك ، واكدت له انني ساحتفظ بالمقال وساقراه بعناية ، فاذا لم يكن هناك مانع من نشره ، فسينشر فى العدد التالي ، اعنى العدد الرابع

وبالفعل ما كدت افرغ من العدد الثالث ، وابدا العمل فى العدد الرابع حتى كان **(مقال السيد عالم**

وعلى ذلك فقد دفعت المقال الى المطبعة ، وبعثت العنوان ، مع اسم السيد **(عالم ادريس)** للتخطيط .

وظهر المقال بعد ذلك فى العدد الرابع من السنة الثانية لهذه المجلة ، فى الصفحة الخامسة والاربعين ، تحت عنوان : (الوحدة العربية وتوافر مقوماتها . بقلم : عالم ادريس) .

*

ومرت على ذلك مدة ، وفى عصر يوم من الايام استؤذن علي في مكتبي لشاب يمنعني من ذكر اسمه انه هو نفسه طلب ذلك في الحاح . وكم يؤسفني انني مضطر للاستجابة لرغبته ، لانني اعتبر نفسي واسرة المجلة وقراءها ، مدينين له جميعا بفضل مساعدتنا على اكتشاف الحقيقة ، وانتزاع القناع السميك الذي يستر به وجهه الحقيقي السيد (عالم ادريس) .

كنت اتمنى ان اذكر اسم هذا الشاب ، وان تتاح لي الفرصة للتنويه به ، وايفائه حقه ، اذ انه لم يفعل ما فعله ، ولم يجشم نفسه مشقة زيارتي فى مكتبي ، الا بدافع النبل والغيرة على الحقيقة ، والرغبة فى نفي الزيف والتضليل واللصوصية ، وخدمة للحركة الفكرية التي نعمل جميعا على ارساء قواعدها فى بلادنا ، نقية سليمة مبراة من تلاعب الدخلاء والطفيليين وادعياء المعرفة ، من امثال السيد (عالم ادريس) !.

الوحدة العربية وتوافر مقوماتها

بقلم : عالم ادريس



الوحدة الجنسية

« 1 »

45

صورة الصفحة الاولى من مقال (**الوحدة العربية وتوافر مقوماتها**) الذي سرقه **(عالم ادريس)** من كتاب : **(الوحدة العربية)** انظر (دعوة الحق) العدد الرابع ــ السنة الثانية صفحة 45 وما بعدها

دخل علي فى مكتبي هذا الشاب يحمل فى يده اليسرى العدد الرابع من السنة الثانية لهذه المجلة ،ويحمل فى يده اليمنى كتابا ضخما جدا ، هو كتاب « الوحدة العربية » للاستاذ محمد عزة دروزة .

وبعد التعارف ، وتبادل عبارات المجاملة ، دخل صاحبنا الشاب فى صميم الموضوع ، وذلك بان فتح امامي الصفحة السادسة والعشرين من الكتاب، وفى اعلاها هذا العنوان « **الوحدة الجنسية** » ثم الصفحة الخامسة والاربعين من المجلة ، وفى اعلاها هذا العنوان : **(الوحدة العربية وتوافر مقوماتها .** **بقلم : عالم ادريس)** وفى وسط العمود الاول منها بعد فقرتين قصيرتين عنوان آخر صغير : **(الوحدة الجنسية)** نفس العنوان الذي فى اعلى الصفحة المذكورة من الكتاب .

ومضيت اقرا هنا وهناك فى الكتاب وفى المجلة ، فاذا انا امام نسختين متطابقتين تمام التطابق من كلام واحد ، بحيث لا يعدو الامر ، باي حال من الاحوال واحدة من اثنتين : اما ان يكون (عالم ادريس) نقل هذا الكلام من كتاب (الوحدة العربية) للاستاذ

محمد عزة دروزة ، نقلا ، وبالحرف الواحد ، وحذوك النعل بالنعل ، وبامانة يحسد عليها ، واما أن يكون العكس .

وبما ان الكتاب مطبوع فى سنة 1957 ، والعدد الذي ظهر فيه (مقال السيد عالم ادريس) من المجلة هو عدد يناير 1959 ، فلعل لنا كامل الحق فى ان تنفي التهمة عن الاستاذ محمد عزة دروزة ، وان نوجها (آسفين) الى حضرة الكاتب الكبير ، المحترم جدا : السيد (عالم ادريس) ! ! !

استغفر الله ، لقد ذكرت آنفا ان نسخة المقال ونسخة الفصل من الكتاب ، متطابقتان تمام التطابق ، وكدت اجحد (الاستاذ عالم ادريس) فضله ، وانسى له المجهود الشاق الذي بذله ، وهو انه نقل بعض التعليقات من هامش الكتاب ، وادخلها فى صلب الكلام ، بحيث وفر على القارىء مجهود الانتقال من صلب الكلام الى التعليق على الهامش فى اسفل الصفحة . وتلك حسنة لابد من تسجيلها ، احقاقا للحق، واعترافا بالفضل، وانصافا للكاتب الكريم، السيد (عالم ادريس) .

وبعد ، فربما كان ينبغي لاثبات هذه التهمة او هذه الدعوى ، ان ننقل هنا فقرات من الكلام المسروق ، ولكن يمنعنا من ذلك اننا سنجدنا مضطرين لنقل مقال (السيد عالم ادريس) كله ، وهو يقع فى ست صفحات من المجلة ، اذ انه كما اسلفت قد سرقه كله من الكتاب المذكور من اوله الى آخره ، وزاد فكتب فى آخره ((يتبع)) كأنما كان ينوي الا يغادر من الكتاب صغيرة ولا كبيرة الا نقلها وتفضل فمهرها باسمه ! ! على ان لدينا مندوحة من ذلك كله ، فان فى استطاعة القارىء اذا شاء ان يرجع الى الكتاب، والى عدد المجلة، ونرجوان يفعل القارىء ذلك ، ليقف بنفسه على نموذج من اغرب النماذج فى الصفاقة ، وخراب الذمة ، وقلة الحياء ، وانعدام المروءة .

اننا نعتقد ان عملا كهذا لا يمكن أن يقدم عليه الانسان الا اذا تجرد نهائيا من ضميره ، والا اذا بلغ به الاستخفاف بمواطنيه ، وبالقراء عموما ، نهاية ما يمكن ان يصل اليه .

فهل ظن السيد (عالم ادريس) أن هذا الكتاب لن يملكه أو يقراه غيره ، وهو كتاب لعالم مشهور ، وفى موضوع من مواضيع الساعة التي تشغل الاذهان مما يجعله مقروءا على نطاق واسع ؟ .

وهب أن هذا الكتاب لن يعرفه غير (عالم ادريس) وانه لن يطلع على فضيحة السرقة غيره ، فهل يتفضل ويخبرنا بحقيقة شعوره وهو يمارس السرقة فى اصرار ، ثم وهو يحمل خزيه ويحرص على نشره واذاعته على الناس ؟ .

سبحانك اللهم فى بعض خلقك ! ! ولا حول ولا قوة الا بالله ! !

ان جميع الشرائع والقوانين تدين السارق ، وتنكر السرقة ، وقد حكم الاسلام بقطع يد السارق والسارقة جزاء بما كسبا نكالا من الله . هذا مع العلم بأن دوافع السرقة المادية ـ ان صح التعبير ـ تختلف ، وغالبا ما يكون الدافع اليها هو الحاجة ، فاية حاجة تدعو الى ان يسرق الانسان علم غيره ومعرفته ، وينسبه الى نفسه ، اي يدعي ملكيته ، وهو فى الواقع ملك لغيره ، قد انفق فى اكتسابه عمره كله ، وقد تحمل فى سبيل ذلك من المحن والشدائد ما لا يعلمه الا الله .

لقد كان فى استطاعة السيد (عالم ادريس) الا يسرق هذا المقال ، وما كان ليخسر شيئا ، فليس من اللازم اطلاقا ان يكون كل الناس كتابا او علماء او باحثين ، واذا لم يكن بد من ان يكون الانسان سارقا لكي يكون كاتبا ، فلا كانت هذه الكتابة .

ان السيد (عالم ادريس) لم يجرم فى حق نفسه فقط ، ولا في حق قراء هذه المجلة فقط ، ولكنه اجرم فى حق وطنه كله ، لان هذه المجلة تقرأ خارج المغرب كما تقرا داخله ، تقرا فى كل البلاد العربية والاسلامية بدون استثناء ، وتقرا فى كثير من بلاد اوربا وامريكا وروسيا ، وتطلبها المكتبات العامة والمدارس المعنية بالدراسات الاسلامية العربية فى كثير من العواصم العالمية ، فما رأي السيد (عالم ادريس) عندما يجعل الناس يظنون خارج المغرب ، اننا ندعم الحركة الفكرية فى بلادنا بالسرقة ؟ ؟

ما رأيك يا سيد (عالم ادريس) ؟ ؟

انك مدرس فى مدرسة ثانوية ، اي انك مسؤول عن تعليم وتربية عدد من الطلبة فى اول سن الشباب،

اخطر مرحلة في عمر الانسان ، حيث يكون في مفترق الطرق ، وحيث يكون احوج ما يكون الى القدوة الطيبة والمثل الحسن . وانت مسؤول عن ان تضرب المثل لطلبتك بسلوكك ، فهل هذا هو السلوك الذي ترضى لطلبتك أن يقتدوا به ؟ وهو هذه الطريق التي ترضى لطلبتك ان ينهجوها ، طريق السرقة والغش والاحتيال والتزوير والاساءة الى الحركة الفكرية في بلادك ، والى سمعتها في الخارج .

*

يا سيد (عالم ادريس) .

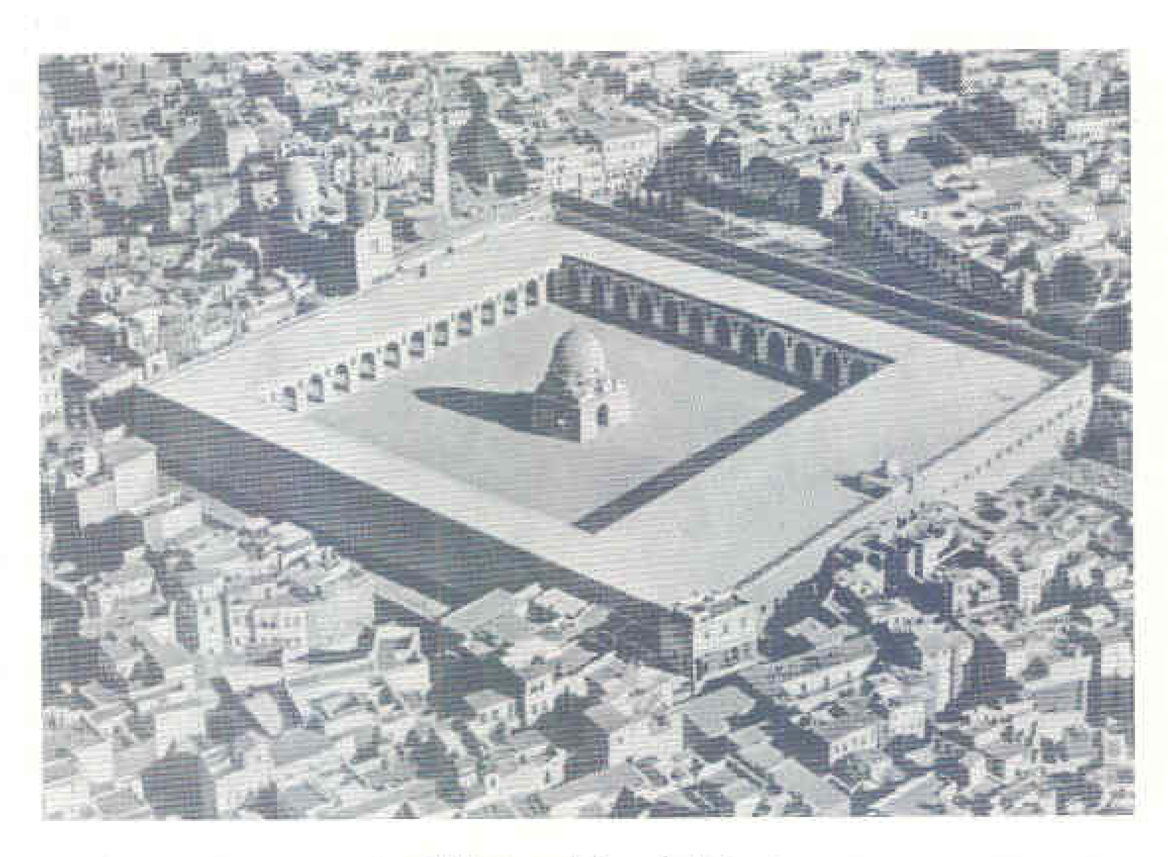
لعلي قد قسوت عليك قليلا ، ولكني في الحقيقة لا اريدك لنفسك ، لقد رأيت ترحيبي بك ، واستعدادي للتعاون معك ، الا انني وقد علمت امرك لا يسعني أن أصمت عنه ، والا اعتبرت نفسي متواطئا معك على السرقة ، مشجعا لك على المضي فيها ، متعاونا معك على تمهيد السبيل اليها لمن تحدثه نفسه ان يقتدي بك ، ويعمل مثل عملك .

ومع ذلك فاني لم اقس عليك ، ولم اقل كل ما في نفسي ، وانما حاولت ان اكشف الحقيقة للقراء ، محتفظا بالفضل الاول في ذلك للشاب الذي امتنع من ان يذكر اسمه ، مجددا له شكري وشكر القراء .

اما انت ، فاننا نكلك لضميرك ، ان كانت لديك بقية من ضمير ، كما نتركك للمؤلف ، الذي سطوت عليه ، وعبثت بحقوقه ، وتعديت على ملكيته .. وسرقته . نتركه له ليتابعك قانونيا اذا شاء .

ونرجو ــ على كل حال ــ الا تعود لمثلها .

ــ رئيس التحرير ــ



مسجد ابن طولون بالقاهرة

من شعر الكفاح :

كأنك من كل القلوب مكون

للأديب العلامة
محمد المختار السوسي

يعاب على الادب المغربي المعاصر انه « ادب ابراج » وان الاديب المغربي يكتفي بالتغني بخوالجه واحساساته الفردية وكأنه لا يعيش الكفاح الوطني المجيد الذي خاضه شعبه ووطنه منذ نحو من اربعين سنة ! ولكن ذلك ليس صحيحا كل الصحة ، فقد خاض الادب فى المغرب معركة التحرير والمقاومة بجميع الوانها ، اما مواكبا لها ، او متقدما عليها ، يمهد لها الطريق ويفسح لها المجال .

وهذه القصيدة التي نعيد نشرها اليوم قالها صاحبها منذ ازيد من عشرين سنة فى رثاء شاب وطني من « سلا » لم يكن يحمل مسدسا او رشاشا ، لان اسلوب الكفاح لم يكن قد عرف بعد المسدسات والرشاشات ، وانما كان يحمل قلبا عامرا بالايمان والغيرة الوطنية .

وكانت حركة المقاومة اذ ذاك تكتسي صبغة الاصلاح الديني والخلقي ، بقدر ما كان الاستعمار يستهدف القضاء على روح الدين ونشر الميع والانحلال بين الشبان المغاربة ، وذلك ما حدا بالشاب المذكور الى اقتحام الحانات واتلاف ما بها من خمر ، تحديا لارادة الاستعمار ، ووقوفا فى وجه اغراضه الدنيئة . وكان من الطبيعي ان يعرف الفقيد السجن ، وان يذوق الوانا من الاذى والاضطهاد ، الى ان غادره وهو يحمل بين جنبيه داءه الذي اودى بحياته ، فبكاه المغرب كله لما كان معروفا به من غيرة وطنية وخلق جميل .

والقصيدة التي نقدمها اليوم ـ وكانت قد نشرت فى حينها بجريدة « المغرب » بنفس العنوان ، وبدون امضاء ـ تصور كفاح الفقيد ومرضه وموته تصويرا صادقا يبعث على الاعجاب .

وقد قدمت جريدة « المغرب » اذ ذاك للقصيدة بمقدمة نقتطف منها ما يلي :

« صاحب هذه القصيدة شاعر كبير ، معروف بفيض العاطفة وصدق الشعور ، وهو ضنين بشعره فلا ينشره بين الناس ولا يريد أن تكون له ابواق تذيعه ، وانما يكتفي بطائفة خاصة من مريديه يتلو عليهم اشجى الحانه وصدى نفسه ، ثم يطوي ذلك ويدسه بين الاوراق » .

ذلك ما قالته جريدة « المغرب » منذ أكثر من عشرين سنة ، وهو ما لا يزال حقا واقعا حتى اليوم

حييت وان ارمست يا طيب الذكر ... وخلدت خلدا باقيا امد الدهر
ظفرت ـ كما قد كنت تظفر دائما ـ ... باحدوثة ما ان تزال الى الحشر
وهل كنت الا زهرة طاب نشرها ... فزاد لها التقطير نشرا الى نشر
وقد كنت ريحان القلوب جميعها ... فها انت فيها الآن : لا في حشا القبر
كأنك من كل القلوب مكون ! ... فأي فؤاد لم يضمك في الصدر ؟
عرفت عزوفا لا تسف الى الثرى ... فبوئت ما بين الترائب والنحر

فهل كان حصارا سوى نفسه التي   تجول كما جال الاثير على القطر ؟
تمازج احساس النفوس فتغتدي   لالامها المذياع يصدع بالامر
وتدرك ما ينتاب اسوال أمة   ذخائرها نهب المقاصف والخمر
وتبصر اخلاد الشباب لراحة   تخدر منهم منبض العز والفخر
على حين أن المغرب ارتد زورقا   تقاذفه الارياح عبرا الى عبر
وقد اسلس الربان فيه الى الونى   وقال : دع الاقدار في سيرها تجري
وكاد ايأس الشعب يدرك حده   واوشك أن يطمو العباب على البر
وقد بلغت روح البلاد تراقيا   تلزها الاصفاد بالجنب والظهر
وكممت الافواه عن كل انة   وقيد كل العاملين عن السير
وعاثت ـ وقد نام الرعاة ـ عمائل   ضوار بانياب احد من الشفر
وقد امن العائثون ان لا يحاسبوا   وخالوا ان اجتثوا الاصول من الجذر
وظنوا بأن لا عرق ينبض فانتهت   لديهم حياة المغربي الى الحشر

هناك رأينا منك حصار وثبة   كما يثب التيار من مزبد البحر
قد اهتجت كالاعصار ينسف كل ما   يعارضه نسف البراكين للصخر
تغل : ولكن هل تغل زوابع   اذا صرصرت هوجاء في مهمه قفر ؟
وتكبح لو يرتد جارف سائل   يطم على سد بمنحدر النهر ؟
عرفت فلم يردك ما قد امض من   معاركة في كل حادثة بكر
ومن عرف العلياء ثم اعتلى لها   وغامر فيها بالنفيس وبالعمر
فهيهات أن يثني وان عن كل ما   يعن من الارزاء والمركب الوعر
فان لا ينل صدر المعالي كما يشا   فاهون عليه أن يسير الى القبر
ومن يجعل الاخلاص رائد فعله   تيقن ان لا خسر في موطن الخسر

على ان من عانى هداية شعبه   يرى الشعب احدى ما يلاقي من السمر
فمن حاول الارشاد اول وهلة   بشعب جهول لا يريش ولا يبري
يلاقي الذي لاقيت حصار كلما   علا صوتك الصخاب في موطن النكر
تحول منك الوجه نحو مهاجم   اذا طعنات فاجاتك من الظهر
واخرى يمينا ثم أخرى بيسرة   فلم يدر هل في الكر انت او الفر
كوارث لو القت كلاكل خطبها   على اي ذمر فت في عضد الدمر
فلولا فؤاد منك مر حفاظه   ونفس كما تدري وفوق الذي تدري
وانك كالفولاذ لست تلين ان   تصادمك سود حالكات لدى الدهر
لضعضعت بالارزاء لكنه ابت   لك الهمة القعساء من عزمك المر

فتقدم من دون التروي مغلغلا … كأن لست يا حصار غير فتى غر
مغامرة من قمور ما جرت له … عواقب ذياك الغمار على ذكر
تروح وتغدو فى الكفاح مصابرا … ومن صابر الجلى يكلل بالنصر
وحيدا كعضب ذي غرارين منتضى … ولكن كان قد سرت فى جحفل مجر
على ثقة بالفوز حتى كانما … ملكت زمام الامر او رسن الدهر
الى ان ترى مما تعانيه منجحا … كما تتراءى النور من اول الفجر
فتنقض توا ناهزا كل فرصة … كما انقض من اجواله كاسر الصقر
فتفري الذي قد كنت تخلق رغم ما … تلاقي ومن يضرب بصمصامة يفري
فبرهنت ان المغربي اذا نوى … فصمم تصميم الاباة على امر
فليس بمرتد عن الغاية التي … تيمم ، بالتغريب والجلد والاسر
فلا كان حر يحتذي أن يسم اذى … اليس الاذى الا كمشحذة الحر

فان تنس لا تنس الذي شاهدت سلا … من ابطالها الافذاذ فى وقعة الخمر
غداة راوا فى المنكرات مشاهدا … تصلى بها كل القلوب على جمر
فانى اجلت الطرف ابصرت حانة … تغص باصحاب الخلاعة والسكر
يرون تمام الانس ان يجهروا وهل … يتم لاهل القصف انس بلا جهر
فاقدمت يا حصار فى خير فتية … اشداء ـ ان كانت مقاومة ـ صبر
تهزون اهل النهي والامر علكم … ترون رجالا من ذوي النهي والامر
واذ اعوزوا والسيل قد بلغ الزبى … ولم يبق فيكم يا مغاوير من صبر
تقدمتم نهيا بايديكم وما … بحكك مثل الظفران كنت ذا ظفر
فملتم الى الحانات تقتحمونها … فما شئت من صدع وما شئت من كسر
فكم مقعد للحانوي كسرتم … ودن قلبتم منه بطنا الى ظهر
وكم خمرة من عهد نوح تعتقت … يقدسها المجان فى رائع الشعر
ارقتم دماها فى التراب مهانة … فطلت ولم ياخذ لها الشرب بالثار
وانك يا حصار تقدم ساحبا … بمالك فى الاقدام اردية الفخر
كطرف جموح لا شكال برده … ولا حكمات أن تحفز للطفر
فجلتم الى ان لم تغادر ثمالة … بجولانكم فى اي جنب ولا كسر
اذا بسلا عادت على عهدكم الى … عصور طوتها فى النزاهة والطهر
فابتم وحبات القلوب عليكم … ترفرف والافواه تطفح بالشكر
والسنة الدين الحنيفي رطبة … يهادي بنوه الحمد قطرا الى قطر
تجلل حصارا واخوانه ثنا … كما صافحت ريح الصبا خضل الزهر
ومن جاهدوا فى الله حق جهاده … يفوزون بالذكر الجميل وبالاجر

وهيهات ان يمضي المضحي وسعيه
هباء بلا حمد يردد او شكر

اينفتح الورد البليل بلا شذى
وهل ينفح المسك الفتيق بلا عطر

كذلك يا حصار كنت وهكذا
يسجلك التاريخ نادرة العصر

صليبا اذ الاعواد تعجم ناقدا
اذا اخنوشنت زرق القنا تفر النحر

سبوقا لحومات الدفاع اذا دهت
خطوب بامر عز دافعه امر

عيوفا اذا ما مس خسف فترتمي
كعاصف ريح لا تغادر من جدر

فما زال يوم السجن يدوي دويه
وما كان يوم من حليمة بالسر

غداة استثيرت منك نخوة يعرب
وقد سامك السجان ما اعتاد من قسر

وزاد فزاد الحرد منك كانما
بوالب فى الآجام محتدم النمر

فرجك فى سم الخياط كانما
لصقت او اغتالت يداك على غدر

قعدت قعود القرفصاء به وفى
مكانك فتر او اقل من الفتر

ولا فرش الا الحداءان افضلت
باجداهما الرجل الكريمة للظهر

واخرى ترى الرجلين تعترضانها
كما ارتدف الدمران فى صهوة المهر

وقد ضاق مرمى الطرف منك كانما
تغلغلت جنح الليل فى وسط الجحر

ولم تستطع مما لقيت تململا
كانك فى التابوت فى باطن القبر

برجلك فى مستنقع البل ناكثا
وافئدة السجان من جلمد الصخر

لذى وخم تمتص من جوه اذى
تحس به فى كل جارحة يسرى

فكان ان استثيرت بجسمك عاهة
اسرت بها بعد انطلاق من الاسر

فعذبت ما عذبت ثم اندلقت فى
مضاء مريش فى رميته مبرى

وما ازددت بالتنكيل الا المضاء فى
مناهضة العسف المخيم فى القطر

ومن ذاق واستحلى الجهاد تزايدت
حماسته ما زاده الظلم فى القهر

الزناد بالنكباء نار على الربى
موججة الا التوقد فى الجمر

وقد يختني حصار غيرك ان راى
عذابك لكن انت اعجوبة الدهر

خبرت فكان الخبر اصدق شاهد
وهل عرف الاقدار للناس كالخبر

فلولا اللظى لم تدر للعود قيمة
ولا عرف النقاد ما جيد التبر

ليهنك يا حصار ما كنت نائلا
بسعيك كل السعي فى اليسر والعسر

ليهنك قدر الشعب قدرك فى الذي
عملت على ما كان من قصر العمر

كلفت بنفع الشعب مذ كنت ناشئا
وليدا واذ اصبحت فى الخمس والعشر

الى ان مضت تسع وعشرون كلها
جلائل اعمال محجلة غر

فلما توسطت الشباب واوشكت
تمارك ان تجتنى وسيفك ان يفري

وكادت تدر الحافلات بما اجتنت
يد منك ما انفكت اناملها تمري

وقد سارت الانباء عنك مسيرها ... يردن الى مصر ويصدرن عن مصر
وقد كدت تعلو فى الزعامة رتبة ... خليق بها من كان مثلك فى الصبر
اذا بك يا زين الشباب ممددا ... تجرع من ايدي الضنى فوعة الصبر
وثغرك بسام ووجهك مشرق ... وطرفك يرنو فى حبور وفى بشر
كأن لم تغادر بالعضال ممزعا ... يساربك السير الحثيث الى القبر
وحولك اخوان الفت جلوسهم ... ولم تنسك الالاف حشرجة الصدر
تناقشهم فيما يهمك موقنا ... بانك فى يوم الفراق الى الحشر
تفكر فيما يرفع الشعب . والردى ... يردد بين السحر روحك والنحر
وقد كنت تدري ما لنا من بدائع ... تزاولها بالسر طوراً وبالجهر
تقدسها الاجيال حتى كانها ... من السنة الغراء او محكم الذكر
ومن غفلات عن صنائعنا التي ... صنائع ساقتنا الى العار والفقر
فالسرى بنوها حين ابناؤنا كما ... تشاهد يا حصار صفرا الى صفر
فاوصيت لكن لست توصى بثروة ... وهل يسثر الانفاق فى اللـه من ذخر
وعند الوصايا يدرك الناس ما الذي ... يسر ، ووقت النزع مفتضح السر
فاعلنت ان لا تنسج ترضاه حلة ... تلاقي بها الاملاك فى الحلل الخضر
سوى مغربي النسج والنول والسدا ... جلته الاكف المغربية بالقصر

وان لا يرى التابوت من غير سرحة ... نما جذلها فى تربة المغرب الحر
وما لمست الا يد وطنية ... لدى النشر والتسمير والخرط والنجر

وان يجعل التجهيز من جيب فتية ... دروا لك بين الناس مالك من قدر
فلا خير فى تجهيز اهلين قابلوا ... جهادك يا حصار فى اللـه بالكفر
وان لا يسير النعش الاوفاق ما ... يسير زمان المصطفى وابي بكر
بلا جلبات صوتها بلغ السما ... كما تجار الاطيار يفعرن بالنسر

وان لا يكون الرمس الا بمدفن ... تساوى لديه ذو الثراء وذو الفقر
امن بعد ان سوى الحمام يراد ان ... يفضل عند الدفن قبر على قبر ؟

بتلك الوصايا الخمس اعلنت منتهى ... سموك يا حصار فى افق الفكر
وانك ثبت الجاش فى ساعة الردى ... كما كنت ثبت الجاش فى ساحة الدهر
وانك يوم الموت انت وقد طغت ... عليك يد السجان بالحادث النكر
يحوط بك السل الممض بضره ... وفكرك فيما حاط بالشعب من ضر

فظلت توصي والعيون شواخص … وما اسطاع طرف رد شفر الى شفر
وقد خفت دقات قلبك وارتخت … عروقك وانفكت تراقيك في الصدر
ولم يبق الا نور حجرك وحده … سليما . وهل كان الرجال سوى الحجر
فاعملته فيما توصي به وقد … نسيتك في ناب المهالك والظفر
فأفرغت في تلك الوصايا جميع ما … رايت به انهاض شعبك للسبر
فمثلت في حال احتضارك دور من … درى كيف وقع القول في ذلك الدور
فاسمعت سما لم يكونوا ليسمعوا … كلامك لو لم تغد في حافة القبر
فبادر كل الناس فضلا عن الاولى … عرفت لتنفيذ الوصايا على فور
فقامت سلا جمعاء حتى كأنما … تجمع كل الناس في معرض الحشر
شبابا وشيبا حول نعشك خشعا … صموتا . ووقع الموت في الصمت لا الذكر
فوفت سلا كل الحقوق . وما سلا … اذا ضاع حق واحد لابنها البر ؟
فلما جرت كل الحواضر للوفا … كما ينبغي ؛ والشكر دين على الحر
اذا قدم حنفاء تعسف عسفها … وتجري كما كانت بنا دائما تجري
تنهنها عن لاحب الرشد للتي … تريد بنا من ترهات الفلا الغبر
فتحسب انا مسلمون لامرها … كان لم تكن تدري من الامر ما ندري
فيا انتذا حصار رغم الذي ترى … تكلل تيجان الحفاوة والفخر
ويلحقك الشعب الشكور قصائدا … تخلد كل الخلد فيها الى الحشر
وها انذا من غير معرفة مضت … سوى خبر قد شاع صدق بالخبر
اقول . وفرض ان اقول مؤكد … لاعلن ما في الطوق من خالص الشكر
ويا ليت أني ذو بيان مروق … وذو منطق عذب كمرتشف الثغر
فآتي بشعر يحري كأنما … افلذك الياقوت رصع بالدر
ولكنني استفرغت وسعي . ومن جرى … بكل قواه بالغ غاية العذر

عليك سلام يوم كنت ويوم ان … نهضت واذ القيت في ذلك القعر
واذ كنت بالآلام منجدلا لقى … وانت اسير الجسم منطلق الفكر
واذ كنت بالفردوس تمرح ناعما … تروح الى قصر وتغدو الى قصر
واذ كان ما خلفت من طيب الثنا … يردد الحانا بالسنة الشعر
فتنفح في الاقطار شرقا ومغربا … بمالك يا حصار من طيب الذكر

في مهرجان الشعر

تحية المؤتمر

بقلم : عبد القادر حسن



كان الشاعر الاستاذ عبد القادر حسن من اعضاء وفد المغرب فى الدورة الرابعة لمؤتمر ادباء العرب التي انعقدت بالكويت من 20 الى 28 دجنبر الماضي .

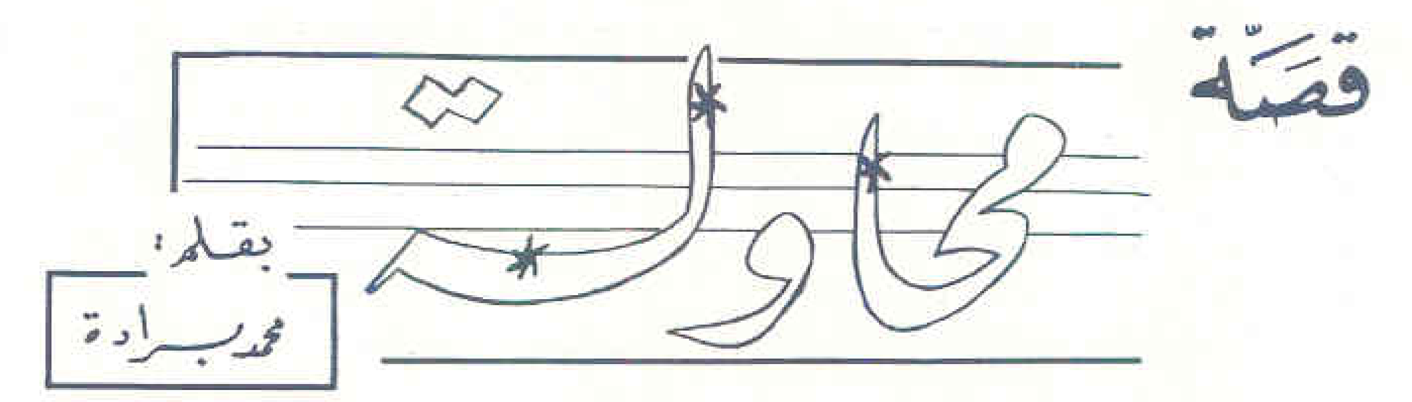
وفى مهرجان الشعر الذي نظم فى اليوم الرابع لانعقاد المؤتمر ، القى الاستاذ عبد القادر حسن هذه القصيدة التي حمل فيها تحية المغرب الى اشقائه العرب فى هذه المناسبة الادبية الرائعة .

سلام من المغرب العربي — الى ندوة الفكر والادب
من الغد فخر بني هاشم — محرر مراكش الاصلب
الى سالم وذوي سالم — وشعب الكويت العزيز الابي
الى اخوة النيل والرافدين — والقدس والحرم الطيب
سلام وود ازفهما — الى رافعي علم العرب
الى كل شهم يسير بنا — الى العز والبعد فى خبب
الى المنقذينا بارواحهم — من العسف والشطط الاجنبي
ومن اسهموا بيراعهم — لدى المد لهم من النوب
وكلكم علم مسهم — وكلكم النجم الغيهب
فلا فقد الشرق امثالكم — هداة الى المنهج الاطيب

اقمتم عكاظا فاحييتم — به سنن السلف النجب
ونقبتم عن صناديدهم — وآدابهم دارس الكتب
وسلطتم النور منتقدا — على قصص مدهش مطرب
مثال الفتوة عارمة — سجل البطولة فى يعرب
يعج بصور تجدتهم — لدى كل هول ومصطخب
يفور بما لهم من ندى — بلا ملق وبلا طلب
ثري بحرية مالها — حدود سوى المجد والنسب

وبالاريحية ناصعة   وبالادب الغض والخصب
خمائل ما مسها صانع   ولم تتبهرج ولم تتخب
مناقب ما بزها مثـ   ـبشرق الاراضي ولا مغرب
ـل الاصبهاني والاصمعي   وسل صاعدا وابا الطيب
وكم دارس غيرهم حافظ   وكم باحث بعدهم معجب
وكم منقف لآثارهم   وداهية مشرق مغرب
وكم صادق النقد هادئه   يشذب ما ظل لم يشذب
وصاعقة ماهر في بنـ   ـاء صرح المآخذ والريب
فسلهم جميعا وسل بعدهم   اساتذة الغرب في الاحقب
فهل كان الا رياضا نمت   على العفو في مقفر مجدب
وهل كان الا بصيص هدى   وقادح زند لكل ابي
وملهم حب ومكرمة   وصون الذمار من الاذؤب
ترعرع ثم استوى باسقا   فتوجه محكمات النبي
كواشف ما بعدها سدف   ومعجزة الفن والادب
ابانت على الحق حتى سما   واختت على الزيغ حتى خبي
وخطت سبيل الكفاح المرير   والصبر في الموقف الاصعب
واوحت لنا ان ايماننا   هو السر في الفوز بالمارب

اساتذة الشرق حياكم   مديم الرسالة في العرب
اقيموا لها هرما شامخا   تحدى به اخطر الشهب
تكون السويداء اساله   بكل وليد وكل اب
وقمته الروح صامدة   لكل العواصف والسحب
تفيض سناء محصنة   من الزيغ والوهن الاجنبي
فليس سوى الروح ملتجا   من الخطر الكاشر المختبي
تقوي وتجمع اشتاتنا   وتنشئنا اي مرتقب
وتجعل منا هداة لها   وللحق بالمنطق الاصوب
فلم نؤت من قلة في الورى   ولا منطق زائف محدب
ولا من فهاهة اقطابنا   ولا وهن الساعد العربي
ولكنما الداء يكمن في   ضمير كفور بها خرب
فردوا على الشرق ايمانه   نقيا كما جاء في الكتب
وسيف الصراحة فلتحملوا   ه ضد التملق والكذب
تروه قويا شديد المراس   ان يدع في جلل يشب
ويأخذ مثل اوائله   مكان الطليعة في الموكب
فنحن محط الرجاء متى   تزيغ المقادة بالمركب



اني اكاد لا اصدق ، يخيل الي ان لا تغيير طرا على حياتي ، كل شيء من حولي وكل الاصوات التي تبلغ سمعي تؤكد لي انني لم افارق هذه الغرفة التي اتمدد فيها الآن . . غرفة ضيقة ذات اثاث حقير، سريران يكادان يلامسان الارض، وثياب مكدسة في احدى الزوايا ، والى جانبها مجمر وبراد تحيط به ثلاثة كؤوس من غير صينية . . ارفع بصري الى السقف فاصافح العنكبوت ، وقد امتدت خيوطه في كل اتجاه، والمح خنفساء تحبو على مهل كانها في نزهة الصباح ! اما الشباك الصغير فيطل على شارع السويقة ، ومنه يبلغني خليط عجيب من الاصوات والروائح . . اصوات الراديو واصوات الباعة وهم يتنافسون في لفت انظار الزبائن . . وتتسرب الى انفي رائحة البصل والبطاطا والسمك والعنب والزيتون ، ومن حين لآخر يصلني صوت الجزار المجاور وهو يصيح :

ــ صلوا على النبي يا ناس !

كل ذلك يؤكد لي انني لم افارق هذه الغرفة ولم اعش بعيدا عنها ، واكاد اصدق لولا ذكرى مغروسة في اعماق نفسي تعرض امامي صورا متلاحقة للتجربة التي عشتها منذ امد قريب ، والتي كان امس آخر يوم فيها . كان امس آخر يوم في التجربة القاسية التي عشتها ، وانتهت بأن دسست فلذة كبدي تحت التراب، ورجعت اجر رجلي في كآبة لاستقبل من جديد الليل في الدروب الموحشة . هل تعرف الليل في الدروب الموحشة ؟

اني لاتذكر ضراوته جيدا عندما وجدت نفسي امامه وحيدا منذ خمس سنوات في هذه الغرفة الحقيرة . . كان اول يوم وصلت فيه من قريتنا الصغيرة التي فارقتها ونفسي ممتلئة املا في انني ساكتشف عالما جديدا عندما اصل الى العاصمة ؛ كنت اسمع عن العمارات الشاهقة وعن السيارات وغيرها من العجائب ، فتستولي علي الدهشة ؛ واصبحت اعز امنية لدي هي السفر الى المدينة لاعيش في وسط الدوامة المتحركة ، وانفض عني غبار القرية واحاديثها المملة . . وفي اول يوم وصلت فيه الى العاصمة ، انطلقت اجوب شوارعها واتفرج على واجهات متاجرها ، متتبعا لكل حديث يدور بين اثنين ، فقد كانت بي لهفة الى معرفة اشياء كثيرة . . وعندما كنت اتحدث الى احد كان يخيل الي ان كل ما يتلفظ به جديد يستحق الحفظ فكنت اجهد ذاكرتي لاختزانه . . .

وحل المساء ، فتفطنت الى ضرورة العثور على مسكن آوي اليه ، فسألت رجلا في الشارع ، فأرشدني الى فندق بالسويقة لم اجد فيه سوى هذه الغرفة الضيقة التي اقتسمتها مع رجل يبلغ اربعين سنة ؛ نزح هو الآخر من قريته ، ويتمتع بشارب كث نسيت ان اقول لكم ان الخنفساء الصديقة تمر فوقه عندما تعتلي صورته المعلقة وهي في نزهتها الصباحية .

حاولت ان انام مبكرا بعدما تعبت طيلة اليوم ، ولكن احاسيس حادة انبثقت في نفسي فذادت النوم عن عيوني . . شعرت انني وحيد في هذه المدينة الشاسعة ، وانني مجهول من كل الناس ، والا احد يشعر بوجودي ، وكانت رياح الخريف تصفر في الدرب فاحسبها عواء ذئب . . . وتراءت لي جدتي واختي في منزلنا بالقرية ، وهما تتساءلان عما آل اليه امري ، فتوقد الحنين في صدري وتمنيت لو انني ظللت في مأمن من هذه الوحشية المؤلمة . . .

كان لهذا الاستقبال الذي لقيتني به المدينة الكبيرة في ليلتي الاولى اثر يبعث في نفسي الكآبة كلما تذكرته . . وتبين لي منذ تلك اللحظة انه يتحتم

علي ان اتذرع بالشجاعة فلا اتراجع امام هـذه الاحساسات الاولية ؛ فصممت على العثور على عمل يضمن لي البقاء في المدينة ، وقد سهل لي الامر شريكي في الغرفة فعرفني على صديق له يدير دكانا لصناعة الاحذية ، وراى في هذا الاخير شابا ساذجا يمكن ان يبذل اقصى المجهودات دون ان يتأفف او يطلب اجرا مرتفعا ؛ ومع الايام انعقدت بيني وبين « معلمي » علاقة تشبه الصداقة ، خاصة بعد ان عرف انني غريب عن البلدة ، فكان يستدعيني من حين لآخر الى بيته ، وكثيرا ما يكلفني بقضاء بعض حاجياته ، وبذلك اصبحت اتردد على البيت في غير ما كلفة .

وذات يوم لاحظت وجود فتاة في بيت « معلمي » لم يسبق لي ان رايتها .. كانت ذات مسحة من جمال حزين ، معتدلة القوام ، مسرفة في الصمت .. وتطلعت اليها في اهتمام وهي تساعد زوجة «معلمي» في اشغال البيت ، وعندما ابتعدت ابتدرتني قائلة :

ـ هل اعجبتك ؟ لقد اطلت النظر اليها ؟

ـ ابدا .. انما اراها تختلف عن الخادمات ، فمن تكون ؟

ـ انها يتيمة جاءت من مدينة « سبتة » ولم تجد من يؤويها فاتت بها « امي فطومة » لتشتغل عندنا الى ان تصادف « ابن الحلال » .

وقلت في اهتمام : ـ هل انت متأكد من انها يتيمة ؟

ـ نعم .. كل التأكيد ..

طيلة ذلك اليوم تركز تفكيري في الفتاة اليتيمة ، وطافت بذهني احلام دافئة ، واستيقظ في نفسي الشوق الى الاستقرار والحياة الهادئة .. قلت في نفسي : ان الوحشة ستقرب ما بيننا ، كلانا نزح عن موطنه وذاق مرارة التشرد .. ساجد فيها البلسم الشافي .. وستذوب في بسمتها كل متاعبي .. وفي الليل بدلا من ان آوي الى غرفة حقيرة تنتظرني فيها الوحدة والسآمة ، الجا الى زوجتي لاجد عندها الحب والحنان والدفء والقبل .. ساطلق حياة العزوبة بما فيها من ضياع وامتهان لاستقبل حياة الدعة والاستقرار .

وكان علي أن ابادر بالافضاء برغبتي الى « معلمي » حتى يمهد الامر ، وحينما انتهيت من عرض مشروعي اجابني وقد علت شفتيه ابتسامة رقيقة :

ـ الله يحب الحلال .. ولا يسعني الا ان ابارك واشجع .

كانت فرحتي عظيمة لم اطق حبسها في نفسي ، فاردت ان اعلنها الى كل من اعرفه ، ولكنني تذكرت ان هذا الاعلان يستتبع توسعا في الدعوة الى العرس ، وميزانيتي لا تحتمل ذلك .. فقررت الا اخبر احدا سوى شريكي في الغرفة الذي استقبل الخبر في سخرية كانه يعلم مقدما انني ساعود في يوم ما الى غرفتنا الصغيرة .

وعندما اخبرت زوجة « معلمي » بانني لن اقيم حفلة للعرس ، تجهم وجهها واعترضت بشدة ، فادركت انها اصيبت بخيبة اذ لم تكن تشجعني عبثا على الزواج ، فقد كانت تنتظر من وراء ذلك ان تكون مشرفة على الاستعدادات التي تسبق العرس .. ففراغ نسائنا يدفعهن الى تشجيع عزاب العائلة على الزواج ليجدن في ذلك متعة وتغييرا لحياتهن الرتيبة ، على ان الذي اسرني هو موافقة « راضية » زوجتي الشكل الذي ارتايت ان يتم عليه عرسنا .. نتعشى في بيت « معلمي » ونسهر سهرة عائلية ننتقل بعدها الى بيتنا دون ان استلف مقدارا ضخما اقيم به حفلة العرس .

انسابت الايام الاولى من حياتي الزوجية لينة هادئة ، زاد اثناءها اعجابي بزوجتي اذ كانت مسالمة لا تهتم بالمظاهر ، وتتحمل راضية ما كان في عيشتنا من شظف ؛ وذات يوم فوجئت بها ترجوني ان اكتب لها رسالة الى زوجة ابيها « بسبتة » لتطمئنها على مصيرها .. فلم اجد من اللائق الاعتراض على طلبها ، وبعد فترة وجيزة تلقينا رسالة من زوجة ابيها تخبرنا انها آتية لتمضي عندنا اياما قليلة .

لم اشا ان احمل نفسي فوق ما استطيع لابدو في عين الزائرة اكثر مما انا في حقيقتي .. لقد كنت اشتغل اليوم باتمه وما اربحه في النهار يذهب به الليل .. ليست لي ضمانات ضد المرض والتعطل من العمل ، ومع ذلك اقدمت على الزواج .. لماذا ؟ لانني كنت افضل طعم الحلال على اختلاسات الحرام ، وربما لانني لا احس ذلك ، لست ادري ، وايضا لانني لا استطيع ان اترك الوحشة تنهشني .

وصلت الضيفة ، وحرصت على ان يكون غداء اليوم الاول فاخرا بعض الشيء .. ولم استطع فهم خطوط شخصية ضيفتنا ، فقد كانت تقتضب في حديثها معي وتصطنع الحشمة المتناهية كما تقتضي

عادة نسائنا .. على انني استطعت بعد ايام قليلة ان اعرف بطريقة غير مباشرة اي نوع من النساء كانت .. عرفت ذلك بواسطة التغير الذي طرا على زوجتي .. تغير اتخذ اول الامر شكل تأفف مما كنت احمله اليها من اكل متواضع ، والذي كانت تتقبله من قبل باسمة متهللة .. وتطور هذا التأفف الى تجهم واعتراض ، قالت لي ذات مرة :

ــ بطاطا كل يوم ... وربع كيلو لحم ، انه لا يكفي حتى لمجرد الشم !

وابتسمت وانا ارد : ــ ستتغير الحال .. الصبر جميل .

ومن غير ان تستمع الى ما قلته ، حملت القفة ومضت تنم سخطها على هذه العيشة السوداء وفي الحقيقة لم ارد ان اصدق ما سمعته ، واخذت انتحل لها الاعذار ، كيف تتحول « راضية » الزوجة الهادئة الى امراة مشاكسة ؟ هكذا بدون مقدمات تعلن سخطها بصوت مرتفع لا شك ان ضيفتنا قد سمعته .

وعندما احتوانا الفراش في الليل ، سالتها عن سبب غضبها غير المعتاد ، فاجابت في جفاء : ــ ان روحي تكاد تزهق من هذا الضنك .. كل الزوجات يشترين اثوابا جديدة ويحضرن في الافراح الا انا ..

وقاطعتها في حدة : ــ ولكنك تعرفين انني رجل فقير .. لقد حدثتك عن كل شيء ورضيت بان تتزوجيني ، لقد قلت لي ان ما يهمك في الدرجة الاولى هي المعاشرة الطيبة .

واستمر النقاش في الاخذ والرد، وكشفت لي «راضية» عن جانب كنت اجهله فيها، جانب اللجاج والتعلق بالتوافه. وقبل ان اغمض عيني خطر لي ان هذا التغير ربما كان طارئا جلبته الضيفة معها ، فعقدت العزم على التاكد من حقيقة الامر . في اليوم التالي تظاهرت بالخروج ووقفت في مدخل الدار اتسمع ما سيدور بين المرأتين من حديث : صدق ظني ، لقد كانت الضيفة حاملة بذور هذا العصيان ، سمعتها تقول بعد ان حكت لها « راضية » ما دار بيننا في جدال الامس :

ــ هذه هي الطريقة التي تجدي مع الرجال .. اذا لم تلاحقيه بالمطالب وتكثري من الشكوى ، فسيسرف في تقتيره عليك ، وربما طالبك بالاشتغال من اجله ..

شعرت وانا استمع اليها كانها تسمم كاس سعادتنا ، وفي ثورة جارفة دخلت بادي الغضب لاطلب من الضيفة مغادرة البيت ؛ اقدمت على ذلك لانني كنت اظن انني ادافع عن سعادتي وان طرد مصدر الشقاق كاف لان يرد حياتنا الى سيرها الطبيعي .. الا ان « راضية » تنمرت وتحولت الى شخصية تمثل الشراسة في اقسى صورها .

وكانت طبيعتي الواضحة الصارمة التي لا تحتمل الزيف ولا ازدواج المشاعر ، تلح علي لاطلقها واجعل حدا لهذه المحاولة التي قصدت بها ان ادفع عني الوحشة والملل .. الا ان بطنها المنتفخ كان يحتم علي طرد هذه الفكرة ، جزء من صلبي احكم عليه بالتشرد ومرارة الاهمال واحرمه من حنان العائلة ؟ ؟ يستحيل ان اقدم على ذلك . ان سعادتي قد انتهت في تلك اللحظة ، فقررت ان استمر ماسكا بالخيط بيني وبين زوجتي من اجل المولود الذي كان على وشك الخروج الى الدنيا .. ساحقق عن طريقه كل الرغبات التي استشعرت قيمتها ؛ كنت اعلق على الجنين ــ وكان لدي شبه يقين انه سيكون ذكرا ــ آمالا كبيرة ...

مضى الشهر الذي بقي على ميعاد ولادتها بطيئا مملا ، تذرعت فيه بالصبر واحتملت سخطها واستفزازاتها للخصام .. كنت اعيش على انتظار شيء كبير .. وكنت اظن ان المولود سيجعل حدا لهذا التنافر ، ويعيد الوئام المفقود .

هيهات ! اني لا ازال اتذكر تلك العبارة المالوفة التي استقبلتني بها المولدة وهي تتمتم مصطنعة الاسى ــ البقية في حياتك .

هكذا يسفر انتظاري عن لا شيء .. عن مولود ميت . ما زلت اذكر تلك اللحظات ، اني لم اسبل فيها دموعا بل تجمدت عواطفي وحملت النعش الصغير ومن ورائي معلمي وصديقي ، الى ان وصلت المقبرة ودسست الجسم الصغير تحت التراب . وعندما انتهيت شعرت براحة كبيرة تغمرني كانني تخففت من حمل ثقيل .

اردت ان اكون سعيدا ، وتمسكت بآخر خيط ولكنه افلت مني .. ربما كان الاساس الذي حاولت ان اقيم عليه صرح سعادتي خاطئا ، لست ادري .. ولكنني شعرت بضرورة انهاء هذه المحاولة وايداعها صفحة الماضي ، لذلك كتبت وثيقة الطلاق وبعثتها مع صديقي ، ثم سرت متجها الى غرفتي الصغيرة الاولى، لاستقبل فيها الليل بما فيه من وحشة وكآبة ، والنهار بما فيه من ضجيج واصوات .



لا .. لن اعود الى التحرر من ضلالي او جمودي
عبد انا ! مذ كنت ارسف في السلاسل والقيود ..
ارث العبودية العريقة في دمائي عن جدودي

انا لم اكن حرا طليقا في اختيار ابي وامي
كلا ولا زمني ، ولا وطني ، ولا ديني ، ولا اسمي
قدر يسيرني بغير ارادتي ، وبدون علمي !

عبد لاهلي لو خرجت عليهمو .. لم يرحموني
عبد لقومي ... لو ذهبت الى سواهم انكروني
انا لن اعيش بدونهم .. حتى ولو عاشوا بدوني !

عبد لجهلي ... لم تحررني علوم الناس قبلي !
لم ادر ما سر الوجود ؟ وما مصير الخلق مثلي ؟
في دامس الظلمات تسبح اعيني ويهيم عقلي !

انا لم اقل لليل : « كن ليلا ! ولا للفجر فجرا ! »
انا لم اقل للبر : « كن برا ! ولا للبحر بحرا ! »
كل تدبره يد علیا ، وراء الغيب سرا ..

عبد لقلبي .. فهو يملك سر بغضائي وحبي
اجد اللذة في عبوديتي لاحبابي وصحبي
واود لو ابقى اسير صبابتي من كل قلبي

عبد لعمري في الحياة .. وليس لي عمر سواه
لم استشر في يوم مبدئه ، ولا يوم انتهاه
لا استطيع زيادة فيه ، ولا ادري مداه !

عبد لعقرب ساعتي يمضي ويسحبني وراه
اعنو اليه بطاعتي فكانما هو لي اله !
يجتر ايامي ، ويرمي خلوها ! تربت يداه !

شهواتي العمياء تدفعني الى ما لا اراه
وتقودني اماني الحمقاء في سبل الحياة
فكانني اعمى يسيرني الدليل على هواه



بقلم: مصطفى المعداوي

عندما عجزت شفاهها عن النطق وعيونها عن التعبير ، انطلقت عواطفها في عالم فسيح تتغنى باحاسيسها الذائبة على صعيد الشوق والحرمان !.. اليها في دوامتها تلك ! ...

« مصطفى المعداوي »

يا ايها الطيف المرفوف فوق اهداب الخميلة
يا نسمة العطر المموج في ابتسامات الجميلة
يا طيف سعد عابر
هلا مررت بخاطري
لي في حماك قصيدة
غذيتها بمشاعري

❊

يا ايها الطيف المموج من بعيد
يا سائرا عبر الفضاء الواسع
ما زالت الذكرى معي
تهفو .. فتشع من ضياك لناظري
صورا جميله
صور الزمان الغابر
في فجرها المتوثب
ما زلت احمل ظلها
في ناظري شعاع امنية بعيده
كانت لنا : حبا واحلاما سعيده

❊

يا ايها الطيف الملوح كالشعاع
يا بركة فضية الشطآن في الشراع
ترى حان الوداع ؟ ! ..
هلا وقفت هنيهة حتى اراك
وارى الحياة على شفاهك تبتسم

❊

يا ايها اللحن المزغرد في الفضاء
ما كدت اسمع النداء
حتى اختفيت وراء دنيا من ضباب
ولم تعد الا صدى ... يغفو رواه ! ...
يا ايها اللحن الطروب
ما غاب منشدك الحبيب
عني ولا نضبت رؤاه ! ...
يا ايها الطيف المودع ربعنا
لي في حماك قصيدة
ازلية لا كالقصائد
غنت تموجها حمامه
في دوحها المتطاول
غنت حمامه
بيضاء في ثوب السلام
من الف عام
يا ايها اللحن المغرد في الفضاء
عد للكمان .. لقلبي المتأجج
عد للوشاح لسحرك المتموج
عد فالصباح اطل والزهر انتشى

❊

يا ايها الطيف المودع ما حدا بك للذهاب
يا نغمة غجرية حنت لعودتها الهضاب
يا نسمة عطرية متوثبة
يا طيف سعد عابر
هلا مررت بخاطري ! ؟ ...
لي في حماك قصيدة
غذيتها بمشاعري ...



كان العرق البارد يملأ جبهتي العريضة، وجسدي يرتعش في جنون، والشاوش ببذلته الزرقاء الموشومة ينفث دخان سيجارته في الهواء، ويحتسي بين الفينة والاخرى الشاي بصوت مرنم مسموع، ثم يلتفت الى « شاوش » آخر ليقول له:

انت تعرف صنع الشاي اذن ... لقد راق الرئيس كثيرا ...

وتقدمت منه بخطاي البطيئة، وانا ارتعش .. وابتسمت له ابتسامة واسعة سرعان ما اختفت، عندما وجدته يحدق في حذائي « الكاوتشوك » الذي بدت من ثقبته اصبع الابهام طليقة في الهواء، ثم رفع راسه الى وجهي متنقلا عينيه القاسيتين عبر البذلة الكالحة، الى ان استقر بهما اخيرا على ربطة العنق المتسخة التي كانت تتدلى في استرخاء.

وفتحت فمي لاتحدث، عندما رن الجرس قويا في الممر الطويل، فرمى عقب السيجارة وهو يقف، ثم توجه الى مكتب قريب وضعت على بابه ورقة بيضاء مكتوب عليها بالخط العريض: « مكتب الرئيس » ثم نقر الباب مرة ... ودخل.

كنت ارتعش، وحبات العرق البارد تملأ جبهتي، ودعوة امي يتردد صداها في سمعي « الله ما يخيبك ».

هل تراه يستجيب لها ؟

ارجو ان يفعل، ان يستجيب سريعا وينقذني من هذا الموقف الحرج الذي تاباه كبريائي انا.

وعاد « الشاوش » ومد بقطعة فلوس من فئة خمسمائة فرنك الى الشاوش الآخر صانع الشاي مخبرا اياه ان المدير يريد علبة سجائر « امريكان » كالعادة، ثم توجه الي بالسؤال: ماذا تريد ؟

وفتحت فمي، ولكن الجرس عاد يرن مرة اخرى في قوة، وذهب الشاوش الى المكتب ذي الورقة البيضاء المخطوطة ... ونقر مرة على الباب ... ثم دخل.

ومرت بي في الممر الطويل فتاة جميلة، حاملة بضعة « كراريس » ثم سرعان ما استدارت الي متسائلة: انت ؟

لعلها نسيت اسمي ... ولكنها لم تنس الجبهة العريضة والوجه الاسمر، والحذاء « الكاوتشوك » وربطة العنق المتسخة التي كانت مثار سخريتها دائما، حيث كانت تقدم لي احيانا شيئا ملفوفا في ورق، افتحه لاجد به قطعة صابون وكلمة « اغسل به ربطة عنقك ».

لعلها لم تنس كل ذلك، وهي تستدير الي، ثم تقترب مني مبتسمة .. نفس الابتسامة الساخرة التي كانت تواجهني بها في القسم، كلما البت علي الاستاذ المفتون بها ... وكلما طردني المراقب العام من المدرسة لانني لا ادفع الواجب المدرسي في اوانه.

كانت تبتسم ... عندما سالتني في الممر الطويل: ماذا تفعل هنا ؟

قلت: لا شيء.

فحدقت في ربطة العنق قائلة: غير معقول ! ؟

ولم اجب ... بينما استطردت هي: انك ما تزال كما انت دائما ... لم يتغير فيك شيء.

وبحركة لا شعورية مددت يدي الى عنقي اخفي « الربطة » المشؤومة ، عندما اضافت : اقصد انك ما تزال محتفظا بكبريائك .

نعم اعرف انك لا تعنين ربطة العنق هذه المرة ، الربطة الكالحة التي لم تتغير قط ، فماذا تعنين اذن ؟

كبريائي ... وهل ترك لي « الشاوش » شيئا اسمه الكبرياء ؟ هل تركت لي الحاجة قليلا منها ؟

اية حرب باردة هذه التي يعاملني بها « السيد » الشاوش ، كأني به يريد أن يوقفني على « رجلي » فأتمسح به واستعطفه ... سأفعل ذلك ، لانني اريد من الله أن لا « يخيبني » وانا اطرق باب العمل لاول مرة

سأفعل ... اقسم انني سأفعل .

وافقت من خواطري على صوتها قائلة : ماذا تعمل الآن ؟

قلت : ما زلت طالبا .

ومدت لي يدها مودعة ، وهي تحدق في «مركب النقص » عندي ... ربطة العنق .

ثم خرج « الشاوش » من مكتب المدير طلق المحياء ولكنه سرعان ما غير سحنته عندما رآني وهو يصيح : انت ... ماذا تريد هنا ؟

وفتحت فمي : اريد مقابلة المدير ... يا ...

وقاطعني بصوته المجلجل : المدير

قالها في استنكار ، وهو يعبث من جديد بحذائي وربطة العنق ... ثم اضاف : غير موجود .

الف مرة موجود ، الم يشرب الشاي ويعلن لك عن اعجابه ، الم تبعث « الشاوش » الذي ابطأ كثيرا ـ ليشتري علبة سجائر « امريكان » ؟ ثم تقول انه غير موجود .

وبصوت مختنق ، قلت وانا اواجهه بنظراتي الحادة :

ـ انه موجود ... اقسم لك .

ـ تكذبني اذن ؟

ولم اجب ، بينما اشعل لنفسه سيجارة راح ينفث دخانها في الهواء ،واستدار الى قائلا : انه لن يقابلك ابدا .

كانت هذه الجملة خنجرا مسموما، جعلتني كالثور الذبيح الذي لا يرضى ان يموت قبل ان يعلن وجوده ، ولو برفس الرجلين . ورفست انا الآخر ببقية من كبرياء ، وخرجت الكلمات متوالية : وهل انت الرئيس ؟ سأقابله ، وسأبلغ بك . انني اريده في شأن هام جدا .

ولم يظهر على الشاوش اي تأثير وهو يواجهني بنظراته الباردة ، بينما سمعت في الممر الطويل حذاء يضرب الارض في قوة وثقة ، ويقترب منا ، كانت هي .. جميلة ، لتبتسم ابتسامتها الساخرة ابدا ، وفي يديها الكراريس ، ووقفت بيني وبين الشاوش ، ثم قالت : مالكم ؟

واحنيت راسي الى الارض ، عندما اخبرها الشاوش انني اريد مقابلة الرئيس ، فقالت له : هل منعته كعادتك ؟

واجاب : الرئيس غير موجود ، هذا هو كل شيء.

ووضعت الكراريس على الطاولة التي كانت قربنا ، ثم تناولت ورقة صغيرة مدتها الى قائلة : اكتب هنا ، سأقوم انا بعمل محمود .

وثار « محمود » لهذا التدخل في الاختصاصات ، بينما اخرجت قلمي لاملأ الورقة الصغيرة .

اسم الزائر : اسمي انا ؟ اي شيء هو هذا الاسم الحقير ؟ اي اغراء فيه يدفع الناس لان يعجبوا به او يفكروا فيه ؟ ما هي قيمته ؟ عائلة غير معروفة ... ولا انا معروف . ثم ... ما هو غرضي من الزيارة ؟ ان اطلب عملا .

يجب ان لا تعرف الفتاة الجميلة هذا ، فانه قاس ان تحني راسك مرة امام الناس الذين كنت معهم مرفوع الراس دائما في السماء .

مع ذلك فقد ملأت الورقة ، واخذتها مني ، ثم ذهبت الى مكتب الرئيس ونقرت عليه ... ودخلت .

وعاودني الارتعاش الجنوني ، واخذت حبات العرق البارد تتجمع في جبهتي العريضة ، ودعوة امي تتردد في مسمعي : « الله ما يخيبك » .

ثم خرجت الصديقة من مكتب الرئيس وقد اختفت الابتسامة من شفتيها ، وقالت لي : الرئيس مشغول .

وازدادت خفقات قلبي عنفا ، بينما اصبحت لا اسمع شيئا غير دعوة امي : « الله ما يخيبك » .

ونقلت خطاي عبر الممر الطويل في سهوم ، بينما كانت صديقتي تردد : الحقيقة انه غير مشغول ، ولكن ليس هناك اي مكان فارغ في الادارة، لقد اخبرني الرئيس انه لا يوجد لك عمل هنا ، وصدقني اذا قلت لك انني حاولت المستحيل معه ، مع ذلك فان لي كثير الامل في ايجاد عمل لك هنا ... في نفس الادارة ... ومع نفس الرئيس هل تعود في المساء ؟

واجبت : ولم اعود ؟

قالت : انني اريد ان تعود ، فسوف يوجد لك عمل في المساء ، لابد ان يوجد . وشكرتها ساهما ، ثم خرجت الى الشارع مخنوقا بالبكاء ، وانا اسمع دعوة امي ، وارى ان الله قد « خيبني » .

وفي المساء ...

كان لابد لي ان اقتل الكبرياء الكاذبة ، وان اعود الى الادارة لاجرب حظي مرة ثانية ، وعدت ، ووجدتها تنتظرني بابتسامتها الساخرة ، ثم مدت الى ورقة ، وهي تقول : هذا هو العمل ... لقد اوجدته لك انا .

وقرات الورقة الصغيرة : « بناء على حديثي معك في التلفون ... فحامل البطاقة مني انا ، هو الشاب الفقير الذي حدثتك عنه » .

هو اسم آخر اذن ... الذي سيراه الرئيس ، وليس اسمي انا .

كم ابدو تافها في بطاقة التوصية هذه « شاب فقير مسكين ... اي عمل ... شاوش مثلا ، انه عديم القيمة ، ولكنني اريد ان تجد له عملا »

ذاك اليوم ، لماذا لم اصفع الصغيرة الجميلة ، التي احتقرتني الى ذلك الحد ... لماذا لم انشب فيها اظفاري واقتل فيها الابتسامة الساخرة ؟

وذاك المساء ايضا ، فتح لي باب الرئيس على مصراعيه لادخل ، لتدخل « بطاقة التوصية » .

وكانت صديقتي تبتسم منتصرة على الرئيس ، وساخرة من كبريائي .

وفي جنون ، مزقت « البطاقة » ورميتها في وجه الصديقة الساخرة ... لقد كانت هناك بقية من كبريائي انا .. انا الذي لا يملك اسماء مزقت البطاقة ، واخذت اجري في الممر الطويل .

وفي المنزل الخرب ... بالزقاق المنسي ، سالتني امي عن النتيجة ، فاخبرتها ان الله « لم يخيبني » فلقد هيا لي ممرا طويلا اجري فيه ، واصابع قوية تمزق بطاقات التوصية .



اريد فى هذا الصباح ان لا افكر فى شيء ، ولا اكتب شيئا .

اريد فى هذا الصباح ان لا اتقيد بأي عمل ، او عادة ، او موعد ، او زيارة ، او تحية احد .

اريد فى هذا الصباح ان اكون ... ان اكون ... ماذا اكون ... ؟ لا اريد ان اكون شيئا .

اريد فى هذا الصباح ان اقطف احلام ليلتي الماضية ، واضعها باقة فوق مائدتي ، او اقدمها هدية الى فتاة لا اعرفها ، ولكنني اشعر بها الآن متجهة الى المقابر لزيارة امها .

اريد ان انسى اني موجود ، وان حياتي ابتدات منذ ثلاثين سنة ، ولها مع الزمن موعد محدد .

ما اجمل ان ارى الضباب يغمرني ، ويغمر كل شيء من حولي ، حتى الوجود ، وكل ما في الوجود . فلا حدود ولا ابعاد ، ولا احجام ولا اوزان ، ولا فوق ولا تحت ، ولا شمال ولا جنوب .

ما اجمل ان اقول والضباب يغمرني :

« كم الساعة الآن ؟ » « ما اسم هذا اليوم وما هو تاريخه ؟ » « اين انا ؟ » « ما اسم هذا المطلق العجيب برماد جدرانه ، وسكانه وحدائقه ؟ » .

يحلو لي الآن ان اسمي الاسماء بغير اسمائها .

فالجبال : مرافيء النجوم ، والبحار اشرعة الثلوج ، والفراشات وشمات النسيم .

يحلو لي ان اقول لك مثلا :

« ان اصابعك براعم القطن او الرماد . فحذار ان تذيبها فى مجرى الهواء ، وان حديقتك من نقش الشمس والندى ، فاقطف منها سمر الضوء ، والنجم والاريج .

اريد ان تكون انت انا لتفهمني فى هذا الصباح دون ان افكر ، او اناديك ، او اكتب شيئا .

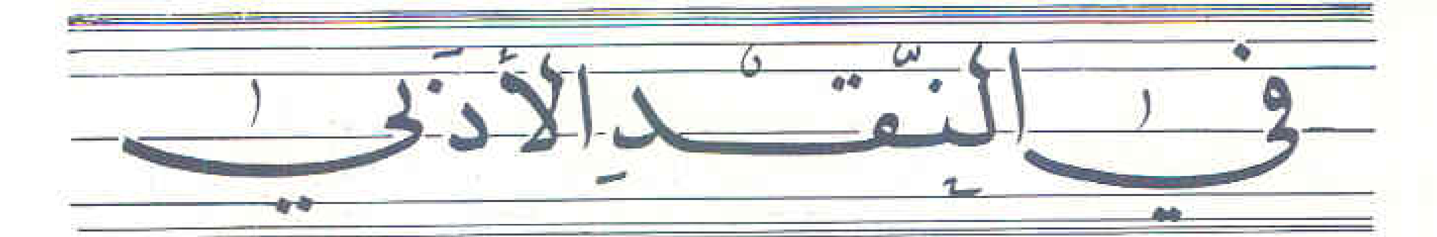
اريد ولا اريد !

اريد ان تعرف كما عرفت فى هذا الصباح : ان فيك كرمة تتدلى عناقيدها من عريش اصابعك ، وان جذورها ممتدة فى تربتي وتربة اصدقائي فانا عطشان دون عطش الى خمرتها ، كما عرفت ان من ورائك جدولا ترمى ازباده فى لسانك ، ولسان اصدقائنا وجيراننا .

اريد ولا اريد !

انا لا اريد منك شيئا !

اريد ان تفهمني بدون تفكير ، او تعبير مني كما يفهمني هذا الصباح .



على هامش مقال :

شعر أبي العباس الجراوي

بقلم : محمد محمود الجبوري

اهدى الي احد الاخوان العدد الاول من اعداد السنة الثانية من مجلة دعوة الحق الغراء ، ولم يكن ذلك اول عهدي بهذه المجلة ، فقد اهدت الي السفارة المغربية وانا ببغداد عددا منها لا ازال احتفظ به واعتز. وما وقع العدد المذكور في يدي وبدات اطالعه واجتني غرره حتى ادركت ان كتاب اليوم ككتاب الامس قد ضم نتاج جهابذة العلم وصيارفة الادب وصفوة من فضلاء العصر في ميدان الكتابة وسجل الافكار . وازددت يقينا بان مغرب العرب كمشرقهم ما زال معينه يتفق حكمة وبيانا . وقد وقفت عند مقال قيم لاستاذ فاضل تنبئك سطوره عن سريرته الحية في انصاف شاعر خفيت طائفة من اشعاره عن الناس ، ورايت انني استطيع ان اشارك في هذا الانصاف مشاركة طفيفة الا انها لا تخلو من فائدة . ولهذا اكتب تعليقي ؛ ولست اقصد به سوى تلمس الحقيقة على سنن النقد النزيه . واسال الله تعالى ان ياخذ بايدينا الى محجة الصواب في خدمة تراثنا العربي .

جاء في الصفحة العشرين من العدد المذكور مقال للاستاذ محمد بن تاويت عنوانه « شعر ابي العباس الجراوي » يثبت فيه كاتبه ما لم يثبته صديقه العلامة السيد محمد الفاسي في محاضرة سبق ان القاها .

يعلق الاستاذ على البيت الآتي (ص : 21) :

ملئت به الدنيا صفاء بعدما

ملئت من الاقذار والاكدار

فيقول : « بالاصل : « الاقداء » . فلعل الصواب ما اثبتناه ليتسجم مع الاكدار او تكون الكلمة (الاقذاء) بالمعجمة .

والذي اقوله انه لم يوفق بكلمة (الاقذار) فان كلمة الاقذاء اصوب منها واكثر انسجاما في البيت كما انها ارق لفظا واحلى جرسا وادنى للمعنى الذي يريده الشاعر . وقد قال بشار بن برد :

اذا انت لم تشرب مرارا على القذى

ظمئت واي الناس تصفو مشاربه

وهي في الوقت نفسه اقرب الى ما وردت به « الاقداء » .

ويذكر في الصفحة ذاتها البيت الآتي :

اهنا امير الهدى بالعدل منبسطا

والدين منتظم والكفر اشتات

ويعلق عليه بقوله « بالاصل : منبسط مع انه حال لا يجوز رفعه الا في لغة شاذة معتبرة في مثل هذا التركيب ان الجملة حالية حذف منها المبتدا » .

والذي اقوله انه لا حاجة للتمرغ في حسك النحو لنحور ونبدل ما نشاء . الا ترى ان التصحيف فيه ظاهر لا غبار عليه . اقرا البيت بالصورة التالية :

اهنا امام الهدى فالعدل منبسط

والدين منتظم والكفر اشتات

ثم يذكر الاستاذ في الصفحة الثانية والعشرين ابياتا منها :

لمن الخيول كانهن سيول

غصت بهن سباسب وجهول

طويت لها الدنيا فابعد ما انتحت

دان وابطا سيرها تحجيل

حتى قوله :

تصهيلها محض الثناء وان يكن

لا يفهم الاقوام منها صهيل

ويعلق على البيت الاخير بقوله :

« بالاصل . لا يفهم المستمعون صهيل فاصلحنا الشطرة كما رأينا » .

والذي اقوله ان الاستاذ عند اصلاحه عجز البيت اخل بوزنه . فالبيت من (الكامل) والقافية مضمومة . وحتى اذا سكنا الحرف الاخير من كلمة (صهيل) فاننا نخرج بهذه الشطرة الى (السريع) .

والآن اقرا البيت بالصورة الآتية :

فصهيلها محض الثناء وان يكن
لا يفهم المتسمعين صهيل

الا ترى معي ان البيت قد استقام وزنه واننا قد اقتربنا من كلمة (المستمعون) التي اوردها الناسخ .

ثم يذكر الاستاذ فى الصفحة ذاتها تعليقا على بيتين ثانيهما :

ودرت نفوسهم بانك ظافر
فاتت تقدم اليه تؤول

فيقول فى تعليقه : « تركنا بيتين لبياض فى الاول وغموض فى الثاني » .

والذي اقوله ان الاستاذ ارتبك فى عجز البيت الثاني فلم يثبته فى القصيدة وادعى فيه الغموض ، وكان سبب ارتباكه عدم استقامة الشطرة ونقص التركيب .

والآن اقرا معي أيها الاستاذ هذا البيت باضافة (ما) فى مكانها المناسب .

ودرت نفوسهم بانك ظافر
فاتت تقدم ما اليه تؤول

نعم اتت تقدم الطاعة واستسلمت وهذا ما تؤول اليه لو انها استمرت فى المقاومة . فهل بقي فى البيت غموض ؟

ثم يذكر الاستاذ فى الصفحة الثالثة والعشرين البيت الآتي :

ولولا عطفة الابلال كنا
بنار الوجود نحترق احتراقا

والعجز غير مستقيم الوزن وصوابه :

ولولا عطفة الابلال كنا
بنار الوجد نحترق احتراقا

وفى الصفحة الرابعة والعشرين يذكر البيت :

فرع سيحكي اصله وهو قد حكى
بمقاصد قد سددت وسلاح

فيعلق عليه بقوله « بالاصل : وقد حكى ولا يستقيم به الوزن فاصلحناه بما رأينا » .

والذي اقوله ان الاستاذ لم يصلح البيت فلا زال غير مستقيم الوزن الا اذا سكن الواو فى (هو) وعند ذلك يفقد البيت سلاسته وطلاوته . والآن دعنا نقرا البيت بهذه الصورة :

فرع سيحكي اصله ولقد حكى
بمقاصد قد سددت وسلاح

الا ترى اننا قداعدنا للبيت رقته وعذوبته ؟

وفى الصفحة ذاتها ورد هذا البيت :

سكنت ببيعة القلوب ولم تزل
تهفو من الاشفاق دون جناح

وصوابه :

سكنت ببيعته القلوب ولم تزل
تهفو من الاشفاق دون جناح

اذ لا مبرر للتنكير .

واخيرا يذكر الاستاذ فى الصفحة ذاتها ابياتا اولها :

هي بيعة احيى الانام بها
وسما بها دين النبي المصطفى

ولا ادري كيف ان الاستاذ قد فاتته الشطرة الاولى وهي غير مستقيمة الوزن . والآن لنقراها سوية بهذه الصورة :

هي بيعة احيا الانام بهاؤها
وسما بها دين النبي المصطفى

الا ترون معي ان هذا الوزن استقام وان الشطرة الاولى قد انسجمت مع الثانية ؟

هذه كلمة جاءت متاخرة ولكنها تبغي ازالة اللبس وزحزحة الغموض وما اجدر دعوة الحق بان تظهرها وهي مجلة الثقافة والفكر .

محمد محمود الجبوري

تربل فاس

في شعرنا المعاصر

بقلم: محمد الأمري المصموري

- 2 -

لعل أول عقبة تعترض الباحث في نشأة الشعر المغربي الحديث قلة المصادر التي لا غنى له عنها في بحثه ، فاكثر الشعراء الذين يمكن ان يسلكوا في البحث ليست لهم دواوين مطبوعة تساعد على بلورة مختلف الاتجاهات في نتاجهم ، كما تساعد على سبر مدى تطور هذا الانتاج من جهة ، واللحظات النفسية لمنتجيه من جهة اخرى ، ولا يكاد هذا الباحث يجد أمامه سوى ما نشر في الصحف والمجلات المغربية ، وبعض المجلات المشرقية ، ومنتخب الاستاذ القباج ، وبضعة دواوين لا تبلغ اصابع اليد الواحدة (1) ؛ وعبثا يحاول العثور على دراسة نقدية موجهة مطبوعة في كتاب او في شكل مقالات متسلسلة ، ويزيد في تعقيد المشكل الا يعثر على بعض النصوص لما نشر من شعرنا الحديث حتى في الخزانة العامة ! ومن ثم يبقى على القاريء الكريم ان يدرك اني لن اقدم له دراسة وافية كأوفى ما تكون الدراسة ، وانما هي ملامح محدودة بتحديد الامكانيات ، وسيسعها ان تزداد شمولا وعمقا يوم ان تنكشف المعجزة عن هيئة رسمية او غير رسمية يكون همها الاول التنقيب عن تراثنا الثقافي في مجموعه، وضمنه دواوين الشعراء المغاربة من قدماء ومحدثين، والعمل على طبعها ليكون بوسع الباحث والدارس تداولها هنا وفي كل مكان يشوق أهله ان يعرفوا عن ادبنا الشيء الكثير .

واذا كان الباحث في الشعر المصري الحديث مثلا يستطيع ان يعثر على تيارات ومدارس مختلفة لكل تيار سماته الخاصة ، ولكل مدرسة طابعها الخاص في فترات واضحة المعالم ، تمهد الفترة منها لتاليتها ، كما هي مرتبطة بسابقتها بوشائج تختلف قوة وضعفا ، فان الباحث هنا لن يكون بوسعه ان يرسم تيارات ومدارس دون ان يحتمل ذلك شيئا من التجاوز ، ومع ذلك لابد من تحديد فترات نلمس من خلال مدلولها التاريخي بعض السمات التيارية والمدرسية ، لان الواقع يشهد بانه اذا كانت هناك فترات ركود وانكماش ولواذ بالصمت المريع ، فان هناك اخرى نشيطة صاعدة لعلها كانت تسير بالشعر نحو الذروة والابداع ومسايرة الشعر العربي في باقي اقطار العروبة ، لو لم تعترضها عوائق ومثبطات يسهم فيها الاستعمار بأوفر نصيب ! فما هي هذه الفترات اذن ؟

انها مبدئيا : 1) فترة ما قبيل الحماية . 2) فترة الحماية نفسها . 3) فترة الاستقلال .

ولا غنى لنا مع ذلك عن تلمس تقطعات داخل كل فترة ، لان ذلك سيساعدنا على تلمس ما يمكن ان نسميه بتيارات الشعر المغربي المعاصر مع ما يحتمل ذلك من تجاوز .

1) **فترة ما قبيل الحماية :** قدر للمغرب ان يشمله عصر الانحطاط الادبي الذي عم جميع الاقطار الناطقة بالضاد ، ومضى وقت طغت فيه الازجال واشعار الملحون على الشعر الفصيح ، وبلغ من رواجها ان بعض رواد الشعر الفصيح لم يتاخروا عن انتحالها لما راوا من احتفال بها في جميع الاوساط ، ولا يكاد يطالعنا هذا القرن الذي نحن فيه حتى نجد طبقة من الشعراء يمكن ان تلحق بفلول المدرسة الاندلسية ، لان ما لدينا مما انتجوه لا يخرج في معظمه عن الاغراض القديمة للشعر العربي عامة ، في اطار يذكر بالنمط الاندلسي ، مع قصور عن شأوه في العبارة الرشيقة المعقولة ، والشفافية التي يمتاز بها اكثر الشعر الاندلسي ، والنغم الموسيقي الذي يبدو عند هذه الطبقة اقل تنغيما ، واكثر تنافرا ونشيجا لما قد يكتنفه من عبارات فقهية او مبتذلة او مثقلة بالمحسنات البديعية ، واكبر من يمثل هذه الطبقة او اشهر من يمثلها على الاصح **محمد غريط ، واحمد البلغيثي ، والبكري ، وعبد الله الفاسي ، ومحمد السليماني ، وبوعشرين ، وسكيرج ، واحمد الصبيحي ، ومحمد بوجندار ، واحمد النميشي ، وعبد الرحمن بن زيدان** ولابد من ان نسوق نماذج مما قال بعض هؤلاء للتدليل على ما ذهبنا اليه ، **يقول المرحوم محمد غريط في التغزل :**

---

1) هي فيما ينتهي اليه علمي : ديوان محمد مكوار . احلام الفجر لعبد القادر حسن . باقة شعر لعبد **المالك البلغيثي** .

ليت شعري ما الذي — اوجب هذا الصد كله
قد طال البعد حتى — صرت حيران موله
ومضى شهر فشهر — بعناه ولعله
املال وانعطاف — عن محب لم يمله ؟
ام دلال واعتزاز — عن محب قد اذله ؟
غاب دهرا مستطيلا — هكذا شان الاهلة

وللشيخ احمد بن المامون البلغيثي فى نفس الفرض « نسيب » :

بدت لي ترنو بالعيون الفواتر
ولكن لها فى القلب وقع البواتر
مهاة لها نفسي النفيسة اذعنت
وهل اذعنت يوما لغير الحرائر ؟
بها شغفي نام وفى ذل حبها
ارى عز قدري بين اهل المفاخر
رسول جمال قد دعت لجمالها
بآية سلب للنهى والخواطر
دعتنا فآمنا وانا لنرتجي
دواما على الايمان رفع الستائر
الى ان يقول :
واني ساع فى رضاها مسارع
اطارح بالاخبار عنها مسامري
واذكر من ايام انس بها مضت
كابهام ضب او كخطرة طائر
فيلدري دموعي من جفوني تذكري
ويذكي ضلوعي ما اكنت ضمائري

وللسليماني « الربيع » :

بزغ الصباح فقم بنا يا صاح
نقضي اويقات السرور
وبدت دواعي الانس فى الارجاء باهر السفور
واتى الربيع مبشرا
وهو المقدم فى الشهور
فالروض باكره الحيا
والغصن منظره نضير
بنواسم وبواسم
عنها النسيم اتى سفير
والطير قلد معبدا
يملي التواشي للحضور
وكانما زرياب علمه تلاحين البحور (1)

ولعل القارىء الكريم استطاع ان يلمس فيما سقنا من النماذج ما ذهبنا اليه من تاثر المدرسة الاندلسية مع مبالغة فى استعمال المحسنات البديعية التي ترعجنا بصنعتها وتعملها احيانا ، كما استطاع ان يلحظ تطفل الفاظ ليست شعرية على الاطلاق وربما مجها الذوق الفني (ابهام ضب ، تلاحين البحور ، يملي التواشي) وغير هذا مما لا يخفى على من يتمتع بمسكة من ذوق ادبي ، لكنا مع ذلك سوف نظلمهم اذا نحن لم نلتمس لهم بعض المعاذير التي جعلتهم كذلك، فبداية العصر الذي ظهروا فيه (الربع الاول من القرن العشرين) كان عصر انهيار سياسي وادبي فى المغرب ، ثم ان اكثرهم درس بالقرويين او غيرها من الكليات الدينية التي سارت على مناهج عتيقة وجامدة كل الجمود ، فالشعر يدرس لاجل اللغة ، واللغة تدرس لاجل فهم معاني القرآن والحديث ، وكان لهذا دون ريب ابلغ الاثر فى قصور هذه الطبقة عن الابداع ، وقد راينا ابن خلدون يعترف بهذا المبدا ويطبقه على نفسه فيقول لصديقه ابن الخطيب ، انه لا يجيد نظم الشعر لكثرة ما يحفظ من القوالب العلمية التي خدشت محفوظه من جيد الكلام .

واذا كانت النهضة المصرية التي تمتد جذورها الى حملة بونابرت على مصر سنة 1798 بدات تؤتي اكلها فى هذا العهد (اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين) حيث ظهر زعماء وطنيون ومصلحون دينيون واجتماعيون وعمت الطباعة وكثرت الجرائد

---

1) يرجع فى تراجم من ذكرنا من الشعراء ونماذجهم الى كتاب **(الادب العربي بالمغرب الاقصى) للاستاذ محمد بن العباس القباج .**

والمجلات كالوقائع المصرية ، والاهرام ، والجوائب لفارس الشديدق ، والمقتطف ليعقوب صروف والهلال لجرجي زيدان ، والضياء لابراهيم اليازجي (2) ؛ اذا كان هذا ما حدث في مصر ، فان المغرب كان آنذاك يجتا زمرحلة من اصعب مراحل تاريخه ، فمن تزمت وجمود ، الى تفكك شعبي ، الىدسائس اجنبية واطماع استعمارية تمثل الجشع الاوربي الذي جن جنونه للبحث عن مصادر للثروة في البلاد المستضعفة ، وضمنها مصر نفسها التي كانت قد تسلحت بوعي وطني ، وتطلع الى نهضة فكرية واجتماعية مما كانت له اليد الطولى في مقاومة الاحتلال الانجليزي في اطار الوطنية الواعية ، هذه عوامل كلها وكثير غيرها يجب الا نتجاهلها عندما نتعرض لحالة الشعر عند هذه الطبقة .

لكن النهضة المصرية لم يكن خبرها ليبقى بعيدا عن علم المغاربة ، بل بدات تتسرب الى المغرب كتب ومجلات مصرية بطريقة تجارية ، او بواسطة وفود الحجيج من المغاربة التي تمر على مصر عند الذهاب والاياب ، وفي ضمن هذه الوفود يكون عدد غير قليل من العلماء الذين يلاحظون ويلمسون في عين المكان النهضة المصرية الحديثة ، ويصحبون معهم عدة كتب ومجلات لاشك انها فتحت الاعين وهيأت التربة للبذار ، واذا اضفنا الى كل ذلك وقوع كارثة الحماية راينا شيئا جديدا يظهر في انتاج بعض هذه الطبقة من الشعراء المغاربة ، راينا شعرا وطنيا مبعثه الغيرة الدينية ؛ وهذه الظاهرة ستكون أول قطاعة نتناولها في فترة الحماية على التقسيم الذي اخترناه مقدما .

— يتبع —

(2) التعريف بالادب العربي لرئيف خوري ، في الادب الحديث لعمر الدسوقي) .



فسيفساء



الاستاذ محيي الدين المشرفي في كتابه :

الجديد في تاريخ المغرب

بقلم : ع . ب

نظرا لما احيط به ظهور هذا الكتاب من اعلان واسع ودعاية عريضة ، لان اسمه الجديد في تاريخ المغرب يوهم ان هناك حقائق ومعلومات تاريخية وقف عليها المؤلف نتيجة الابحاث العلمية والكشوف الاثارية فاودعها كتابه هذا ، ثم يكون المؤلف من رجالات التعليم البارزين — وهذا صحيح — وهو مشرف على مصلحة التعليم الابتدائي في وزارة التربية الوطنية — نظرا لهذا كله فقد تشوفنا لهذا الكتاب الفريد وسعينا جهدنا للاطلاع ، فماذا وجدنا ؟

وجدنا حقيقة ما بهرنا من ناحية الطباعة والاخراج فمن صور عديدة تاريخية والرسة ، ومن خرائط جغرافية واضحة الرسم والتخطيط ، ومن غلاف فني جميل ، الى غير ذلك . ولكن هذه العناية الفائقة بمنظر الكتاب لا تتوافق ومخبره الذي لم يحظ بشيء من عناية المؤلف ، فلذلك جاء قليل التحقيق ، وقليل المراعاة لابسط قواعد علم التربية الذي يعد المؤلف من رجاله النابهين .

واول ما واجهنا من ذلك تواريخ الحوادث في الكتاب ، فهي كلها بالتاريخ المسيحي لا يستثنى منها ولا حادثة واحدة ولو كانت اسلامية محضة ، لا تعلق لها بتاريخ المسيح عليه السلام . ولا يظن القاريء ان التاريخ المسيحي مصحوب بالتاريخ الاسلامي كما يفعل بعض اصحاب « الجديد » في البلاد العربية بل الواقع ان التاريخ المسيحي وحده هو الذي سجلت به الحوادث وصار الاكتفاء به عن تاريخنا الاسلامي العربي القومي ، وهذا في الوقت الذي ننتظر فيه ، ومعنا شعب المغرب كله ، من رجال الوزارة المسؤولين تعريب التعليم ، فكيف نوفق بين هذا العمل وما تقتضيه ابسط قواعد التربية الوطنية ، والذي يظهر لنا ان المؤلف حفظه الله اعتمد في كتابه على المؤلفين الاجانب ، وعلى رجال العهد البائد منهم بالخصوص ، ومما يفسر لنا ذلك هذه العناية الكبيرة بترجمة (المسلوخ) من ملوك الدولة السعدية الذي يسميه « مولاي محمد » والطريقة التي عرض بها استنجاده بالبرتغال لتثبيته على العرش مما تسبب في وقعة وادي المخازن الشهيرة ..

هذا في حين ان عمه المعتصم واباه الغالب لم يحظيا بكلمة واحدة من المؤلف ، تماما كما لو قيض لمؤلف كتاب جديد في تاريخ المغرب غدا ، وكان من المعتمدين على هذا النوع من المؤلفين الاجانب ، فاننا سوف نجد عنده ترجمة وافية (لمولاي محمد بن عرفة) ومشروعية بيعته ، بينما لا نجد الا قليلا جدا من المعلومات عن محمد بن يوسف . ولا اطيل في هذا الباب وانما مرادي ان انبه على ان التاريخ القومي لاي بلد من بلاد الله لا يكتب بالاعتماد على خصومها .

اما من ناحية التحقيق فيؤسفنا ان نقول ان الكتاب مليء بالمعلومات المغلوطة مما لا يوقع فيه الا الضعف الشديد في المادة او السرعة الكبيرة في اخراج الكتاب الذي هو وان كان كتابا ابتدائيا صغيرا فلابد له من صبر المؤلفين . ونشير الى بعض هذه الهفوات غير مستوعبين لها ، فاليهود من سكان المغرب هم

لاجئون من (فلسطين) ؟ او الاندلس ، والكاهنة البربرية التي حاربت الجيش الاسلامي (تستشهد) كما استشهد (ايرو) ويوسف بن تاشفين بسط نفوذه التام على الشمال الافريقي من (تونس ؟) الى اقصى بلاد الصحراء ، وعبد المؤمن يقاتل ضد (رومان) صقلية ويخرجهم من المهدية ويمتلك جزر (هكذا بالجمع) البحر الابيض المتوسط . وابو يوسف المريني هو مؤسس الدولة المرينية ، والمدرسة المصباحية من بناء ابي الحسن المريني، وهي اية في الصنع والابداع؟. وبنومرين هم منظمو حروب القرصنة في المغرب. ومؤسس دولة الوطاسيين هو تارة ابو زكرياء الوطاسي وتارة ابو يحيى ، واصل الدولة السعدية من قبيلة بني سعد السوسية وفي مرة اخرى الصحراوية . ونسبة الملوك العلويين الى علي بن ابي طالب ، الخ الخ .. هذا الى ان دولتي مغراوة وبني يفرن لم تذكرا فيه البتة ..

نظن ان هذه الهفوات اكثر من ان تحتمل في تاريخ مدرسي ابتدائي ، ونحن لم نتتبعها هي والعبارات المهلهلة والاسلوب الانشائي الضعيف الذي يكفيك منه ان تقرا في اول الدرس 25 لفظة (الازمةالمغربية) بتشديد الميم كما ينطقها بعض العامة ، ولهذا فاننا ننصح للمؤلف ان يعيد النظر في كتابه او ان يطلع عليه من يراجعه ويحرره لا من يقرظه ويصدره من دون ان يطلع عليه . ونحن آسفون لهذا التعليق ولكن مصلحة البلاد والغيرة على النشء المغربي ، والعلم ، اولى من كل اعتبار .



مسجد « اياصوفيا » باستمبول ـ تركيا

العدد الماضي في الميزان

الأستاذ ابوطاهر اليطفتي

ان نقد مجلة بها آثار كتاب وشعراء عديدين ، ووضعها في كفة ميزان يعتبر مسئولية جسيمة يهون امامها نقد شاعر او كاتب بالذات . ولكن ما العمل مع « دعوة الحق » وهي المجلة المغربية التي ظهرت الى الوجود لتسد فراغا في عالم الدراسات الاسلامية وشؤون الثقافة والفكر من جهة اخرى ؟ ! بل ما العمل مع محررها الفاضل الاستاذ عبد القادر الصحراوي الذي شاءت الاقدار ان اتعرف به من خلال تموجات الهاتف ، بعد ان تعرفت اليه في كتاباته ، وان اعطيه وعدا لاحتث فيه لوضع العدد الماضي في الميزان ؟ !

*

والحقيقة ان «دعوة الحق» في عددها الخامس وفي شهر ببراير 1959 حملت الى القراء الكرام ابحاثا قيمة ، وانتاجا مباركا لا يشك احد في صلاحيته . وما كان الوقت القصير لوزن « العدد الماضي » ليعوقني حتى عن قراءة « العدد الماضي في الميزان » لزميلي الاستاذ محمد العربي الخطابي ، ولكن بعد فراغي من « عملية الوزن » .

*

يطالعك قلم التحرير بكلمة رصينة ، ودعوة صادقة لعلماء الدين في المغرب — وفي مقدمتهم علماء جامعة « القرويين » و « ابن يوسف » والمعاهد التابعة لهما — للقيام بواجبهم في الاصلاح الديني والدراسات الاسلامية ، كما قام به العلماء في الماضي احسن قيام فساهموا لا في نصرة الدين الاسلامي وتدعيمه فحسب ، بل في رقي البشرية والعقل الانساني والثقافة والحضارة على وجه المعمور . وعلى علمائنا الا يكتفوا من بعيد بالمراقبة والملاحظة والحسرة والحكم على اعمال الناس . وهذه المسؤولية العظمى امام الله والوطن والتاريخ لا يتحملها علماء الجامعتين الدينيتين فحسب بل كل مثقف يمكن ان يقدم لبلاده ثمرات حكمته ، ونتائج تجربته ودراساته . وقد يعتذر البعض عن ذلك بالوظيفة والتدريس ، ولكنه لا يجمل بهم ان يبقوا على قارعة الطريق متفرجين ، ملاحظين اعمال من يخوضون المعركة بحزم وثبات ، ومواظبة واجتهاد . . .

وان لعلمائنا الاجلة اسوة حسنة بالاستاذ ابي الاعلى المودودي الذي يحدث الشرق والغرب على صفحات الكتاب والمجلة الراقية عن اسرار الاسلام وعظمته وناهيك بموضوعه المنشور بمجلة « دعوة الحق » وقد استلهمه من رسالة احد اصدقائه في شأن حديث « من قال لا اله الا الله دخل الجنة » ، فيجيب بروح مسلم مطلع ، يفهم اسرار القرآن ونهج النبوة ، باسلوب ينم عن غيرة وفهم دقيقين ، ويدعم آراءه القوية باحاديث نبوية يوجه فيها الخطاب الى اشخاص بعينهم ، واحاديث تبين ما للمسلم من الحقوق الدستورية ، واحاديث موجهة الى نخبة من صحابته الكرام الذين كانوا يساعدونه في القيام بواجبات الرسالة وتعميمها في العالم . ويقرر العالم الفاضل ان المسلم عليه أن يتوفر على صحة العقيدة بالتوحيد ورسوخها واستحكامها .

*

والاستاذ محمد الطنجي في (الموارد المالية في دولة الاسلام) يطرق بحثا دينيا طريفا يسبغ عليه آراءه المبنية على الدقة واستيعاب نصوص العلماء في الموضوع.

على انه كان موفقا في كلمته التي يوجهها ـ في موضع آخر ـ الى المسيحيين واليهود الذين اسلموا (تتعلق بشهادات الاسلام التي بأيديهم) والى (قضاة المحاكم الذين يكتبون وثائق شهادات الاسلام لمن يكرمه الله بهدايته) . الا ان الاستاذ ـ بحكم وظيفته ـ اذا اراد تعميم نسخة ما يكتب ، فله ان يصدر مطبوعا يجده القاضي تحت يده عند الحاجة ، ولا بأس بترجمته الى اللغات الحية ، ليفهمه الداخل في الاسلام فهما كاملا صحيحا .

*

وارحب بصوت الاسلام في فنلاندة ، للاستاذ حبيب الرحمن شاكر ، الذي يتحدث عن الجالية الاسلامية في فنلاندة وروسيا ، ويعطينا فكرة عن تاريخهم واحوالهم . وان صوتنا من فنلاندة يتردد في سماء المغرب الاقصى وبلاد المعمور على صفحات « دعوة الحق » له اثره في نفوس المسلمين قاطبة . وسوف لا تعفي الاستاذ حبيب الرحمن من اتحافنا بين الفينة والاخرى بما نجهله عن اخواننا واحوالهم في فنلانده . .

*

اما الاستاذ محمد العابد بن عبد الله الفاسي في بحثه عن ابن عبد الملك المراكشي ، فقد وفق ـ كباحث منقب ـ الى اقصى حدود التوفيق ، على أن جدة الاسلوب والتشويق كانا من العوامل التي تحبب قراءة البحث الى نفوس القراء . والاستاذ العابد الفاسي يعطينا معلومات طريفة عن هذا العالم الجليل ، يعجز الكثير عن الوصول الى تلك الغاية .

*

ان (المغرب الحائر بين الوطنية والقومية) موضوع طرقه بعناية ودقة الاستاذ ادريس الكتاني ، استهله بكلمة عن الوطنية الضيقة ، ثم انطلاق الثورة العربية في العالم العربي « لتقيم اساسا جديدا للقومية الفسيحة الآفاق ، مكان الوطنيات الاقليميات الضيقة ... » ثم يتساءل : ترى ، ما هي المرحلة التي نجتازها نحن اليوم في المغرب المستقل ؟ وهنا ـ حقا ـ يبدو السيد ادريس كاتبا مغربيا عربيا اسلاميا ، فيتحدث عن مشاكلنا بصراحة لا تعرف النفاق . وهو نفسه يقول ان الشعب المغربي لم يعرف الوطنية الضيقة في حياته منذ عرف الاسلام ، وآمن به دينا . . .

ولاننسى ان يعرف مدلول هذه الوطنية عند الغربيين ، وخصوصا المعتدين على الشعوب الاخرى . .

وهكذا يتسلسل موضوع الكاتب الى « القومية العربية » الى ان يحصل على النتيجة الآتية : « ان اللغة العربية هي الرابطة الاولى التي تجمع بين شعوب القومية العربية ، وليس الجنس او الدم العربي » . ثم يتطرق الى نظرة الاجانب الى العربية ثاني يوم لاعلان الاستقلال ، ونظرتهم فيما بعد اليها . وقد اثار السيد ادريس الكتاني حقيقة ثابتة لا تقبل الجدل والمناقشة .

ويسرني ان أحيي الاستاذ ادريس الكتاني على بحثه الطريف الذي بدا عرضا متقنا ، وفي اسلوب بديع لا اثر للشك والارتجال فيه من مقدمته الى صلبه فخاتمته .

*

هذا ، وان المتتبع لآثار العالم عبد العزيز بن عبد الله لا يشك في قيمتها ، على أن هذا لا يمنع السيد محمد الغربي من ان يتعقب جوانب بحثه بالشرح والرد . ولكنني لا اوافق الاستاذ الغربي على سؤاله : ما الفرق يا ترى بين اللغة وبين المظاهر الفكرية ؟ لان الاستاذ بنعبد الله ـ كما يظهر ـ قد ابرز اهمية اللغة بذكرها ، ولو انها ـ فعلا ـ مندرجة ضمن المظاهر الفكرية ؛ لان اللغة العربية اهم رابطة بين أمم العروبة عامة ، والمغرب العربي خاصة . على أن التوفيق لم يخطىء الاستاذ الغربي في الحقائق التاريخية والجغرافية والانتروبولوجية التي اضافها . وعندي ان البربر والعرب قد صهرهما الاسلام في بوتقة واحدة ، فلم يعد في المغرب بربري ولا عربي ، وانما هناك مواطن مغربي دينه الاسلام ، ولغته العربية ، وامجاده امجاد بلاده في عالم العروبة والاسلام .

*

يعالج ـ بعد ذلك ـ الاستاذ السائح موضوعا ادبيا دقيقا وقد استطاع ان يحصره حصرا في تاريخ الادب المغربي . على انه مر مر الكرام على ادب الرحلات ، ذلك الفن النثري الذي يثبت كاتبه التاملات ، والمفاجآت والانطباعات في اسفاره البعيدة . ولا اكون مبالغا ، اذا قلت ان بحث الاستاذ طريف وممتع ، ارجو ان يتبعه بدراسات حول القصص التي ذكرها على الاقل

لتكون الفائدة اعم . على انني لا اوافقه فى نظرته الى محاولات شبابنا فى كتابة القصة ، وان كنت متفقا معه فى كتابة المسرحية . وكل محاولة من هذا النوع يجب ان تلقى التشجيع الصادق ، والا انصرف عنها اولئك الشباب العاملون آسفين آيسين ...

❊

ويروقني ان اهمس فى اذن الاستاذ ابراهيم حركات أن اللغة العربية بخير ، وانها ليست وحدها فى العالم الانساني ذات مشاكل ، حتى تستحق كل هذه الصيحات المدوية ... ثم ما فائدة كتابتها باللاتينية ؟ وكيف نقترح يا اخي فى « مشكلة المثنى » و « الفاعل » و غيرهما ؟ أننطق بهما على الدوام بالالف والنون ؟ ما مصير القرآن حينئذ ؟ اترانا نفهمه وقد تصرفنا فى هيكل الفاظه ! بل ما مصير تراث آبائنا واجدادنا الاماجد ، الذين صنفوا وابدعوا ما شاء لهم الابداع والتصنيف ؟ ! ان المقارنة التي عقدتها – يا اخي – بين طالب الشهادة الابتدائية وهو يتلو العربية وبين زميله وهو يتلو الفرنسية لا ترجع للغة بالنسبة لهذا ، بل ترجع للمعلم المكون تكوينا بيداغوجيا صحيحا ، وللكتاب الذي بيده وقد اعد اعدادا صحيحا ... ويوم نرى جميعا ذلك . المعلم المنشود ، وذلك الكتاب المفيد ، سيصبح حديث « مشكلة اللغة العربية » حديث خرافة ! ! على انني مع هذا اقدر للاستاذ ابراهيم حركات ، وهو المربي الفاضل ، والمؤلف العامل فى ميدان التعليم هذا البحث الذي سطره على صفحات مجلة « دعوة الحق » ورائده الاخلاص والغيرة على اللغة العربية والتخوف على مصيرها . وان رايي يرتكز على ان امثال هذه الآراء لا تقابل بالاعراض ، وانما تؤخذ بعناية لدى جميع المعتزين بالعربية ، وخطبها ، وآدابها ، كما ان آراء المعتزين بالعربية يجب أن تبرز رصينة ، وعلى الاولين الا يعتبروها « رجعية » !

❊

بعد هذا ياتي دور صديقي الاستاذ اللمتوني ، والحقيقة انني اعرف اللمتوني شاعرا ، واود ان اراه على الدوام شاعرا مغردا صداحا ، ولكن « الجسر » خطوة موفقة منه فى فن القصة ، وقد ابى الا ان يجعل من الخيال حياة اجتماعية متحركة ، وحاول ابراز نفسية اشخاصها ، فمزج الفكاهة بالاجتماع فى سرد وسياق لا يمجهما القارىء . وما دامت الحلقة الاولى تليها حلقات ، فاننا لا نعرف كيف يحل العقد ، وكيف تشتبك مصالح الابطال على مسرح الحياة الفسيح فلننتظر ...

❊

وها هو الشاعر محمد الحلوي فى « ابو الثلج » يمجد الاطلس الجبار ، ويابى الشاعر الا ان يطير الى ارض النيل ، ليتحدث الى ابي الهول ، وقد شمخ بانفه، ومن اين له بالانف ، وقد طوحت به الايام ؟ ! ولا كذلك الاطلس الذي يكسو الثلج هامه وقممه الشامخة منذ الازل ... ويابى كذلك شاعرنا الا ان يتغنى بجمال الاطلسيات ، اللذي يترفع عن البرقع الخداع ... وتابى « الانانية » الشاعر الا ان تجلب «الفظار» الاطلس اليه ، لانه شاعر ! وما درى ان الاطلس حدث – ولا يزال – امم الشرق والغرب عن عظمة ابنائه ، وعن رسالة الاخاء والسلام التي ادوها كاملة فى الماضي ، والتي سوف يؤدونها – ان شاء الله فى المستقبل ... حتى لا (يدري الاوائل أن ما بنوا من فخار ضيعته الاواخر) ... ان الشاعر الحلوي كان موفقا جدا فى رائيته هذه ، وان مما زانها هذه الروح الوطنية المغربية ، وهذه النظرة التي امتدت من اعلى قمم الاطلس حتى اتصل شعاع نظره بابي الهول فى الاقليم المصري بالجمهورية العربية المتحدة ...

❊

وهكذا ياتي بعده الشاعر احمد البقالي ، فيهجر الاسباب والاوتاد ، وينطق هاتفا : (هل تذكرين) ؟ ، وانه من غير شك ستمد (بوري) يدها ، وستتذكر الاريكة والظل ونور الياسمين ... وستخبرك – على اي حال – لمن تبتسم ! ومن تبصر فى المنام! وأؤكد كذلك ايضا انها لن تنسى البحر والامواج والمتفرجين ، واكذوبة « الشوك اللعين » ! وهنا اهمس فى اذن صديقي البقالي ، وبي ما به من فضول الشباب : اي شاطىء كان ذاك ؟ اشاطىء الاسكندرية أم طنجة أم مرتيل ... ؟ !

❊

ان انطلاقة القارة الافريقية لاشك فيها ، فبعد ليبيا المغرب، وتونس، وافريقيا السوداء، والجزائر المجاهدة.. فهذه الاصوات – اصوات من افريقية – لا شك فى حراراتها وقوتها ، وفى جلجلتها ... على ان الاستاذ مصطفى المعداوي يبعثها الى سمع الدنيا من افواه

الركب الفجري ، وافريقية نفسها ، وينطق الفراشات العابرة ، والفلاحين الشباب ، وملاك النصر ، والركب العائد ، والجندي المجهول ... ونطلا اخترقت المهج ، وسرت مع الدماء سريان الكهرباء في الاسلاك ، واضاءت النفوس بنور الوطنية والانطلاق اضاءة المصباح والنبراس ...

*

وقبل ساعات معدودة اكدت لصديقي الاديب محمد الصباغ انه هو ، ولم يعد هناك مجال لان يقول : (لست انا ...) !!

لقد قال لي كما قال لكم : ان كلماته التي نقراها بخار كثيف يحجبه عنا ، ويحاول اغراقنا في غدير حروقه ، وساقية مقلته ! ... حنانيك يا صباغ ! فما عدا مما بدا ؟! ما هكذا الظن بك ؟! لقد رايناك في « شلال الاسود » انسانا مثاليا ، فما الذي ادناك الى الاثرة والانتقام ؟!!

ثم انك قبل ان تطيش الينا ـ على ارجوحة القمر ـ في شرفات النجوم تيقن من صداقتنا وحبنا ! ومن العيب الفادح ان النجوم تغمزك ، والله يقول : « ويل لكل همزة لمزة ... » !

ان الاديب محمد الصباغ كان رائعا حقا في مقطوعته الجميلة ... ومما يحببها الى النفس هذه الالفاظ المشرقة التي تتراقص امام عين القارىء واضحة جلية ...

*

وفي هذا العدد من مجلة « دعوة الحق » يعرض علينا الاستاذ عبد الهادي التازي « روبورتاجا » عن مؤتمر ادباء العرب بالكويت ، وهو وصف شامل شيق لتلك السوق الادبية التي تمثل فيها الاتحاد العربي ، والتقى فيها ما يقرب من مائتي أديب وكاتب وناشر .. والرجاء من الاستاذ التازي ان يزيدنا من حديثه الممتع عن المؤتمر في فرص اخرى ، على صفحات هذه المجلة نفسها ...

اما في (باب النقد الادبي) فياتي اثر الاسلام في شعر الاخطل للاستاذ محمد سليمان الزرابيني مشاركا السيد محمد براوة فيما كتبه في عدد دسمبر في « دعوة الحق » . والاستاذ الزرابيني قد توصل الى نتائج دراسية ملموسة، تتسم بالارتكاز والتسلسل.

*

اما في (باب مطالعات وآراء) فيتحدث الاستاذ محمد بناني عن كتاب « خل وبقل » للاستاذ عبد الله كنون ، ويتعرض لبعض جوانبه وجزئياته . وياليته قد انتقده بعناية تامة شاملة ، لتكون الفائدة أعم ، وعسى ان يفعل الاستاذ بناني فيما يستقبل من الايام..

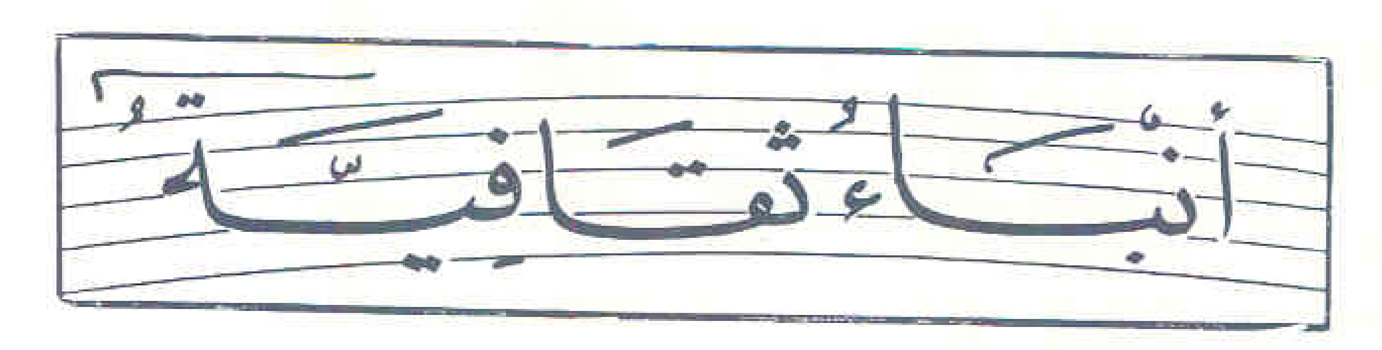
*

وفي نفس الباب نرى صديقنا الاستاذ عبد السلام الهراس ، ذلك الشاب المثالي ، يتحدث عن الفيلسوف مالك بن نبي في كتابه (شروط النهضة ومشكلات الحضارة) ومن يتحدث عن مالك وآثاره غير تلميذه البار السيد الهراس ، وقد عرفنا بشخصية هذا الرجل تعريفا صادقا ، نرجو ان يتابع عمله المثمر ، ليتسنى لشباب العرب عامة ، والمغرب العربي خاصة الانتفاع بفلاسفة الاسلام المعاصرين ، ورجاله العاملين .

واذا كان لابد من التنويه ، فلقلم التحرير الذي اخذ هذا العدد من اهتمامه ، وتنظيمه ما لا ينكره الا الجاحد ، وعسى ان نرى ابوابا اخرى يكتب فيها أصحابها بنفس الروح الوثابة .

*

وهكذا انهيت هذا العدد من مجلة « دعوة الحق » وقلبي مفعم بالشوق الى قراءة العدد السادس منها لا لوضعه في الميزان ، بل للاستفادة ، وقضاء اوقات سعيدة مع اولئك الجنود المجهولين الذين يعملون آناء الليل واطراف النهار لخدمة الثقافة والفكر ، وشؤون الهداية والاسلام .



※ كتب الدكتور صلاح الدين المنجد بعد زيارته الثقافية للمغرب مقالا في مجلة « العربي » الكويتية بعنوان « انا قادم من المغرب ـ البلاد المباركة » تكلم فيه عن انطباعاته عن المغرب بروح تحمل الخير والتقدير لهذه البلاد التي اكرمت وفادته . وقد ختم هذا المقال بالحديث عن المخطوطات الموجودة في مكاتب المغرب ، وعن الاهمال الذي لحقها قائلا « ... **ولكني شعرت بالحزن العميق في المغرب الضاحك مرتين : مرة ، عندما رايت مئات من المخطوطات العربية النادرة تنهافت ، وتتساقط اوراقها من الارضة والغبار والاهمال . ومرة عندما زرت قبر الملك الشاعر المعتمد ابن عباد في اغمات . فما وجدت سوى كومة احجار** »

ولا يجدر بنا ان نترك تعليق الدكتور المنجد ـ الذي كتبه بدون شك عن حسن نية ، وعن غيرة ـ يمر دون ان نعقب عليه ، ونحن احرص الناس على تراثنا من ان تعبث به ايدي الاهمال والنسيان . والمعلوم ان جميع المخطوطات الموجودة في المكاتب العامة ـ على كثرتها ـ كالمكتبة العامة بالرباط ، ومكتبة القرويين بفاس ، والمكتبة العامة بتطوان وغيرها من المكاتب مصونة ومحفوظة ومفهرسة ، بعضها في فهارس مطبوعة ، والبعض الآخر في انتظار الطبع . فالمكتبة العامة بالرباط لها فهرس المخطوطات مطبوع ، كما ان فهرس مخطوطات المكتبة العامة بتطوان منسق في جذاذات ـ فيش ـ وكذلك الشان في مخطوطات مكاتب المعاهد الاسلامية في جميع مدن المغرب . اما مخطوطات المكاتب الخاصة التي زارها الدكتور وادار تعليقه عليها فاصحابها هم المسؤولون عنها . اما فيما يرجع لمخطوطات مكتبة ابن يوسف بمراكش التي نشر صورة عنها في نفس العدد ذاكرا ان البلى اصابها فاصبحت كوما تعج فيها الارضة ولاتقوى على التماسك فالدكتور يعلم ـ مسبقا ـ ما كانت عليه الادارة الاستعمارية في المغرب ، وما كانت تقوم به من العمل المزري لمحو تراثنا العربي ، ومقدساتنا القومية لا في مخطوطاتنا فحسب ، بل في كل جانب من جوانب حياتنا الخاصة ، فقد كانت ابعد اثرا من الارضة تقضما وفتكا ، ومحوا ، وتخريبا . فالذنب ذنب ارضة الاستعمار ، وما تركته هذه الارضة من تركة نخرة ، مسوسة رثة يعمل اليوم المسؤولون من ابنائها على غربلتها ، وتصفيتها ، وبعث الحياة الجديدة فيها شيئا فشيئا مبتدئة بالاهم فالمهم ... واننا على علم بأن القائمين على المخطوطات العربية في مكتبة ابن يوسف بمراكش يوالون اهتماما كبيرا في تنظيمها وتنسيقها ، وكتابة فهرس لها ، كما اننا على علم بأن حضرة الدكتور لم يزر جميع المكتبات العمومية في المغرب ليطلع على جميع مخطوطاتها ليستقيم عنده الحكم اخيرا لها او عليها ، بل انه اكتفى بالكلام عن جانبها المهمل فحسب. فلم يزر مثلا المكتبة العامة بتطوان التي تحتوي على عدد كبير من المخطوطات التي كان سينشرح لها صدر الدكتور .

اما قضية الاهمال الذي يلحق منذ قرون بضريح الشاعر المعتمد بن عباد في اغمات فهي حقيقة مرة آن الاوان لنثيرها امام المسؤولين ، والادباء ، والمثقفين والغيورين على سمعة تراثهم ومقدساتهم من ابناء هذا الوطن . وانه والحق ، لعار واي عار ان يظل قبر المعتمد مهملا الى هذا الحد ، تمر عليه الاحقاب الطوال ، وتترى عليه القوافل المعجبة بشاعرية صاحبه من اجانب وعرب ، وفيهم الشاعر ، والكاتب ، والناقد ، والفنان ، والمؤرخ ، ولا من يقوم باصلاحه وترميمه . وقد ادرك نفس الشاعر الخالد هذا الاهمال الذي سيلحق بقبره فقال قصيدة في هذا المعنى قبل ان تحضره الوفاة وامر بأن تكتب على ضريحه :

قبر الغريب سقاك الرائح الغادي
حقا ، ظفرت بأشلاء بن عباد

كما ان لسان الدين ابن الخطيب لاحظ بحسرة هذا الاهمال الواقع بقبر الشاعر عندما زاره فى سنة فى سنة 771 هـ فقال فيه قصيدته الشهيرة :

قد زرت قبرك عن طوع باغمات

رايت ذلك من اولى المهمات

وكذلك حج الى قبره ايضا احمد المقري سنة 1010 هـ وقال : ان القبر قد عمى عليه فلم يهتد اليه حتى سال شيخا طاعنا فى السن فارشده اليه .

ان الغيرة على تراثنا لتملأنا حرارة وحماسة لان نوجه الدعوة للقيام بترميم ضريح المعتمد فى حفل كبير يضم جمهرة كبيرة من الادباء والمؤرخين وغيرهم من رجال الثقافة فى المغرب ، استجابة لنداء الامانة ، واعترافا بجميل التراث – تراثنا ، ولنوجه هذه الدعوة الى المسؤولين من رجال وزارة التربية الوطنية الذين ولا شك انهم سيحتضنون هذه الفكرة ويعنون بها فيؤلفون لجنة من رجال الآثار والشعراء والتاريخ لتنفيذ هذه الفكرة .

* تيمنا بيوم 2 مارس المقبل ، وهو يوم ذكرى استقلال المغرب ستبدأ الوكالة المغربية للاخبار فى الرباط عملها تحت ادارة الاستاذ النشيط المقتدر السيد المهدي بنونة . وتعد هذه الوكالة هي الثانية من نوعها فى العالم العربي .

* ستصدر جمعية « العين السوداء » للرسامين المغاربة بالرباط مجلة شهرية تعني بالحركة الفنية فى المغرب وبنشاط جمعيتهم .

* اكتشف السيد احمد بن الطيب الوزاني كهفا بناحية جروان الشمالية ويقول مكتشفه انه من بقايا العهد الحجري بالمغرب بناء على ما تشير عليه احجاره ونقوشه وتماثيله البدائية .

* مثل المغرب فى مؤتمر الشبيبة الافريقية والاسيوية الذي انعقد اخيرا فى القاهرة السادة : الطيب الفيلالي ، وعبد القادر اواب ، وادريس السغروشني ، وعبد الكريم الفلوس ، وعبد الحكيم قديرة .

* اصدر السيد احمد زكي بوخريص مجلة اطلق عليها « الشباب المغربي » فندعو لها بالرواج والازدهار .

* اصدرت جمعية بناة الاستقلال كتابا بعنوان « طريق الوحدة » حافلا بالصور والمقالات التي تسجل تاريخ طريق الوحدة والروح التي انبعثت منها الفكرة ورافقتها فى مراحل تنفيذها حتى انتهت بتوحيد الشمال والجنوب .

* اصدر نادي المعلمين بالرباط صحيفة بعنوان «رسالة المعلم» فندعو لها بالتوفيق فى اداء رسالتها التربوية .

* صدر بتطوان العدد الحادي عشر من مجلة «تمودة» التي تصدر بالاسبانية كل ستة اشهر . وقد ساهم بابحاثهم فى هذا العدد الاساتذة : مريانو اربياس ، وخوسي فراد يخاس ، ومياس فييكرسا ، وليونور مرتينيث مرتيتن ، ومغيل طراديل ، ودورا باكايكوا ، وكيبرمو كواسطافينو واحمد المكناسي والى جانب الدراسات والابحاث يشمل هذا العدد على فصلين احدهما لنقد الكتب والثاني لانباء الثقافة بتطوان . وتضم مجلة «تمودة» ملحقا بعنوان «كتامة» وهي مجلة تعني بترجمة الشعر العربي الى الاسبانية الى جانب اهتمامها بالشعر الاسباني ونقله الى العربية . ويشتمل القسم العربي من هذا العدد على قصيدة ماكس اوب ترجمها الى العربية الاستاذ عبد اللطيف الخطيب ، وقصيدة « الطين » لايليا ابي ماضي نشرت احتفالا بذكراه ، ومختارات من شعر خوان رامون خيمينث ترجمها الى العربية محمد الصباغ ، وقصيدة لشفيق بلعاوي من لبنان وترجمة لقصيدتين لبول ايلوار .

* بمناسبة الذكرى الثانية لعيد المرأة التونسية الذي احتفل به مؤخرا بتونس فان الهيئة المركزية للاتحاد القومي النسائي التونسي خصص جائزة قدرها خمسون دينارا لمن يفوز من الشعراء فى هذه المسابقة .

* احتفلت مجلة « فتاة المغرب العربي » بتونس بقرب موعد صدورها ، فاقيمت حفلة بهذه المناسبة جمعت كثيرا من الادباء والمفكرين ورجال الصحافة ، والقيت فيها كلمات وقصائد لطيفة ترحيبا بصدور هذه المجلة .

* افتتحت جمعية الاتحاد المسرحي بسوسة – تونس سلسلة محاضراتها لهذا الموسم قام بالقائها مختصون فى المسرح وثقافته .

※ ستصدر بتونس مجلة شهرية باللغة العربية تعنى بشؤون الفكر والفن بتونس وبالخصوص فى ناحية التصوير .

※ استحدثت فى تونس جائزة موسيقية جديدة باسم «جائزة حليمة» وذلك تخليداً لاسم الفنانة التونسية التي فقدتها تونس اخيرا ، والتي خدمت الفن الغنائي التونسي الصميم اجل خدمة ، وكان لها فضل احيائه .

※ بلغ عدد الاتفاقات الثقافية بين الجمهورية العربية المتحدة والدول الاسيوية والافريقية 15 اتفاقية وذلك عدا الاتفاقيات الثقافية الدولية المشتركة .

※ ظهر فى مصر كتاب « نظرات على عالم اليوم » لمؤلفه الرئيس تيتو ، قام بترجمته الى العربية الاستاذ عبد المنعم حسين .

※ امضى اصحاب الصحف فى الاقليم المصري على عقد لانشاء شركة فى القاهرة تحت اسم « الشركة العربية للتوزيع » مهمتها توزيع الصحف والافلام السينمائية والكتب خارج الجمهورية العربية المتحدة .

※ سيحتفل بالقاهرة فى شهر يوليو المقبل بذكرى شاعر الاقطار العربية خليل مطران .

※ عقدت اخيرا اتفاقية ثقافية بين الجمهورية العربية المتحدة وايطاليا .

※ صدر عن لجنة البيان العربي مجموعة من الكتب التي اخرجتها اللجنة لمشروع الالف كتاب . ومنها كتاب « اهرام مصر » لادوازدزو « الحياة العامة اليونانية فى اثينا فى القرن الخامس » لربكرن و «الصحراء لجوتيه » و « مصر ومجدها الغابر » لمرجريت مري و « اسيوب » لوينتل وغيرها .

※ وصل الى القاهرة اخيرا الاستاذ ب.م. لارابير موفودا من منظمة اليونسكو للعمل فى مركز الاجهزة العلمية الملحق بمعهد البحوث القومي بالقاهرة .

※ صدرت مؤخرا بالقاهرة الكتب الآتية : «الوسائل التعليمية فى العلوم الرياضية » للدكتور ابو العباس اسس التصوير الضوئي العلمية والعملية ـ لعبد الفتاح رياض « العالم من حولنا ـ ما نراه منه وما لا نراه » بقلم اديث راسكين وترجمة الدكتور احمد ابو العباس « تراث فارس » بقلم جماعة من المستشرقين المختصين باشراف آربري مترجما باقلام جماعة من المختصين تحت اشراف الدكتور يحيى الخشاب « ابو مسلم الخرساني » للاستاذ محمد عبد الغني حسن « مدخل الى علم النفس الحديث » لزانجويل وترجمة الاستاذ عبد العزيز توفيق جاويد « جامع البيان عن تاويل آي القرآن » ج 4 . حققه الاستاذ محمود محمد شاكر « تحفة الفقهاء لعلاء الدين السمرقندي » حققه الدكتور زكي عبد البر « سيف الله خالد » للصاغ محمد فرج « ابطال الوحدة السورية المصرية فى الحروب الصليبية » « مباديء الجمال » لشارل لالو وترجمة الاستاذ مصطفى ماهر « المدخل الى التربية التجريبية» للدكتور عبد الله عبد الدائم « تاريخ التمدن الاسلامي» للمؤرخ جورجي زيدان « الخائفة » بقلم لويس فريمان وترجمة الاستاذ صالح القمراوي مع مقدمة للدكتور عبد العزيز القوصي ، قصة « منزل فى الميدان » لكازا كيفتش ترجمة الاستاذ ابراهيم عامر « الثقافة واجهزتها » للدكتور محمد مندور .

※ يقوم الكاتب الجزائري جاك عارف بترجمة اربعة قصص ليوسف السباعي الى الفرنسية وهي : « اني راحلة » و « السقامات » و « طريق العودة » و « رد قلبي » .

※ نعت الاسكندرية شاعرها المبدع عبد الرحمن شكري .

※ اصدرت وزارة التربية والتعليم للجمهورية العربية المتحدة قرارا يقضي بعلاج الادباء المرضى بالمجان للذين لا يستطيعون تسديد نفقات مرضهم . وقد اصبح ينفذ هذا القرار حيث عولج على نفقة الدولة الاديب صبحي الجيار .

※ صدر بالقاهرة طابع بريدي يحمل صورة الفقيد الدكتور محمود عزمي كذكرى لاعلان حقوق الانسان . ومن المعروف ان الدكتور محمود عزمي سقط شهيدا فى قاعة الامم المتحدة وهو يدافع عن حقوق العرب .

※ فاز بالجائزة الاولى فى المسابقة السنوية التي يعقدها نادي القصة بالقاهرة للناشئين محمد

حسين عبد الله وهو طالب بكلية دار العلوم كما فاز بالجائزة الخامسة حسن عبد الفضيل الطالب بكلية الهندسة وفاز باحدى الجوائز صبحي الجيار وهو كاتب قصصي ورسام .

✻ وقع العثور في طرطوس على تمثال لاسكندر الكبير على وهو على فراش الموت .

✻ «كلمات لا تموت» هو اسم لديوان جديد صدر للشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي .

✻ اضرب خريجو الحقوق من الجامعة اللبنانية عن الطعام خمسة ايام ولم يعودوا عن اضرابهم الا بعد ان اعترفت الحكومة اللبنانية بشهاداتهم .

✻ لقد مر على تشييد الهرم الكبير اكثر من اربعين قرنا ، وقد لوحظ اخيرا انه انفصلت عن قمته كتلة يقدر حجمها بنصف طن .

✻ عينت مصر توفيق الاستاذ الحكيم مندوبا دائما عنها في منظمة اليونسكو .

✻ استأنفت صدورها في العراق جريدة «الراي العام» التي عطلتها حكومة العهد البائد في العراق، ورئيس تحرير هذه الجريدة شاعر العراق الكبير محمد مهدي الجواهري الذي كان مبعدا عن وطنه لافكاره الحرة المتجلية في اشعاره الثورية .

✻ ترجم ديوان «اشعار من المنفى» للشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي الى اللغة الروسية .

✻ عثر المنقبون على الآثار في هذه الايام في شمال شرقي ايران على كرة من ذهب وبقربها ثلاثة هياكل بشرية . ويفكر علماء الآثار في هؤلاء الرجال الثلاثة بانهم كانوا قد تخاصموا على هذا الشيء العجيب قبل 2700 سنة فقتل بعضهم بعضا . وتلك ضحية الطمع.

✻ اصدر نهرو كتابا بعنوان «مجموعة من الرسائل» مشتملة على مراسلاته مع روزفيلت وتشانك شيك ، وغاندي ، ومحمد علي جناح وسواهم من السياسيين العالميين .

✻ على اثر تجربة اجرتها وزارة المعارف في الهند في سبع من مدارسها ، تبين انه خلال ستة شهور من فشت 57 الى يناير 1958 قرا 614 طفلا 5523 كتابا تضمنت مجموعات من الشعر والاساطير والتراجم والمسرحيات . وقد اكدت هذه التجربة مشروع الوزارة الهندية «اقرا للمتعة» الذي عملت على تطبيقه في تلك المدارس السبع منذ مطلع 1957 .

✻ وافق المؤتمر الاسلامي بالقاهرة على الرغبة التي ابداها المسلمون في الملايو بانشاء مركز ثقافي اسلامي في مدينة كولا لامبور حيث ينتفع به نحو مائة مليون مسلم مقيمون في الملايو واندونيسيا والفلبين .

✻ اذيع اخيرا من موسكو ان علماء السفييت قد تمكنوا من اخذ صورة للكرة الارضية التقطت بواسطة عدسة وضعت في صاروخ ارسل الى طبقات الجو العليا لتسجيل التقلبات الجوية .

✻ في دائرة التعاون الثقافي الروسي — الاميركي علم ان مائة من العلماء الروسيين سيزورون اميركا في بحر هذه السنة للمشاركة في عدة مؤتمرات ثقافية والقاء عدة محاضرات في مختلف حقول العلم كما ان مائة من العلماء الاميركيين سيزورون روسيا لنفس المهمة .

✻ احتج ثمانية من احسن شعراء هولندا الشبان في رسالة بعثوا بها الى ناشري الكتب على السعر المنخفض الذي حددوه لشراء كل قصيدة من قصائدهم الصالحة للنشر حيث لا يزيد ذلك السعر على 210 فرنكات . ولم يفكر هؤلاء الشعراء في الاضراب الفكري كاحتجاج ناجع على هؤلاء الناشرين المحتكرين .

✻ اعلنت صحيفة ارانيز ريتونغ ان النمسا وضعت اول طابع بريدي في العالم . وقالت نفس الصحيفة بان هذا الطابع الذي رسم عليه كرمة صغيرة بقيمة كروز واحد قد استخدم في العشرين من شهر ابريل سنة 1839 لتسليم رسالة من بيبينال فرسيتري الى امراة تسكن في غلاغنفورت ، وقالت الصحيفة ايضا بان هذا الطابع البريدي اقدم عهدا من الطابع البريطاني الذي ظهر في السادس من شهر ماي 1840 والذي اعتبر لحد الآن كاول طابع للنقل البريدي . والصين بدورها تدعي انها اول من اصدر طابع بريدي في عهد الامبراطور شوانغ لي ، وذلك قبل ان يظهر اول طابع بريدي في اوربا بمائتي عام .

✻ نظمت هنغاريا اسبوعا اطلقت عليه «اسبوع صداقة الشرق والغرب» واشتركت فيه اليونسكو بمعرضها للوحات المالية من فناني الشرق والغرب

كما تضمن برنامج الاسبوع مظاهر مختلفة للنشاط الثقافي ، فتناول البرنامج الثقافة الصينية من موسيقى ورسم وحياة فكرية ومؤلفات تجمع الاغاني الشعبية ، والثقافة اليابانية وعلى الاخص رسوم الاطفال ولوحات الرسام الياباني هيوشيج ، والثقافة الهندية كما تعبر عنها اللوحات الفنية والاقلام الهندية ، والثقافة المصرية فنشرت مؤلفات سعد الخادم عن الفن الشعبي المصري وعرضت ابحاث البعثة العلمية الهنغارية ، والقيت محاضرة عن عصر ، ونظم اسبوع للفلم المصري ، والثقافة التركية فافتتح معرض تركي في سكيلوس والقيت محاضرة عن الثقافة التركية . كما اتصلت هيئة الاذاعة والتليفزيون الهنغارية بدور الاذاعة في جمهورية الصين الشعبية واليابان والهند والجمهورية العربية المتحدة وتركيا واندونيسيا بقصد تبادل برامج اذاعية تتناول مظاهر الحياة الثقافية لدى تلك الشعوب المختلفة .

⁂ توفي مؤخرا ببرلين الغربية الكاتب المسرحي فرينان بركنار وسنه سبع وستون سنة. وكان قد غادر المانيا سنة 1936 مهاجرا الى اميركا واشتهر هناك وذاع صيته بما الفه من مسرحيات تضمنت بصفة عامة الفكرة التي طالما رددها وهي ان التقدم الاجتماعي هو وحده الذي يمكن من تقدم الانسانية . وقد برزت هذه النظرية خاصة في مسرحياته « سر الشباب » و « المخلوقات » و « المجرمون » و « اليزابيت ملكة انجلترا » وعند انتهاء الحرب العالمية الثانية عاد الى المانيا ونشر احاديث يعارض فيها فلسفة « سارتر » و « كفكا » .

⁂ « تاريخ الخبز منذ 6 000 سنة » هو اسم لكتاب صدر اخيرا عن دار « الباس » لمؤلفه الم جاكوب .

⁂ عن اربعين سنة توفي الناقد الفرنسي الشهير اندريه بازان الذي كان رئيس تحرير مجلة « كراسات السينما» وكان ناقدا في جريدة « ليباريسيان ليبري » و « فرانس اوبسرفاتور » كما كان يحرر في مجلة « اسبري » .

فاز بجائزة رينورد الكاتب المارتينيكي ادوار فليسان عن قصته « الصدع » .

⁂ « حياة المسيح للعقاد » وقصة «الباب الذهبي» لابراهيم المصري ، وقصة « قنديل ام هاشم » ليحيى حقي . هذه الكتب الثلاثة يقوم بترجمتها الى الفرنسية المستعرب الفرنسي ارمان مارسيه .

⁂ عين الكاتب الفرنسي فرانسوا مورياك حديثا عضوا في مجمع الفنون والاداب للمعهد الوطني للولايات المتحدة تقديرا لخدماته في الحقل الادبي ــ الانساني .

⁂ منذ ثلاثين سنة والكاتب الاميركي جوليان كرين يكتب مذكراته . وقد صدر في هذه الايام بباريس الجزء السابع من هذه المذكرات . والمؤلف يكتب بالفرنسية .

⁂ قررت هيئة التحكيم الدولية لجائزة جوجنهايم لعام 1958 منح هذه الجائزة وقدرها عشرة آلاف دولار للرسام الاسباني العالمي خوان ميرو تقديرا للحائطين الزخرفيين اللذين يقومان في فناء دار اليونسكو الجديدة رمزا خالدا للفن المعاصر . وخوان ميرو ولد سنة 1893 في بلدة مونتروويج القريبة من برشلونة ــ اسبانيا ، ودرس الفن في اكاديمية الفنون الجميلة ببرشلونة ، وفي سنة 1919 قصد باريس بعد ان عرض اولى اعماله الفنية في برشلونة سنة 1918 . واتجه فنه الى الزخرف منذ ثلاثة اعوام بالتعاون مع الفنان لورانس ارتيجاس . ويتالف العمل الزخرفي الذي اهدى الى اليونسكو من جدارين من 259 قالبا زخرفيا اشرف ارتيجاس على تحقيقها على هدى لوحتين رسمهما ميرو . وقد نقلت القوالب الزخرفية على ظهور الحمير من برشلونة ومنها شحنت بالقطار الى باريس

⁂ اعاد المجمع اللغوي الفرنسي تفسير كلمتي « راسمالية » و « راسمالي » . وكان التفسير الذي اعتمده عام 1932 هو : « الراسمالي شخص يملك راس مال ، اي مبلغا من المال ويستثمره في المشاريع التجارية او الزراعية او الصناعية او المالية » اما التفسير الجديد فهو : « الراسمالي شخص يملك راس مال اي مبالغ من المال . وكان التفسير السابق لكلمة الراسمالية هو انها مجموع الراسماليين . اما التفسير الجديد للراسمالية فهو : انها النظام الاقتصادي الذي يملك فيه الافراد والمجتمعات الخاصة وسائل الانتاج .

⁂ اصدرت دار النشر الباريسية فيكتو اتينجير مؤلفا يجمع من الاداب القديمة والشعبية التي خلفتها حضارات الفرس والعرب والهند والصين واليابان وتايلاند وكمبوديا واندونيسيا وفقا لمظاهر الحياة والتفكير الاسيوية دون نظر الى ظهورها في الزمن او المكان . والكتاب يتالف من خمسة فصول : 1) الفكر من فلسفة ودين وعبادة 2) الفنون واللغة والاداب، بما في ذلك فنون الموسيقى والنحت والتمثيل 3) الدولة : الحكومة ــ الملكية ــ الجمهورية . 4) المجتمع والحياة اليومية : التعليم والزواج ، والحفلات

والامثال ، والخرافات ، والنساء ، والاطفال ، والحيوان والنبات . 5) العلوم من طب ورياضة وتاريخ . الى جانب هذه الفصول يشتمل الكتاب على فهرس بالمالفين والمراجع. ومؤلف هذا الكتاب الكاتب الهولندي بالدون دهينجرا . وقد وضع مقدمة هذا الكتاب المؤرخ الهندي ك. م. بانيكار سفير الهند فى باريس الذي قال فى حق هذا السجل الادبي لحضارات الشرق ان كل ما ظهر حتى الآن من مؤلفات عن اداب الشرق لا يضارع هذا المؤلف الجديد فى تمثيله الروح الاسيوية تمثيلا صادقا . هذا وستصدر طبعة انجليزية لهذا المؤلف فى لندن .

※ من الكتب التي صدرت اخيرا فى باريس « وزن النار » لكلود افلين و « مشاهد وصور » تأليف كوليت « لاصق الاعلانات » لميشيل دل كاستيليو « البذخ » لكلير هاتفاني و « فاقدو البصر » لاسيا جيبار . وهذه الاخيرة كاتبة جزائرية نشرت حتى الآن ثلاثة كتب .

※ اتفق بعض الناشرين فى ثمانية من بلدان اوربا على اصدار مجموعة من الكتب المخصصة لمواضيع اوربية بثماني لغات تحت اسم « ايديتوربا » واول كتاب سينشر من المجموعة هو كتاب لمؤلفه الصحفي الفرنسي ريمون كارتييه .

※ احرزت الآنسة ميشيل بولتير على جائزة العزف على البيانو العالمية. وقد جرت هذه المسابقة فى بوخارست

※ اصدر جزيف فريط صاحب دار النشر « الفن » نسخة من كتاب « دون كيشوط » مزينة برسوم لاكبر الراسماليين العالميين المعاصرين . وثمن كل نسخة سبعة ملايين فرنك . كما سيصدر ايضا كتاب عن (APOCALYPSE - رواية القديس يوحنا الانجيلي) سيشترك فى تخطيط رسومه فنانون عالميون كبار كبيكاسو ، وسالفدور دالي ، وبوفيط وغيرهم وستباع كل نسخة منه بمائة مليون فرنك (!) .

※ من الجوائز الكبيرة فى اسبانيا جائزة « اوخينيوندال » السنوية للرواية ، وتمنح فى مدينة برشلونة فى آخر كل سنة . وقد تقدم الى هذه المسابقة فى السنة الفارطة 204 روائي فاز من بينهم الكاتب البرشلوني فيدال كاديانس عن روايته « لم يكن منا » وقدر هذه الجائزة 7.500.000 فرنك وقد اعلن اخيرا فى اسبانيا ان قدر هذه الجائزة سيتضاعف عن الناحية المادية ابتداء من السنة المقبلة.

※ ان احسن جائزة للشعر فى اسبانيا هي جائزة « ادنايس » . وقد احرز عليها فى سنة 1958 الشاعر رفائيل سوطو الذي لم يعرف اسمه قبل فى المجال الادبي الاسباني . وسينشر ديوانه الفائز قريبا فى مجموعة « ادنايس » بمدريد الخاصة بالشعر .

※ شارك النجار انتوني بيكاس من عاصمة البرتغال فى امتحان الشهادة الابتدائية فى احدى المدارس الرسمية ، ولم يبلغ من العمر الا ثمانين سنة فقط ! فماذا تقول عن اطفالنا المتسكعين فى الطرقات ؟

※ اكتشفت اخيرا بقلب مدينة روما آثار قصر يرجع عهده الى عصر ما قبل المسيح ويؤكد العلماء ان هذا القصر قد امر بونباي ببنائه وهو الذي القى من شرفته « يوليوس قيصر » خطبته الشهيرة فى مارس سنة اربع واربعين قبل الميلاد والتي قتل اثناءها طعنا بالخناجر .

※ سيشرع العمل فى جامعة اكسفورد بتشييد كلية جديدة للعلوم .

※ احتفل الشاعر ايليوت الانجليزي بمرورسبعين سنة على ميلاده . وايليوث قد احرز على جائزة نوبل للاداب سنة 1948 ويقال بانه اغنى شاعر بين الاحياء فى العالم ، فلقد ربح من ديوان واحد وهو « كوكتيل بارتي » حوالي اربعة ملايين ليرة ، وهو يحب حياة اللهو والعبث وينتقل فى العالم طالبا اياهما .

※ بيعت بلندن لوحة من لوحات الرسام فانغ غوغ يرجع عهدها الى سنة 1889 باثنين وعشرين مليونا من الفرنكات . وقد قدر ثمنها سنة 1949 خبير من باريس بمليونين ونصف من الفرنكات .

※ قال عالم هندي اخيرا ان ابحاثه الطويلة التي تواصلت سنوات قد بينت ان الشاعر الانجليزي شكسبير هو من اصل هندي واسمه الحقيقي هو تشابا ايار وكان برهاميا قبل ان يهاجر الى انجلترا . والانجليز لابد انهم ليسوا على علم بهذه الروابط الوثيقة التي تربطهم بالهند .

※ احرز الشاعر الاميركي روبرت فروست على جائزة مؤسسة هانتفنتون هارتفورد وقدرها خمسة آلاف دولار .

※ انتخب من جديد ليونيد سوبليف رئيسا لاتحاد كتاب جمهورية روسيا الاتحادية .

※ احتفل الكاتب الاميركي المشهور ابتن سنكلر ببلوغه الثمانين من العمر وذلك فى بلدة مترونيا فى كاليفورنيا .

❊ ان اول جائزة شعرية للمجمع الشعري للولايات المتحدة للسنة الماضية قد احرز عليها الشاعر روبنسون جيفرس ، وتضفي هذه الجائزة على الفائز بها مجدا كبيرا .

❊ تؤكد جماعة من العلماء انهم بعد بحث دقيق ، توصلوا الى تحديد عمر العالم بانه يبلغ 13 مليار سنة ضوئية . وهو تقدير يزيد قليلا عن تقدير سابق للعلماء .

❊ فى 2 مارس المقبل سيعقد فى كلية الصحافة لجامعة ميسوري باميركا مؤتمر سيحضره اكثر من مائة مندوب عن خمسين بلدا . وبهذه المناسبة سيقيم المؤتمر حفلة تكريم لذكرى والتر وليامز الذي اسس اقدم كلية للصحافة فى اميركا وهي كلية للصحافة التابعة لجامعة ميسوري .

❊ جاء من واشنطن بانه تم انشاء آلة قادرة على قراءة كل نص مكتوب للعميان . ولا تنطق هذه الآلة بالكلام ولكنها ترسل اصواتا مختلفة وفقا للكلمات التي تمر امامها حيث ان الاعمى يجب ان يتعلم هذه الاصوات . ولا شك ان هذه الطريقة اذا عممت ستخدم العميان خدمة جليلة . وستطبع صحف عالمية خاصة بهم يقراونها بواسطة هذه الالة وتصبح طريقة «برايل» الناجحة على مر السنين كالحروف النبطية او الهيروغليفية بالنسبة لابناء هذا الجيل .

❊ قدم مسرح الـ « بلاي هاوس » بمدينة ماكلين فى فرجينيا القريبة من واشنطن تمثيلية رائعة مقتبسة من تحفة جبران خليل جبران الخالدة « يسوع ابن الانسان » وهي قصة مؤثرة ونفاذة تصور حياة السيد المسيح .

❊ قام مكتب الاحصاءات بواشنطن بتحقيق حول تكاثر عدد السكان فى الارض . ومن نتائج هذا التحقيق ان سكان المعمور سيرتفع عددهم الى خمس مليارات ونصف فى سنة 2000 ويعتمد فى هذه الاحصاءات على ان عدد المواليد يفوق عدد الاموات وقد جاء كذلك فى التحقيق ان سكان الارض سيبلغ عددهم اربع مليارات فى سنة 1980 بينما كان فى سنة 1957 لا يتجاوز مليارين وسبعمائة وتسعين مليون نسمة .

❊ نظم فى الولايات المتحدة الاميركية « شهر للمسرح الدولي » عرضت خلاله على مسارح الكليات والجامعات مسرحيات معظمها من دول الشرق . كما عرضت مسرحيات للاطفال . ومن مسرحيات الشرق التي شاهدها الشعب الاميركي نذكر «شيترا» لشاعر الهند تاغور وسوتوباكوماشي للكاتب الياباني « نـو » والامير المسروق والاميرة المفقودة من المسرح الصيني .

❊ صدر فى الايام الاخيرة بنيويورك كتاب جديد بعنوان « كنوز الادب الاسيوي » تضمن مختارات من الادبين العربي والفارسي . والكتاب مطبوع طبعة شعبية لتسهيل بيعه وتعميم نشره بين القراء الاميركيين . ومن مختارات الادب العربي التي تضمنها الكتاب المذكور ابيات من المعلقات وتأملات للمعري وتضمنت المختارات الفارسية مقتطفات من الشاهنامة للفردوسي ، ومن صوفيات المثنوي الرومي ، وديوان حافظ الشيرازي . وفى الكتاب قسم خاص بالكنوز الدينية يشتمل على بعض سور القرآن الكريم من ترجمة محمد مرماديوك بكتال كما توجد فيه اقسام اخرى ادرجت فيها اسماء اهم الكتب الادبية العربية والفارسية مع اسماء مؤلفيها وجدول باهم حوادث العصور الادبية فى الشرق الادنى .

❊ فى بحث نشره الاديب الاميركي روبرت بونس عن فن القصة فى الولايات المتحدة ومساهمة الكتاب الزنوج فيها يلاحظ ان جامعة يايل وحدها قد نشرت للكتاب الزنوج ما لا يقل عن مائة قصة ورواية .

❊ يضم متحف المتروبوليتين فى مدينة نيويورك قسما خاصا بآثار العصور الوسطى ، ويعرف بجناح فنون العصور الوسطى . وقد جاء فى تقرير سنوي وضعته ادارة المتحف عن نشاطه ان ما يقرب من الثلاثة ملايين من الزوار قد شهدوا هذا الجناح خلال السنة الماضية . هذا وينوه التقرير بالاعمال والانشاءات التي ميزت نشاطه الفني باضافته جناح جديد يعرف بالمتحف الصغير وبتجديد المعروضات الفنية .

❊ فى الولايات المتحدة الاميركية اليوم اكثر من 4 000 طالب وطالبة ينتمي معظمهم الى 52 جمعية او ناد من الجمعيات والنوادي السياسية والادبية التي شكلوها فى تلك البلاد ويسعون من ورائها الى تعريف الاميركيين ببلدان الشرق الاوسط وحضاراته ومدنياته الغابرة والحاضرة .

❊ فقدت الجالية اللبنانية فى سان باولو بالبرازيل الاديب والكاتب المهجري مدحت غراب .

※ اقام الفنانون المغاربة معرضا جماعيا هاما بتطوان في الاسبوع الاخير من الشهر المنفرط .

※ احيت طالبات مدرسة الفضيلة التابعة لجمعية الطالب المغربية بتطوان سهرة تمثيلية سجلت نجاحا كبيرا ، وذلك في مسرح « اسبانيون » في 19 فبراير الماضي .

※ عين الدكتور السيد المهدي المنجرة مديرا عاما للاذاعة الوطنية خلفا للاستاذ قاسم الزهيري .

※ في الجلسة العلنية التي عقدت في مجمع اللغة العربية بالقاهرة لاستقبال الاستاذ محمد الفاسي الذي عين عضوا بها تكلم الدكتور ابراهيم بيومي مذكور عن العلاقات الثقافية بين الجمهورية العربية المتحدة وبين المغرب ، الذي يقوم بدور مهم في تشييد الحضارة العربية ، كما تكلم عن حياة الاستاذ الفاسي ونشاطه الثقافي . اما كلمة الاستاذ الفاسي فكانت عن المرحوم الاستاذ السيد عبد القادر المغربي الذي شغل الاستاذ الفاسي مقعده في المجمع .

※ يعتزم مركز الثقافة العربي بالرباط تنظيم معرض للكتاب العربي لعرض احدث مظاهر النهضة الفكرية والثقافية وابراز التقدم في فن الطباعة في الجمهورية العربية المتحدة في الوقت الراهن . وستساهم في المعرض دور الطباعة والنشر الكبيرة في اقليمي الجمهورية العربية المتحدة . وينتظر ان يقام هذا المعرض في الرباط ثم ينتقل بين مدن المغرب الكبيرة .

※ بتاريخ 20 فبراير الماضي القى الاستاذ السيد مصطفى الشويمي استاذ الادب العربي بكلية الاداب بالرباط محاضرة بعنوان « اللغة العربية ومشاكلها في الماضي والحاضر » وذلك بقاعة المحاضرات التابعة لوزارة التهذيب الوطني بتطوان تحت اشراف وزير التهذيب الوطني .

※ اصدرت مجلة « الفكر » التونسية عددا خاصا بالبطولة في الادب العربي جمعت جانبا كبيرا من الكلمات التي القيت في مؤتمر ادباء العرب المنعقد اخيرا بالكويت .

※ اجتمع في هذه الايام الاخيرة المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب بعد ان اعيد تشكيله ليشمل الاقليمين المصري والسوري وقد ضم المجلس من ابناء الاقليم السوري الاساتذة : شفيق جبري ، وسامي الكيالي ، وجميل صليبا ، وسامي الدهان ، وعبد الكريم الباقي . وقد انشيء هذا المجلس بالقاهرة في سنة 1956 لكي يربط جهود العاملين في ميادين الفن والادب . وقد واجه منذ انشائه طائفة من القضايا الفنية والادبية ذات الاهمية . فوضع الحلول الموفقة لمشكلة الانتاج السينمائي والفنون الموسيقية والمسرح ، ونظم العمل في ميدان الفنون التشكيلية ، ووضع القواعد لتشغيل المشتغلين بها وتنسيق جهود الهيئات الرسمية وغير الرسمية في هذا الميدان ، كما نظم المجلس توزيع الجوائز على العاملين في ميدان الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية واتم دراسة مشروع انشاء مركز للفنون الشعبية الذي يعتبر الاول من نوعه في الشرق العربي . وكان لنشاط هذا المجلس اثر واضح في ازالة العوائق في وجه تصدير الكتاب العربي وتيسير نقله عبر الحدود الى قراء العربية في كل بلد .

※ نقلت الانباء نعي الاديب العالم الدكتور عبد الوهاب عزام الذي كان يشغل قبل وفاته منصب مدير جامعة الملك سعود بالرياض . وقد نعاه الى العالم العربي وزير التربية والتعليم المركزي بالقاهرة والجامعة الازهرية ومجمع اللغة العربية وجامعة الملك سعود ووزارة المعارف السعودية ، وعدد كبير من الهيئات الثقافية والعربية . والفقيد كان متخصصا في العلوم الاسلامية وفي دراسة الآداب العربية والفارسية والتركية والايرانية . وقد طلب العلم في اول نشأته بالازهر ثم تخرج من مدرسة القضاء الشرعي بالقاهرة . وكان من اوائل خريجها فعين استاذا بها ثم اختير مستشارا للشؤون الدينية في السفارة المصرية بلندن والتحق هناك بقسم اللغات الشرقية بجامعة لندن ونال منها درجة الدكتوراة في الاداب الفارسية ، وعين مدرسا بكلية الاداب ، ثم رئيسا لقسمي اللغة العربية واللغات الشرقية ، ثم عميدا للكلية حتى اختارته الحكومة المصرية سنة 1948 سفيرا لها لدى المملكة العربية السعودية ثم نقل الى الباكستان سفيرا . ثم عاد سفيرا في السعودية الى ان بلغ سن التقاعد فاختارته الحكومة السعودية لانشاء جامعة سعود بالرياض . رحم الله الفقيد رحمة واسعة ، واسكنه فسيح جناته .

※ قالت الدكتورة بنت الشاطيء في مؤتمر ادباء العرب ان اعظم انواع البطولة هي بطولة المراة ، التي تتحمل اعظم الآلام وانبل التضحيات تسعة اشهر كاملة في سبيل انتاج البشرية . وعلق الدكتور بشر فارس على قولها بقوله « اجل انها بطولة ... ولكنها غير مقصودة » .

※ اهدى الامير عبد الله الجابر الصباح الى جميع اعضاء وفود مؤتمر الادباء اقلاما فاخرة وساعات ذهبية وقال « ان خيرما اهديه للاديب هو القلم ليشرعه في سبيل القومية العربية ، والساعة ليعرف ان الوقت من ذهب » .

فهرس العدد السادس - السنة الثانية

في النقد الادبي :

مطالعات وآراء :

دعوة الحق

مجلة الانتاج الرفيع ، والمستوى العالي . مجلة العالم والاديب والفنان والشاعـر .

※

« دعـوة الحـق » تقرأ فيها الابواب الثابتة التالية :

1) العدد الماضي في الميزان
2) في النقد الادبي
3) مطالعات وآراء
4) من تراثنا الفكري
5) من تراثنا الادبي
6) انباء ثقافية
7) بريد دعوة الحق
8) القراء يسألـون

الى جانب كثير من البحوث والدراسات والمقالات والقصائد والقصص الرائعة

※

لخدمة الثقافة والفكر والادب ، ابعثوا بانتاجكم الى مجلة **«دعـوة الحـق»**

※

لاتشترط مجلة **«دعـوة الحـق»** فيما تنشره الا شيئا واحدا فقط ، هو ان يكون من مستوى فكري معين ، لاينبغـي لمجلة تحترم نفسهـا واهدافها ان تنزل عنه او تتسامـح فيـه .

※

للمساهمة في النهوض بالمستوى الفكري في بلدك . ابعث باشتراكك الـى مجلة **« دعـوة الحـق »** .

مطبعـة فضالـة ـ فضالـة